محمد الغزالي

حصاد الغرور

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية . عابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الخامسة

١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــــدمة

أحس قلقـا بالغـا على مستقبل الاسلام وأمته وأوطانه ، فـان القوى المخاصمة له تطمع فى استئصال حقيقته ، واستباحة بيضته ٠

وهى ترى أن الظروف ملائمة لبلوغ هذه الغاية الهائلة ٠٠ !

وعندما أنظر الى الواقع الكئيب أجد أعداءنا يتقدمون بخطا وئيـدة . وحطط صريحـة حينا ، ماكرة حينـا آخر ٠٠

ولكنها خطط مدروسة على كل حال ، محسوبة المبـادىء والنهايات ، لا مكـان فيهـا للدعاوى والمغالطـات ، ولا للارتجال والمجازفات ٠٠ !

أما نحن المسلمين فعلى العكس من ذلك كله ٠٠

وقـد نكسب تقـدما ما فى بعض الميادين وسرعان ما نفقـد ثماره فى ميادين أخرى تكون خسائرنا فيها أبهظ ٠٠

وعندما أشعر بأن حلقـات الحصار تضيق حول الاسلام ، وأن مكاسب عداته تكثر على مر الأيام أتساءل : هل وعى تاريخنـا الطويل أحوالا فى مثل هذه القساوة والخباثة ؟

وأتردد فى الجواب قليلا !!

لقـد سقطت الدولة الاسلامية قديما ، وناوشها الأعداء من الشرق والغرب ، واحتلوا عواصمها ، وألحقوا بهـا أفـدح الخسائر ٠٠ ومع ذلك نهضت من عثرتها واستأنفت المسير ، فلم لا تكون ظروف اليوم كظروف الأمس ؟

وأقول لنفسى : لعل !! ثم أدرك اننى أغالط ، لأسباب ينبغى شرحها ان أردنا مواجهة الحقيقـة والنجاة من عواقب الخداع ٠٠

لقد أقام الاستعمار العالمى « اسرائيل » فى أرضنا من عشرين سـنة وكان الانجليز قبل ذلك بثلاثين سنة يخلقون الجو الذى يمهد لقيام «اسرائيل» ويستجلبون اليهود من كل بلد لينشئوا على أنقاضنا كيانهم الجديد ٠٠

واذا كانت هذه السنوات الخمسون قـد وعت الاعـداد والتنفيذ فى فلسطين ، فانها قـد وعت أيضا التدويخ والتفتيت للعرب حول فلسطين ، من المحيط الهادر الى الخليج الثائر كما يحلو للبعض أن يصف حدود الأمة العربية التائهة ٠٠ !!

ونشرح ما نعنى فنقــول : ان اليهود الذين بدا استجلابهم من سنة ١٩١٧ لم يضيعوا ساعة عبثا ..

لكانهم تمثلوا بقــول الشــاعر :

قف دون رأيك فى الحيــاة مجــاهدا
ان الحيــاة عقيـــدة وجهــاد .. !!

فشرعوا لفورهم يحولون اليهودية الى عقيـدة بعث وبذل ، وفـداء واخاء ! ثم كرسوا اعمارهم لعمل موصول الجهاد بالليل والنهار ..

واخذت اوروبا وأمريكــا تمدان جرثومة العدوان الجـديد بما تشاء كى تضمن لهــا التفوق والنصر .

أما العرب فانهم فى أرضهم الواسعة كانوا يمضــون منحـدرين الى القــاع ..

العقيــدة فى بلادهم وهى الاســلام تذبل وتنكمش ، وروح الجهــاد تناوشها اللذات المطلوبة والشهوات الغــالبة .

الخمسون سنة التى أعقبت وعـد بلفور شهدت احيــاء لليهوديــة وللقتال من أجلهــا فى فلسطين !!

وشهدت فى الوقت نفسه اماتة للاسلام ، أو اضاعة لتعاليمه وشرائعه ، أو اهانة لحدوده وحقوقه ، أو تنكرا لعنوانه وشعاره فى الأرض العربيــة من المحيط الى الخليج ، مع حذف وصفى « الثائر الهادر » لحـدود هـذه الأمة العربية الجديدة التى خلقها البعثيون والقوميون !! .

تلك الأمة التى رأت ــ بدولها الاربعة عشر ــ أن توهى صلتها بالأمة الاسلامية الكبرى ، لأنها أوهت صلتها بالاسلام ذاته .. !

وجاءت النتائج كمــا رسم الاستعمار الذى أقام اسرائيل ..

انهزم العرب أمام اليهود من سنة ١٩٤٨ الى سنة ١٩٦٧ فى حروب متتابعة .

والسبب واضح فان روح اللهو لا تغلب روح الجـد ، وفــاقد الايمان لا يقــاوم من يتحركون بيقين راسخ ..

والواقع أن اليهود كسبوا معاركهم ضدنا منذ أفلح الغــزو الثقــافى فى زحزحتنا عن ديننــا ، وتهوين قيمه ومثله وأحكامه أمام أعيننــا ، ومنذ أفلح فى خلق شباب يقــاد من غرائزه الجنسية ، ويغرى بعبادة الحياة الدنيا وينسى ربه وآخرته ..

ان مصدر خشيتى على الاسلام هو موقف العرب من دينهم ؟

ان العرب يريدون ان يدخلوا بغير دين فى معركة دينية ..

ومع أن مطـارق الهزيمة التى وقعت على أم رأسهم كانت كفيلة بازالة هذا الوهم الا أن عملاء الشيطان يستميتون فى مكافحـة هـذه اليقظـة ، والحيلولة دون اعتناق العرب للاسلام ، كلا لا يتجزأ ..

ولا يستغربن أحـد هذا التعبير !!

فان العودة الى الاسلام لا تقبل اذا كانت كلمات تمرق من الأفواه ولا علاقـة لهـا بالواقع الفردى والاجتماعى ..

لكى تكون العودة الى الاسلام صحيحة لا بد من أمور ثلاثة :

(أ) هيمنة التربية الدينية على مراحل التعليم كلها .

(ب) رد جميع القوانين الى الفقـه الاسـلامى ، وربطها ربطـا موثقا بالشريعة الاسلامية .

(ج) تحكيم الاسلام فى التقاليد الاجتماعية السائدة ومحو ما يخالف الدين ، واثبات ما يلائمه .

ويوم يحس جماهير العرب بأن أمورهم تسير الى هذه الوجهـة فسوف يندفعون كالسيل وراء حكوماتهم ، ويومئذ تماع اسرائل كما يذوب الملح فى المـاء ، فلا يبقى لها شكل ولا موضوع ..

لقـد تأملت فى الصورة التى تمت بهـا هزائمنا خلال العشرين سنة الأخيرة فرأيت ما يدعو الى الدهشة ..

كنـا أكثر من عدونا عددا ، وأقوى عدة ..

ولو فرضنا جدلا ، أننا كنا مثله أو دونه قليلا فان من المقطوع به اننا لم نحسن القتال بما حملنـا من سلاح ، ولا ثبتنـا به المدة المناسبة ، ولا آذينـا به عدونا الايذاء المستطاع ..

كانت هزائمنا فريدة فيما تتركه من انطباعات مخزية .

اننا هزمنـا أنفسنا ، وقلدنا خصومنا شرفا فوجئوا به ..

وما تقـول فى قوم ينبهون الى أنهم قـد يهاجمون يوم كذا .. فاذا هم فى هذا اليوم غافلون أو نيام ، أحرقت طائراتهم على الأرض ، وبوغتوا بما شل حراكهم خلال ساعات ، واكسبوا اليهود دعاوى عريضة ، وتركوا جباهنا تقطر من الحياء والذل !!

كانت أسباب الهزيمة خلقية ، ودينية قبل كل شيء وبعد كل شيء ٠

ومع ذلك فان العرب ابتلوا بمن يكذب عليهم يوم محنتهم فيتحدث عن تفوق اليهود العسكرى ومهارتهم « التكنولوجية » ٠

أى تفوق وأية مهارة ؟؟

وتذكرت قصة الريفى الذى جاء الى القـاهرة ، واشترى الترام من أحـد المحتـالين ٠٠

ان هذه القصة لا تدل على عبقرية المحتـال قـدر ما تدل على ان المشترى مغفـل كبير ٠٠

والذين يرجعون هزيمة العرب أمام اليهود ـ خصوصا فى المعـارك الأخيرة ـ الى عبقرية اليهود انما يريدون مواراة قصة استغفال محزنة ٠٠

انهم يريدون أن نذهل عن عيبنا كى تتكرر المـأساة نفسها ٠٠

لقـد علم القاصى والدانى أن اليهود امتدوا فى فراغ ، وأن رجالنا يوم اللقـاء كانوا فى سكرتهم يعمهون ، وصـدق القـائل :

رب أصـــباح محـــزنات يتركهـا المـرقص اللعوب !!

فهل نعمى عن علتنا المهلكة ثم ننسب النتائج الى الوهم ، ونزعم أن اليهود غلبونا لعبقريتم الحربية وتفوقهم فى كذا وكذا ٠٠٠

يقول التاريخ أن شبيها لهذه المـأساة وقع من تسعة قرون ، فقد انهزم العرب أمام الحملة الأولى للصليبيين دون سبب معقول !

كان الصليبيون قـد هبطوا من أوروبا الى الشرق الاوسط وهم يجرون أقدامهم جرا ، وبلغت بهم المجاعة الى حـد أن أكلوا الجيف ، ولم تكن ظروفهم تمكنهم من كسب أى معركة ٠

ومع ذلك فقـد هزموا العرب الموفورى القوة والعدة والصحة والشبع ، وذبحوا سبعين ألفـا منهم فى القدس !!

لمـاذا ؟ لأن العرب كانوا فى حال من الفرقة والبطر والفسوق والغفـلة تحرمهم من رعاية الله ، وتبعد عنهم النصر القريب ٠٠ !

كذلك انهزمنـا اليوم ، وبين أصابعنا من أسباب الغلب ما لو سانده الايمـان الصاحى ، والحماس الصادق ، لروع اليهود ومن وراءهم ٠٠

لقـد سمعت رجلا يعلق على ضرب اليهود لمطـار بيروت تعليقـا مرا ، يقول : ايغزلون ، ويحرقون الطائرات ، ويمكثون فى المطـار ريثما ينفذون مرادهم ، ثم يصعدون دون أن يفقـد جندى منهم نعله !!

لو ان مع رجل واحــد مسدسا لألحق بهم بعض الخسار !!

لو أن هنـــاك رجالا يحملون العصى فقط ما عاد اليهود سالمين على هذا النحو !! لكان القوم كانوا فى نزهة !!

يا حسرة على العباد ، أين الرجال ؟؟

والجواب ضاعوا مع ضياع الايمان !!

ان الدين بالنسبة لنــا نحن المسلمين ليس ضمانا للآخرة فحسب انه أضحى سياج دنيانا وكهف بقائنا ٠

ومن ثم فانى أنظر الى المستهينين بالدين فى هذه الأيام على أنهــم يرتكبون جريمة الخيانة العظمى ، انهم – دروا أو لم يدروا – يساعدون الصهيونية والاستعمار على ضياع بلدنا وشرفنا ويومنا وغدنا ٠٠ !!

فارق خطير بين عرب الأمس وعرب اليوم ٠

الأولون لما اخطاوا عرفوا طريق التوبة ، فاصــــلحوا شـــــأنهم ، واستأنفوا كفــاحهم ، وطردوا عدوهم ٠٠٠

أما عرب اليوم فان الاستعمار الثقافى أحدث تخريبا شديدا فى ضمائرهم وافكـــارهم ، وربما رايت الواحــد منهم يبلغ الأربعين أو الخمسين من عمره ولا يعرف كيف يصلى ! اما حصيلته من سائر المعارف الاسلامية فتتذبذب عنــد درجة الصفر !!

وهذا الجيل الفارغ القلب واللب صــيد ســهل للمذاهب المــادية أو للمبشرين وسماسرة الغرب ، لأنه – مهمــا كبرت الوظائف التى وضع فيها لم يتجــاوز مرتبة الطفولة من الناحية الدينية ٠

وقد يعترض نفر من هؤلاء على العودة الى الاسلام اعتراضا مكشوفا ، أو مطويا ، اما لأنه فاسد النفس ، أو لأن الجهل أتاهه وحيره ٠

يقول أحدهم : ان العودة الى الاسلام سوف تغضب المسيحيين العرب !

قلت : لمــاذا يغضبون ؟ اننا لا نســخط على تمسكهم بالنصرانية ولا نعترضهم فى ذلك ٠٠

ومن الذى قال اننا نرضى الآخرين بترك ديننـــا ؟ واذا كان الآخرون لا يرضون الا بذلك فمن الذى يجعل لهذا الرضا قيمة ؟

ويقول ثان : ان العودة الى الاسلام سوف تغضب الشيوعيين وهم الذين يمدوننـــا بالسلاح !!

قلت ان الشيوعيين تهمهم مصالحهم ، وهم انما يسوءهم أن نأخذ أسلحتهم ونسلمها لليهود ! فاذا تعاملوا مع رجالنا يغدرون اليد الممداة ، ويحسنون النكاية فى عدوهم كان هذا خيرا لهم ولنا ..

ويقول ثالث : ان أمريكا تساعد اسرائيل بدوافع صليبية مطوية فاذا أعلنا اسلامنا وتشبثنا بوحيه أسفرت عن وجهها وأعلنت علينا حربا مكشوفة .. !

قلت ان أمريكا لم تدخر جهدا فى تغليب اليهود علينا ، ولو أنها فعلت مع اسرائيل ما فعلته فى فيتنام ما بالينا بها لو كنا أصحاب ايمان ..

ويقول رابع : لا مانع من العودة الى بعض الاسلام ، أما العودة اليه كله فصعبة ، وقد تغير الزمان .. !!

قلت : الكفر ببعض القرآن كفر به كله ، والاسلام هو الحل الأوحد لجميع مشكلاتنا المعاصرة ، وليس هناك عائق أمام عودتنا لديننا لو أردنا ..

ان الصعوبة المدعاة هو فى نفوسنا نحن ...

تلك النفوس التى ضللها الغزو الثقافى الحاقد على الاسلام .. فجعلها تحسب حسابها لكل شىء الا لله وحده .. !!

ان العراك بيننا وبين بنى اسرائيل سوف يمتد سنين عددا ، فاذا أحببنا أن نذوق حلاوة النصر فالطريق اليه بينة ..

أما اذا كررنا انفسنا القديمة ، وأساليبنا القديمة ، فلن نحصد الا ثمرات الغرور ، وما ابشع مذاقها وأمره !!

انه ليحزننى أن أرى العرب يتخلون عن رسالتهم العظمى .

أو يأخذونها بضعف واسترخاء .

أو ينفذون ما يحلو لهم ويهملون ما لا تهوى انفسهم .

أو يخشون الناس ولا يخشون الله ..

ان عقبى ذلك هو ما بلونا مبادئه ، ولا نريد أن نجر بواقيه ..

انا نجار بهذه الصيحات لعلها تنفع فى مدافعة ما لا نطيق من بلاء .

وقد كنت ــ بحاسة المؤمن الغيور ــ أرصد أحوال الأمة العربية قبل الهزيمة وبعدها ، فأشعر بمدى قربها أو بعدها من دينها ، ومدى قدرة لاتيارات الأجنبية على التطويح بها هنا وهناك ..

وكلما قرات كلمة ضالة ، او سمعت تعليقـا منحـرفا ، أو تدبرت توجيها زائفا امسكت(١) بالقلم لأرد فى نطاق ما استطيع قوله وعمله ··

غير أننى لم أتبين الى هذه الساعة انعطافا حقيقيا نحو الاسلام يعيد بناء الأمة العربية داخل اطاره الواضح ·

وذاك سر اشفاقى وقلقى ·

« **قل رب اما ترينى ما يوعدون** » ·

« **رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين** » ·

« **وانا على أن نريك ما نعدهم لقادرون** » (٢) ·

الفقير الى الله تعالى

محمد الغزالى

* * *

---

(١) الفصول المنشورة هنا بعض ما اديت به واجبى كاتبا او محاضرا ، وقد رايت جمعها فى سياق متقارب ميسور التناول كى تخدم القضية التى يجب نصرها ودعمها ، استبقاء ادبننا وامتنا ..

(٢) المؤمنون : ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ .



صراع بين رسالتين

كان بنو اسرائيل أول أمرهم ممثلين لعقيدة التوحيد وسط شعوب قلما تعرف حقيقة الايمان بالله واليوم الآخر ٠

والانفراد بعقيدة صحيحة بين أمم ضالة يتطلب غير قليل من العناء والمصابرة ، فقد يسأم الانسان تكاليف الغربة الروحية ، وقد يبتلى بمن يضيق به وبعقيدته ويحاول فتنته عنها ٠٠ !

ومن هنا رأينا يعقوب يجمع أبناءه قبيل موته ، ويريد أن يطمئن على سيرتهم بعد أن يغادر الحياة ، ترى أيظلون على الايمان الذى شرفوا به أم يتبعون غيرهم على الشرك والفساد ؟؟

« أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون »(١)

وكلمة الاسلام قديما وحديثا هى العنوان الفذ للدين الأثير عند الله ، بما يتضمنه هذا الدين من توحيد للخالق ، واستقامة على أمره ، وانفاذ لوصاياه ، واقامة لأحكامه ٠٠٠

وقد كان يوسف الصديق أشرف رجال هذه الأسرة ، وأصلح أولاد يعقوب وأرعاهم لتعاليم أبيه فى حياته وبعد مماته ٠

وكان يقدر نعمة الاختيار الالهى لبيت يعقوب كى يحرس التوحيد ويرفع لواءه ٠٠

ولذلك رأيناه فى السجن ينتهز الفرص فيدعو المسجونين الى الله ، وينفرهم من الوثنية ، ويشرح لهم معالم الايمان الحق ٠٠

وكان السجناء قد لحظوا قدرته على استنباط الغيوب من خلال تعبير الرؤيا ، فقال لهم يوسف : **« ذلكما مما علمنى ربى ، انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ٠ واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحاق ويعقوب ، ما كان لنا ان نشرك بالله من شىء ، ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون »(٢) ٠**

ويوسف بهذه الكلمات ينوه بمكانة اسرته ، ووظيفتها الرفيعة فى قيادة الناس الى الله الواحد ، ونبذ الوثنية السائدة على عهده ٠

---

(١) البقرة : ١٣٣ ٠ (٢) يوسف : ٣٧ ، ٣٨ ٠

ولذلك يتابع نصحه لرفقاء السجن قائلا : « **يا صاحبى السجن أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار · ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ، ان الحكم الا لله أمر الا تعبدوا الا اياه ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون** »(١)

ومن الانصاف أن نقول : ان أبناء يعقوب فى تاريخهم المتقدم وفوا بعهدهم لأبيهم ، وقاوموا أمواج الوثنية التى حاولت أن تجرفهم ، ولعلهم تحملوا فى ذلك آلاما رهيبة ·

وأى آلام أبشع من تذبيح الأبناء واستحياء النساء ؟ لكنهم مع تلك المحن لم يفقدوا شخصيتهم ، ولم يذوبوا فى غيرهم ، ولم ينسوا أصل رسالتهم ·

وفى ذلك يقول القرآن الكريم عنهم « **ولقد اخترناهم على علم على العالمين · وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين** » (٢) ·

لكن بنى اسرائيل مع سير الزمان واختلاف الليل والنهار أخذوا يبددون أمجادهم ، ويغاضبون ربهم ، ويتنكرون لمواريثهم ، ولم ينشأ هذا الانحراف من غلبة عدو عليهم وتأثيره فيهم ، بل نشأ من اعتزازهم بالله ، وجراءتهم عليه ، وابتذالهم لنعمه ·· وأضحوا كالولد المدلل لا ينتظر منه أدب ، ولا تثمر فى تقويمه عظة ·

وتطرق هذا العوج الى المبادىء التى اختيروا لاعلاء منارها وتمهيد سبلها ؛ فاذا هم يخلطون التوحيد بالشرك ، ويذهلون ذهولا مطلقا عن اليوم الآخر ، ويرتكبون المعاصى دون حذر ، وينسون قاعدة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وينطلقون على ظهر الأرض ما تسيرهم الا غرائزهم الدنيا مقترنة بدعاوى عريضة ومزاعم مكذوبة ·

فكانوا بهذا المسلك الجديد شرا من الأمم التى كلفوا قديما بتعليمها وتأديبها وفضلوا تفضيلا عليها ·· !!

ومن رحمة الله بعباده أنه يقيل عثراتهم ، ويغفر زلاتهم ، ولا يؤاخذهم لأول ما يفرط منهم ، وقد أمهل بنى اسرائيل طويلا كيما يثوبوا لرشدهم ويعتذروا عن أخطائهم ، وبعث فيهم أنبياء كثيرين يذكرونهم بالله ويخوفونهم نقمته ··

لكن القوم لم يرعووا ويدعوا ما هم فيه ، بل تادت بهم الشراسة الجامحة أن يعدوا على أنبياء الله فيقتلوا من ضاقوا بنصحه منهم « **لقد**

---

(١) يوسف : ٣٩ ، ٤٠ .   (٢) الدخان : ٣٢ ٣٣ .

اخذنا ميثاق بنى اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا ، كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون • وحسبوا الا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم ، والله بصير بما يعملون »(١) •

وكان آخر اختبار سقطوا فيه موقفهم من عيسى ابن مريم ، فقد جاءهم هذا الانسان الصالح يبغى ترقيق قلوبهم وتهذيب طباعهم والزامهم حدود الله وتعاليم الوحى الأعلى واعتناق حقيقة الدين بدل الاستمساك بقشوره والخروج على جوهره ••

ولكنهم سخروا منه أقبح سخرية ، ورموه وأمه بأغلظ الافك ، ثم ابتغوا قتله كشأنهم مع من سبقه ، بيد ان الله نجاه منهم ووقاه شرهم ••

وكان هذا كما قلنا آخر اختبار لبنى اسرائيل ، فقد كانت النبوات وقفا عليهم ، وهدايات السماء تنبعث من أرضهم •

وطالما سطعت أشعة الوحى ساحات المسجد الأقصى على أيدى رسل كرام ، غير أن هذه الأشعة ضاعت بين غيوم كثيفة من الشهوات •• ومحا اثرها شعب عز على العلاج بعد أن تغلغل الفساد الخلقى والاجتماعى فى أعماقه ••

وقررت العناية العليا أن تنقل قيادة الانسانية من جنس الى جنس ، أو من أولاد اسرائيل الى أولاد اسماعيل ، أو من اليهود الى العرب ••

كان عيسى ابن مريم آخر اسرائيلى يرسل الى قومه ، وكان تكذيبهم له آخر جرم يختم به تاريخهم الدينى •• !

ثم يجىء دور العرب بعدئذ ليفتتحوا صفحة جديدة فى الحياة ، بعد ما ملأ اليهود الصفحات السابقة بمخازيهم ومآسيهم « **واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين • ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام ، والله لا يهدى القوم الظالمين »(٢) •**

* * *

وفى تسويغ هذا الانتقال الحاسم ، وسرد أسبابه وملابساته ، وفى تعريف العرب بمكانتهم الانسانية الجديدة ، ودورهم القيادى الخطير ، وفى تقرير الواجبات الثقيلة التى تفرضها هذه الرسالة العظمى على العرب ••

---

(١) المائدة : ٧٠ ، ٧١ •   (٢) الصف : ٦ ، ٧ •

فى هذا كله نزلت آيات شتى نريد أن نتدبرها ونتدارس دلالاتها وأبعادها ‥ يقول الله لنا ــ نحن العــرب ــ « **لقـد انزلنــا اليكم كتــابا فيــه ذكــركم ، أفلا تعقلون** »(١) •

ويقول للنبى الخاتم : « **وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون** » (٢) •

ويقول عن منازل الناس فى خدمة هذه الرسالة والوفاء لها « **ثم أورثنــا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصــد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ، ذلك هو الفضل الكبير** »(٣) •

وفى مواضع كثيرة من القرآن الكريم بين الله للعرب لمــاذا ملكهم زمام الوحى بعد أن انتزعه من اليهــود ، وكيف يتقاضــاهم ذلك الاخــلاص لله وحراسة رسالته والسهر على أدائها ‥

فلننظر الى سورة الجمعة ، وكان يوم الجمعة فى الجاهلية يسمى يوم العروبة ، حتى غلبت التسمية الشرعية نظرا للصلاة الجامعة التى تحشــد الناس فيه ‥

بدأت هذه السورة بتسبيح الله والثناء عليه بما هو أهله ‥ ثم شرعت تتحدث عن العرب ، وكيف اختار الله منهم نبيا يربيهم ليربى بهم العالم ، ويعلمهم ليعلم بهم الآخرين « **هو الذى بعث فى الأميين رســولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبــل لفى ضلال مبين** »(٤) •

نعم كان العرب قبل الاسلام فى جاهلية طامسة وتأخر ظاهر ، ثم أحيا الاسلام مواتهم وأعلى ذكرهم ونقلهم بتعاليمه من السفوح الى القمم ومن ذيل القافلة البشرية الى طليعتها : « **ذلك فضــل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم** »(٥) •

ثم يذكر الله جل شأنه فى هذه السورة : لماذا آثر العرب بهذه المنزلة بعــد أن كانت قديمــا لغيرهم ، فيقول « **مثــل الذين حملوا التــوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا ، بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله ، والله لا يهدى القوم الظالمين** »(٦) •

وهذه الآية واضحة فى أن اليهود فقدوا صلاحيتهم لحمــل رســالات السماء فقدانا أبديا لأنهم فقدوا القدرة على الانتفاع بالوحى الالهى ، ولم يستطيعوا تهذيب أنفسهم به فكيف يقدرون على تهذيب غيرهم ؟

---

(١) الأنبيـاء : ١٠ .
(٢) الزخرف : ٤٤ .
(٣) فاطــر : ٣٢ .
(٤) الجمعة : ٢ .
(٥) الجمعة : ٤ .
(٦) الجمعة : ٥ .

ان صاحب القلب القاسى لا يجدر به أن يحمل عناصر الرحمة لغيره وصاحب الذهن المغلق ليس اهلا لتوعية الآخرين ، وفاقد الشىء لا يعطيه ٠٠ !!

وحامل الكتب الذى لا يدرى ما فيها لا يصلح تلميذا فكيف يكون استاذاً ؟

لهذا صرف الله رسالته عن اليهود الى العرب لعل الآخرين يحسنون الوصاية عليها والسير بها ٠٠

وان كان اليهود بعد ما رأوا هذا التحول المباغت فى ابتعاث الأنبياء قد استماتوا فى تكذيب الرسالة الجديدة والعدوان على صاحبها فقال الله جل شأنه :

« **يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ٠ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** »(١) ٠

وفى مواضع أخرى من القرآن الكريم سجلت هذه المقارنة بين اليهود والعرب تسجيلا يحمل فى أطوائه مسالك يجب أن تدرس وفرائض يجب أن تعرف ، لأنها تعرفنا ما وقع من غيرنا ، وما ينبغى أن يقع منا ٠٠

فى سورة آل عمران وصفنا الله بقوله : « **كنتم خير امة اخرجت للناس** »

لماذا ؟ أهو امتياز عنصرى أو تفضيل جغرافى ؟ كلا ، لا هذا ولا ذاك ٠

انما هو لخصائص خلقية وفكرية تنفع الانسانية جمعاء بعد ما تنفع أصحابها أولا ، هذه الخصائص هى قوله : « **تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** » ٠

وهذه الخصائص هى التى فقدها أصحاب الرسالة السابقة فعزلوا عن منصب القيادة العامة للناس ٠ لذلك قال مباشرة : « **ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم ، منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون** »(٢) ٠

والأمم تؤاخذ بما يسود كثرتها الكبرى من عوج ورذيلة ، ووجود قلة صالحة لا يغنى عنها ولا يجنبها المصير المحتوم ٠٠ !!

وظاهر من تعبير القرآن الكريم أن قدر الأمة مرتبط بمدى ايمانها ، وأن سبقها لغيرها ، وترجيحها عليه ، منوطان بحرصها على فضائلها ٠

والا فسوف يصيبها ما أصاب غيرها ٠٠

ومن اخطاء أهل الكتاب الأولين أنهم ظنوا أنفسهم ابناء الله واحباءه ٠

---

(١) الصف : ٨ ، ٩ ٠ (٢) آل عمران ١١٠ ٠

وأنهم قادرون على فضله يمنحونه من شاءوا وقادرون على مغفرته يبيعونها صكوكا لمن يدفع الثمن ، وهذا كله تطاول بالباطل فان الأفراد والأمم تعلو اذا قدرت على التحليق ، وتهبط اذا فترت منها الهمم ، وغلب عليها الكسل ·

وليس لأحد قط أن يتدخل فى هذه القوانين الصارمة : « **ما لهم من دونه من ولى ولا يشرك فى حكمه احدا** »(١) ·

ولذلك عندما رسم القرآن الكريم الطريق أمام الأمة الجديدة بين أن الله يختار من يشاء من خلقه ليحمله ما يشاء من أمره ، وأن هذا التحميل اختيار مقيد لا اختيار مطلق ، فقال جل جلاله : « **الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ، ان الله سميع بصير · يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ، والى الله ترجع الأمور** »(٢) ·

ثم شرح بعد ذلك الرسالة التى آذن العرب بحملها ، والأعباء الشريفة التى تقترن بها فقال : « **يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون · وجاهدوا فى الله حق جهاده ، هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم ، هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس ، فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم ، فنعم المولى ونعم النصير** »(٣) ·

وظاهر من هذا السرد التاريخى أنه كان هناك شعب مختار فسد فعزل ·· !!

وأن هناك شعبا آخر وقع عليه الاختيار ، ليبلغ رسالات الله ويضىء الطريق أمام الأحياء ·

نعم هناك شعب آخر مكلف أن يتصدر الركب الانسانى المنطلق يحدوه باسم الله ، ويعطيه الأسوة الحسنة من تمسكه بهداه ··

شعب يتعلم من محمد ثم يعلم الآخرين · ويطبق تعاليمه على نفسه ثم يجعل منها نماذج لغيره · « **لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا** »(٤) ·

تلك هى الحقيقة التى تاه عنها جمهور كثيف من العرب فتخطفته زبانية الأرض ، ثم هوت به فى مكان سحيق ·· !!

---

(١) الكهف : ٢٦ .
(٢) الحج : ٧٥ ، ٧٦ .
(٣) الحج : ٧٧ ، ٧٨ .
(٤) البقرة : ١٤٣ .

والصراع الدائر الآن هو بين المطرودين من أصحاب الرسالة الأولى ، وبين التائهين من أصحاب الرسالة الخاتمة ..

فلنشرح أدوار هذا الصراع ، وملابساته المرة ..

* * *

ان اليهود الذين كذبوا عيسى منذ عشرين قرنا ، وكذبوا بعده محمدا مضوا فى الطريق التى اختطوها لأنفسهم ، وعاشوا فى حدود ما لديهم من تعاليم وما توارثوا من تقاليد وتحملوا غضب الله عليهم بجلادة تثير الدهشة .

انهم على امتداد الزمان والمكان لم يتخلوا عن رأيهم فى أنفسهم انهم شعب الله المختار ..

ولقد تقاذفتهم الأقطار والفلوات فما نسى بعضهم بعضا ولا تلاشوا فى الأمم التى ضاقت بهم ونظرت اليهم شزرا .

ولما كان النصارى يعتقدون أن اليهود قتلة عيسى وسبب بلائه فان الأمم النصرانية تقربت الى الله باذلال اليهود حيث كانوا ، واستباحة دمائهم لأتفه التهم ، حتى قيل : لولا ظهور الاسلام لبادت اليهودية من على ظهر الأرض !!

ولم يتورع شعب مسيحى فى طول أوروبا وعرضها عن الحاق الأذى باليهود جهد ما يستطيع .

ومع هذا كله فان اليهود شقوا مستقبلهم وسط هذه الصعاب ، موقنين أنهم شعب الله المختار ، ومؤملين فى مستقبل أفضل ، مستقبل يفرضون فيه مشيئتهم على العالم ، وتتوج السلطة العليا فيه رأس اسرائيل ..

واستطاع علماء بنى اسرائيل وأغنياؤهم أن يملأوا ثغرات واسعة فى علاقة المسيحية بأتباعها ، وأن يكملوا قصورها فى تغطية حاجات الخاصة والعامة الأدبية والمادية على السواء .

فما كاد يقبل عصر النهضة مع القرن السادس عشر الميلادى حتى شرع اليهود يبنون لجنسهم دعائم مكينة ، وواصلوا البناء فى صمت ومكر حتى أمكنهم خلال القرن العشرين أن يكونوا فى مختلف القوميات الأوروبيـــة والأمريكية طائفة ظاهرة اليسار والارتقاء ..

وهنا شرع بنو اسرائيل يلبون دواعى الحنين فى دمهم لبنـاء دولتهم الدينية وتحقيق حلمهم القديم فى حكم العالم ..

وسنحت الفرصة بسقوط الخلافة الاســلامية ، وغيبـوبة العرب عن رشدهم ، وذهولهم الهائل عن رسالتهم ، فضرب اليهود ضربتهم ، واحتلوا فلسطين ..

وبديهى أن اليهود وحدهم ما كانوا ليقدروا على ما فعلوا ·· ان الحقد المشترك على الاسلام وامته وجد فى العدوان اليهودى اداة ترضيه ، وتنفذ ما يبتغيه ولذلك رحب به واعانه — ولا يزال — على بلوغ اهدافه ·

أول أولئك الحاقدين الصليبيون الجدد ، فان الساسة الأمريكيين والأوروبيين المبغضين للاسلام وامته يرون فى اقامة دولة لليهود على هذه البقعة من ارضنا خطوة لها ما بعدها فى زلزلة الكيان الاسلامى كله ··

ومن ثم حرصوا على خذلاننا فى كل ميدان ، وتخييب آمالنا فى كل سعى ، ولم نر من خمسين سنة — أى منذ بدأ احتلال اليهود لفلسطين — سياسيا مسيحيا يعارض اليهود أو يرثى للعرب المنكوبين ··

حتى الجنرال ديجول رئيس حكومة فرنسا الذى يشاع الآن انه نصير للحق العربى ، لم يفكر قط فى أن فلسطين للعرب وأن اليهود مغتصبون لها ·· غاية ما صنع أنه — لأمر ما — وقف ضد التوسع اليهودى الحالى ، وأيد ما يسمى : « محو آثار العدوان » ·· !!

اما بقاء اسرائيل فى موقعها المرسوم المحظور فليس موضع جدل ·

والواقع أن السلاح الأمريكى والفرنسى والانجليزى هو الذى سفك دمنا ، ونهب حقنا ، واستباح وجودنا وتاريخنا ، وانكر حاضرنا ومستقبلنا ·

واليهود هم الأداة الطيعة التى اختيرت لتحقيق هذا المآرب ··

والى جانب الصهيونية والصليبية عملت الشيوعية العالمية عملها فى اقامة اسرائيل ، وساندتها فى المجال الدولى مساندة مكشوفة ··

ولا ريب أن الشيوعيين يسرهم أن ينقسم العرب قسمين واهيين اثر قيام اسرائيل فى مكانها الموجع الذى تحتله الآن ، فان ضعف الاسلام — بضعف العرب — يساعد على نشر الشيوعية وازاحة سدود ضخمة من أمامها ··

وموقفها الحالى من التوسع اليهودى تمليه ظروف سياسية معقدة ··

وسط هذه الفتن والمحن اقبلت اليهودية العالمية تريد استعادة نشاطها الأول ، معتقدة أن الاسلام اكذوبة يجب أن تنتهى ، وأن أمته خرافة آن أن تزول ··

اى أن الهدف المخطط هو ازالة دين ، ومحو أمة ·· !!

واسرائيل الكبرى تمتد شرقا وغربا من الفرات الى النيل وتهبط جنوبا حتى تشمل الحجاز ، وتستوعب مكة والمدينة ·

وحجتهم انه فى هذه البقاع تجول أسلافهم وانتشروا ، وأن الظروف التى شردتهم قد انتهت ٠

وأن العرب الذين يستوطنون هذه الأرض ليسوا أهلا للبقاء فيها ٠

وأن المقدسات الاسلامية انما تستمد مكانتها الروحية من تعلق أصحابها بها وقدرتهم على حمايتها ، ولكن محمدا مات وترك بنات ٠٠ !!

هكذا كانت المظاهرات اليهودية تجار بالهتاف فى مدينة القدس حيث المسجد الأقصى ٠

وقد رأيت بعينى صور الجنود اليهود يحملون التوراة فى اليد اليمنى والمسدسات فى اليد اليسرى ، وهم على صهوات دباباتهم المنطلقة بهم فى ربوعنا المقفرة ، وأرضنا الذليلة الموحشة ٠٠

ان الأمانى التى دفنت فى تراب الذل نحو ثلاثين قرنا انتفضت بالحياة بغتة ، وجرت معها عداء الصليبية لرسالة التوحيد ، وعداء المادية لرسالات السماء ، ولوحى الله جملة وتفصيلا ، ثم هجمت على العرب المنقسمين على أنفسهم ، الزائغين عن رسالتهم ، واستطاعت أن تكسو وجوههم بالقار ، وأن تملأ ديارهم بالعار ٠

تلك حال اليهود ومن والاهم فلنلق نظرة عجلى على اكناف الميدان العربى ٠

***

اشتبك العرب مع اليهود ثلاث مرات : سنة ١٩٤٨ ، سنة ١٩٥٦ ، سنة ١٩٦٧ ، وانهزمت دولهم خلال هذه المعارك هزائم شائنة ، وكانت كل هزيمة أسوأ من سابقتها وأشد خزيا ٠

واذا بقيت الروح الدينية والأساليب الخلقية لدى العرب على المستوى المعهود فى معاركهم السابقة فلن يكسبوا معركة ابدا ، بل سيخسرون وجودهم كله ، ويذهبون فى خبر كان ٠

ان اليهود يقاتلون بدافع من ايمان ، ويعملون كما شرحنا آنفا لتحقيق رسالة دينية ومدنية معا ٠

أما العرب فان ساستهم خلال خمسين سنة كانوا ينفذون مخططا استعماريا لابعاد الدين عن آفاق الحياة الخاصة والعامة ٠٠ !

ويوم يلتقى رجل ملتهب المشاعر بعقيدة ما ، مع رجل لم يستقر فؤاده بحقيقة دينه ، بل لا يدرى من حقائق هذا الدين قليلا ولا كثيرا ، فماذا تكون النتيجة ؟ انها الهزائم المرة التى ذقناها ٠٠

انــه لا يفــل الحــديد الا الحـديد ، ولا يقف أمام معتــدين باسم الدين الا مدافعون باسم الدين ..

ان اليهودى يابى ان ياكل لحم الخنزير مثلا ، لأنه محرم فى دينــه ، ولديه ضمير دينى يمنعه من هذا الطعــام بقوة .

أما المسلم الذى أمامه فهو يشرب الخمر المحرمة فى دينه دون ضمير رادع ! ..

ولست اتهم كل أحــد بهذا الاتهام ، ولكن عددا من القادة والضباط يشربون الخمر جهرة فى شتى الجيوش العربية ..

واليهودى يتعبد يوم السبت ، ويصوم الأيام المقررة عنده .

وعندنا لفيف ضخم من الرجال لا يصلون الجمعة ولا يصومون رمضان ، بل ان الصلاة متروكة فى بعض الجيوش فى كل الأوقات . .

فاذا طوينــا هذه الصفحة من المخالفات لأمر الله ، فلنلفت النظر قبل طيها الى اننا لا نبكى لمعاص فردية تقع من هذا أو ذاك ، أو انــنــا نرد نتــائج ضخمة الى سيئات محدودة .. كلا كلا ..

اننا نميط اللثــام عن حقيقة مخيفة ، وهى أن الدين أبعد ابعادا متعمدا عن ميــادين الحرب والسلام جميعا .

وانه حظر على صوت الاسلام أن يخترق الآذان بالتوجيه الواجب بينما كانت اليهودية تعمل عملها فى جبهة القتال ووراء الجبهة ..

فهل نلام اذا تصورنا أن ابعاد الاسلام عن هذه الميادين ليس الا عملا لحساب اسرائيل ، او لحساب القوى التى تساندها كليــا أو جزئيا ؟

كل الدلائل تشير الى صدق هذا الاتهام ..

والغريب أن العرب فى تفلتهم من قيود الدين وآدابه ظهرت عليهم أعراض طفولة عقلية ونفسية مزرية ، فلم يتصرفوا مع عدو أو صديق تصرف الرجولة الناضجة ، والسيرة الواثقــة الجــادة ، بل على العكس ، كانت خططهم الحربية هزيلة وكانت مع هزالها مفضوحة ، وكانت خطبهم ذات رنين عال ولهجة مفزعة ..

فلما التقى الجمعان تكشف اللقــاء عن مهزلة ، بل اننا انهزمنا من غير قتال ، وانتحرنا دون أن نلحق بخصومنا ضرا يذكر ..

والمرتقب من كل عاقل أن يدرس هزيمته ، ويحدد عللها حتى يتجنبها مستقبلا .. فهل فعلت الدول العربية ذلك ؟ وهل رســمت سياســتها

التربوية والدعائية والعسكرية على ضوء ما مسها من كروب ؟ لم يقع شيء من هذا ..

واذكر أني كنت أتحدث مع مقاتل شهد معركة الصبحة فى الخمسينات فقال لى : والله لقد قاتلنا بشدة وعزم .

فقلت له : لكن اليهود استولوا على الموقع !!

فقال : اننا والله كبدناهم خسائر جسيمة ، غير اننا ما كنا نحصد منهم صفا بمدافعنا حتى ينبت مكانه صف آخر وهو يرتل الأناشيد الدينية ..

وهززت رأسى عجبا وأنا اسمع هذا الكلام ثم تساءلت بينى وبين نفسى : كم نشيدا دينيا يحفظه شبابنا ؟

كم آية قرآنية تغرى بالاستشهاد ، أو حكمة نبوية توحى بالثبات والتحمل يعيها ضباطنا وجنودنا ، ويرددونها فى ساعات الهول .. ؟

اذا كانت الحاجة أم الاختراع فالايمان ابو الاختراع وأمه ..

ان المؤمن يؤرقه طلب النصر ، ويفتق له وجوه الحيل ، ويبصره بانواع الخدع ، ويبعثه على التنقيب فى فجاج الأرض وآفاق السماء ، راصدا العدو ، مستعدا لمواجهته ..

أفذلك ما فعله العرب ؟ لا ، لأن بناءهم النفسى والاجتماعى لم ينهض على قواعد الاسلام .. ثم اعترتهم الطفولة الفكرية والخلقية التى ذكرناها ، فاذا هم ينكرون هزائمهم الثلاث خلال عشرين سنة ، ويزعمون انها ، أو بعضها كان انتصارا ..

وقد قرأت مقالات شتى تريد لتقنعنا بان الهزيمة ليست فقدان الأرض ، وضياع المعدات ، وخسارة الرجال !! لا إن الهزيمة عند هؤلاء شيء آخر لا تعرفه قواميس اللغة ولا مفاهيم الناس ، وهكذا ..

يقضى على المرء فى ايام محنته   حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

واحقر ما سمعته فى أعقاب هذه الهزائم تعليل الهزيمة باى شيء الا ضعف العقيدة والخلق ، وما ينشأ عن ضعف العقيدة والخلق ، من فوضى فى وضع الخطط ، وترتيب للرجال ، ونسيان الله ، والحرمان من توفيقه وتاييده ..

وضربت كفا على كف وانا اسمع الرفيق نور الدين الأتاسى يقول : ان سبب الهزيمة هو عدم التطبيق الكامل للاشتراكية !

ويوم يقع قياد العرب فى أيدى ساسة من هذا الطراز فهيهات أن ينجح لهم قصد ، أو تعلو لهم راية ، ولله فى خلقه شئون ٠

* * *

واعرف أن هناك من يعترض تفكيرى هذا ويستنكره ، انه الصنف المسكين الذى تخرج وفق البرامج الدراسية التى خلفها الاستعمار فى بلادنا ٠

قال لى أحد هؤلاء : تريد حربا دينية ؟ ان هذا اللون من الحروب انتهى مع العصور الوسطى ، سيروا مع الزمن واطلبوا حربا تحريرية معقولة ٠٠ !

وقلت لمحدثى : اننى لا أطلب حربا دينية ، انه قد فرضت على حرب دينية أتسمع ؟ ان الدولة التى تسمت باسم نبى قديم وألغت كل القوميات الحديثة ، وصهرت يهود اليمن مع يهود نيويورك فى أخوة دينية شاملة ٠ والهبت المشاعر الدينية عند النصارى المؤمنين بالعهد القديم ، وحركت ذكرياتهم الصليبية الدفينة ليهجموا على المسلمين معها ، هذه الدولة تعلن علينا أى نوع من الحروب أيها الانسان الذكى ؟

حرب أكل وشرب ؟

حرب رياضة وتسلية ؟

حرب مجد شخصى لملك مغرور ؟

انها حرب دينية فرضت علينا ! وما بد من أن نواجهها راضين او كارهين !

واقصاء الدين – وهو فى جبهتنا الاسلام – معناه هلاك الأبد ٠٠

فقال لى : لكن الحرب الدينية عنوان مثير ، وهو يجر علينا متاعب لا نستطيعها !!

فقلت له : ان الحرب الدينية عنوان كريه بالمفهوم الذى تعارف عليه الغربيون ، لأن هذه الحرب فى تفكيرهم وفى تاريخهم كانت تشن لفتنة ناس عن معتقداتهم بقوة السلاح ، أو لتغليب مذهب على آخر وادخال الناس فيه كرها ٠٠

وهذا المفهوم السىء للحروب الدينية لا نعرفه فى ماضينا ولا فى حاضرنا ، ومع هذا كله فلماذا يوصف دفاعنا عن ديننا وأرضنا وتاريخنا ومقدساتنا بأنه حرب دينية رجعية ؟؟

ولماذا سكتت أبواق الدعاية الغربية والشرقية عن هجوم اسرائيل علينا ، ووجهها الدينى ليس موضع جدال ٠٠

هل يبـاح لليهودية ان تعلن حربا علينـا دينية ، ولا يباح للاسلام ذلك ؟ وهو يدافع وهى تهجم ؟ ..

أم أن القضاء على الاسلام هدف مشروع ؟ وصياح أهله وهم يدفعون عنه عمل مستهجن ؟؟

لقد افلح الاستعمار فى خلق جيل يستحى من الانتماء لدينه ، ويرفض العمل تحت لوائه ، وهذا الجيل الذى صنعه الغزو الثقافى هو الطـابور الأول لا الطابور الخامس الذى ألحق بنا الهزائم ، ونكس رؤوسنا فى كل ميدان ..

ومن هنا يبدأ العمل الحقيقى للدعاة المسلمين ، من هذا الخط تبـدأ الجهود المضـنية لانقـاذ أمة امكن اعـداءها ان يوجهوها ضد نفسـها ورسالتها ..

من هذا الخط ينبغى أن تبدأ حركة احياء مستوعبة مستغرقة تصل حاضرنا بماضينا ، وتعرفنا من نحن ؟.

وما وظيفتنا فى الدنيا ؟ .

وماذا يراد بنا ؟ .

وماذا يراد منـا ؟ .

ان العمل بالاسلام ليس كفـالة لآخرتنا فقط بل هو ضمانة حياتنا الآن ..

وانها لحمـاقة كبرى أن نجهل رسالتنا التى اصطفانا الله لأدائهـا فنفقـد مكانتنا الأدبية والمـادية ، ونخسر الأولى والآخرة جميعا ..

* * *

ماذا يعنى قيام اسرائيل على انقاضنا ؟ يقول المؤرخ الانجليزى «ويلز» ان اليهود اتخذوا الرب كنزا وادخروه لجنسهم !!

واليهود الذين فعلوا ذلك من عشرات القرون لم يتغير فسادهم النفسى ولا غرورهم الجنسى ، ولقد كذبوا عيسى ومحمدا ـ وما زالوا يكذبونهما ـ لأنهما حاولا اصلاح هذا الفساد وقمع ذلك الغرور ..

واستئناف اليهود اداء رسالتهم الأولى يعنى توطيـد اركان الربا ، والخنا ، والتفرقة العنصرية ، واستغلال الشعوب ، كما يعنى تقطيع حبال الانسانية مع الله ، ونسيان اليوم الآخر ، واهمال الجوانب الروحية .

وذلك بداهة غير الاتيان على الرسالة الاسلامية من القواعد ، وتمزيق الشعب العربى كل ممزق ..

ونحن ، شئنا أم ابينا ، سندخل مع اليهود فى حرب بقاء أو فناء ، فاما انتصرنا عليهم واما أتم ابناؤنا ما عجزنا عنه ٠

فان نجح ابناؤنا فبها ونعمت ، والا فعلى الاحفاد استئناف النضال الى آخر الدهر ٠٠

ومع استمرار هذه الحرب الى ما شاء الله نريد أن نقول للمسلمين كلاما طويلا يدركون منه حقيقة رسالتهم وسر نكبتهم ٠

وهو كلام يعيدهم الى الصراط المستقيم ، ويقربهم من يوم النصر ، ويشرح لهم سنن الله التى تنطبق عليهم وعلى غيرهم ٠

فانه من المستحيل ان يرعانا الله اذا استبطنا نحن المسلمين خلائق اليهود الأقدمين مسخهم الله بمعاصيهم قردة وخنازير ٠

يستحيل أن يفعل الله هذا ، والذى سيقع أن يلتقى اليهود بأشباههم ثم تعمل القوانين الطبيعية عملها فينتصر الأذكى على الأغبى والأدهى على الأجهل وذاك ما كان !!

* * *

ظننت لأول وهلة ان حديث القرآن الكريم عن بنى اسرائيل انما كثر واستفاض بعد الهجرة النبوية أى بعد أن جمع اليهود والمسلمين وطن مشترك وجوار قريب ٠

ثم تبينت خطئى بعد أن تدبرت الوحى النازل فى مكة ، فقد ظهر لى انه تكرر ذكر بنى اسرائيل فى القرآن المكى تكرارا يشمل أغلب السور ٠٠

ولا عجب فقد ذكر اسم موسى فى القرآن نحو مائة وعشرين مرة ، فما ذكر اسم نبى ولا ملك بهذه الكثرة ولا تحدث الوحى عن أمة من الأمم الأولى كما تحدث عن اليهود ٠

لقد جاء ذكرهم فى الأنعام والأعراف والاسراء وطه ويونس وهود وجميع الحواميم والطواسين وسور أخرى كثيرة ٠

والسور التى احصيناها هنا مكية كلها ، وقوله تعالى : « **ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون** »(١) آية من سورة النمل المكية ٠٠

وعجيب واليهود فى مكة نفر لا يؤبه لهم ، أن يعنى القرآن بقصصهم كل هذه العناية ٠ !

ولقد سألت نفسى : ما السبب فى هذا السرد المفصل لتاريخ بنى اسرائيل ؟ فى مكة قبل المدينة ؟

---

(١) النمل : ٧٦ .

أهو تعريف المسلمين بحقيقة القوم الذين سيخالطونهم فيما بعد ؟ ان هذه اجابة غير مقنعة ..

وبعد تأمل غير قليل وجدت أن هذا التاريخ يحوى فى طياته العناصر الحقيقية لقيام الأمم ، واستقلالها بأمورها ، وازدهار حضارتها ، كما يحوى العناصر الحقيقية لانهيار الامم ، وذهاب ريحها ، واضمحلال أمرها ..

والقصص القرآنى من أبرز الوسائل لتربية الأفراد والجماعات ، وقد كان المسلمين المستضعفون فى مكة بحاجة الى ان يعرفوا كيف تحول اليهود الأوائل من ذل هائل ، الى تحرر وتمكين ، وما هى الفضائل التى لابد من استجماعها كى تبلغ الأمم هذه الغاية الكريمة .

وقد تولت السور المكية هذا الشرح ، ورأت القلة المستضعفة كيف تحول شعب تذبح صبيته ، وتستحيا نسوته ، الى شعب مكين فى الأرض سيد على ظهرها ! .

وقد سئل ابن القيم : أيمكن للرجل أولا ثم يبتلى ، أم يبتلى أولا ثم يمكن له ؟ فقال : يبتلى أولا ثم يمكن له . وتلا قوله تعالى : « **وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا ، وكانوا بآياتنا يوقنون** »(١) .

والآية من سورة السجدة المكية ، وهى تنبه الى أن الصبر واليقين أسس الكفاح الطويل الذى يصل بالأمم المناضلة الى هدفها ..

وقد أكد القرآن هذه الحقيقة الاجتماعية فى سورة الأعراف « **وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها ، وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا ، ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون** »(٢) .

وهكذا تفاوتت مصاير أقوام كانت بداية أمرهم متفاوتة أبعد التفاوت فالفراعنة يصدرون الأوامر بالقتل والسبى ، وحملة التوحيد يمضون فى الطريق المضرجة بالدماء والأحزان ..

فأما الأولون فقد جنوا عاقبة جبروتهم صغارا وانهيارا : « **وجعلناهم ائمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون . واتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة ، ويوم القيامة هم من المقبوحين** »(٣) .

أما الآخرون المعتصمون بحبل الله المستمسكون بعروة الايمان والتقوى، فقد ظفروا وعمروا : « **وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة ، وكانوا لنا عابدين** »(٤) .

---

(١) السجدة : ٢٤ .
(٢) الأعراف : ١٣٧ .
(٣) القصص : ٤١ ، ٤٢ .
(٤) الأنبياء : ٧٣ .

الا ان البشر كثيرا ما ينجحون فى امتحانات البأساء والضراء حتى اذا وسع الله عليهم وغمرتهم نعماؤه ، لم يحسنوا اجتياز الاختبار الجديد ٠

وما اكثر الذين حولتهم السلطة الى جبابرة متسلطين ، وحولتهم الثروة الى طغاة مستكبرين ٠٠

وكان من المنتظر من بنى اسرائيل ان يستغلوا تمكين الله لهم فى نصرة دينه واسعاد عباده ، الا انهم سرعان ما فتكت بهم جراثيم السطوة والثروة فلم يفلتوا من الجزاء المعد لأمثالهم : « **سل بنى اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ، ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب** »(١) ٠

وقد بين الله للمسلمين مراحل هذا التبديل لنعمة الله ، وأوضح مظاهره فى أخلاق القوم ومسالكهم ، وما فعل جل شأنه ذلك الا ليتجنب المسلمون المزالق التى هوت بغيرهم ، فان الامم لا تنكب جزافا ، ولا تساق اليها المصائب خبط عشواء ، ولكنها قوانين الله التى يخضع لها الأولون والآخرون ولا تقبل فيها شفاعة ، ولا يقف حكمها استثناء ٠

ان الله نحى أبناء اسرائيل عن المنصب الذى لم يقدروه قدره ، واستقدم العرب ليقودوا الانسانية حيث عجز أبناء عمومتهم ٠٠

والغريب أن التوجيه الذى قيل لهؤلاء قيل لأولئك على تباعد الزمان بين الفريقين ٠

ففى لذعة من لذعات الألم صرخ بنو اسرائيل بنبيهم موسى قائلين : « **أوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا ، قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون** »(٢) ٠

ترى اذا تحررتم وسدتم تحسنون وتعدلون ؟ أم ترتكبون الآثام وتستحلون المحارم ؟

وبعد أعصار طوال جىء بالأمة الاسلامية بعد اقصاء بنى اسرائيل الذين أساءوا وظلموا ، فماذا قال الله للأمة الجديدة ؟ قال : « **ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا ، كذلك نجزى القوم المجرمين ٠ ثم جعلناكم خلائف فى الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون** »(٣) ٠

ذات القول الذى قيل لبنى اسرائيل ٠٠ من قرون سحيقة ٠٠ !

فلنقارن بين تاريخ وتاريخ ، وعوج وعوج ، لنعرف ما لنا وما علينا ٠

---

(١) البقرة : ٢١١ ٠ (٢) الأعراف : ١٢٩ ٠
(٣) يونس : ١٣ ، ١٤ ٠

وهل وفينا أم غدرنا ، وهل ما أصابنا كان جور الليالى علينا ؟ أم هو صنع أيدينا وحصاد ما غرسنا ؟

* * *

اذا كلف الله أمة برسالة ، فيجب أن تكون أحوالها الظاهرة والباطنة ، ومعاملاتهـا الداخلية والخارجية صورة دقيقـة لهذه الرسالة ، صورة تحبب الآخرين فيها ، وتغريهم باعتناقها ٠

أما أن ينفر الدعـاة غيرهم من قبـول الدعوة ، فهذه هى الخيـانة الكبرى ٠٠ !

وحملة الدعوة المخلصون يخشون أن يقع لهم أو يقع منهم ما يكون حجابا للآخرين أو عائقـا عن تصديق دعوتهم ٠٠

وبهذا فسر العلمـاء قول المؤمنين : « **ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ٠ ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا** ٠٠ » (١) ٠

وكيف يكون المؤمنون فتنة للذين كفروا ؟

قال المفسرون : تصيبهم هزائم بسبب تقصيرهم فينظر الكفار الى هذه الهزائم ويقولون : لو كانوا على حق ما مستهم تلك المصائب ٠٠

ان الدعاة الصادقين يخشون أشـد الخشية أن يكونوا عبئـا على رسالتهم أو سببا للتحول عنهـا ٠٠

ولعل هذا سر قول النبى صلى الله عليه وسلم « من آذى ذميا كنت خصمه » ٠

لمـاذا ؟ لأن ايذاء الذمى ليس ظلما عاديا لواحـد من الناس ، كلا ، ان الذمى المظلوم سوف يعتقـد أن مصدر متاعبه هو دين المؤذى لا شخصه ٠

وبذلك يكره الدين وصاحبه وينصرف عن الدخول فيه ، فتكون مساءة فردية سببا فى كفـر أفراد وجماعات ٠

وبنو اسرائيل عاملوا الأمم الأخرى بأسلوب حافل بالدناءة والشرة ، وتواضعوا على أكل أموالهم ، واستباحة حقوقهم ، وافتروا على الله تعاليم يزعمون فيهـا انه ليس عليهم من حرج فى هذا اللون من السلب والاختطاف ٠

« **ذلك بأنهم قالوا ليس علينـا فى الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ٠ بلى من أوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين** »(٢) ٠

---

(١) الممتحنة : ٤ ، ٥ .

(٢) آل عمران : ٧٥ ، ٧٦

ولن تنكب امة رسالتها باسوا من صرف الناس عنها بهذه الطريقة الخسيسة ٠

ومن المؤسف أن المسلمين اثاروا أفق الدعوة الاسلامية ضبابا لا آخر له ٠ بقولهم وعملهم على سواء ٠

فتخلفهم العلمى مزعج ، وهبوطهم الخلقى شديد ، وهذا وذاك صدود عن سبيل الله وفتنة كبرى ٠٠ !!

وربما كان المسلمون فى معاملاتهم للأجانب عن دينهم وبلادهم أدنى الى الشرف والكرم ، بل ربما كانوا هم المغبونين المرجوحين ٠٠

بيد أن المسلمين بيقين لا يعطون صورة صحيحة ولا مقاربة للاسلام ٠

والشعوب المتطلعة الى التفوق العلمى ، والكرامة السياسية ، والرفاهية الاجتماعية ، والانتاج الواسع ، وغير ذلك من مظاهر الارتقاء الأدبى والمادى ، فى قنوط تام من ان يكون المسلمون نماذج لهذا أو لشىء منه ٠٠ !

وهذه الشعوب المتطلعة ترد الأمية الشاملة بين جماهير المسلمين ، الى الدين الذين توارثوه لا غير ٠٠ !

فاذا كانت تعاليم الاسلام فى الأوج وكانت حال المسلمين فى الحضيض فان هذا التناقض سيظل أبدا مثار ارتداد عن الاسلام ، أو اتهام له ٠٠ !

فهل تحسب أن الله يكرم أمة من الأمم بدين عظيم فتابى هى الكرامة ، ثم تعكس هوانها على دينها ، وبعد ذلك تفلت من العقاب الأعلى ٠٠ ؟

كلا ٠٠ ومن هنا تتابعت السياط الكاوية على الأمة المفرطة ، وتناولتها اللطمات من كل جانب ٠٠

وبلغ من ايجاع القدر للمفرطين أن اليهود كانوا هم الأداة التى ضربوا بها ! كان المسلمين لم يضربوا بعصا ، حين أخطأوا ، لقد ضربوا هذه المرة باخوان القردة ونعال الأرض ٠٠ !

وما من منكر ارتكبه أبناء اسرائيل قديما واستحقوا به غضب الله الا فعل المسلمون فى العصور الأخيرة مثله ٠٠ !

وكتابنا شاهد علينا ، فلننظر : ما الذى نسب الى هؤلاء ولنقارن بين ما وقع منا ، وما نسب اليهم ٠٠

أخذت المواثيق على بنى اسرائيل الا يسفكوا الدماء ، والا يروعوا الآمنين ، وألا يشردوا رجلا من بيته ، ويخرجوه من أهله ٠

فعلوا ذلك كله ، وفعلنا نحن مثله ..

تأمل قوله تعالى : « **وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون . ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان** » (١) .

وهذا الميثاق يتضمن — بلغة عصرنا — ضمانات لحقن الدماء ، وحفظ الحريات ، وإشاعة الطمأنينة .

والواقع أن القيمة العليا ، أو الميزة العظمى للمجتمع المتدين أن يكون الإيمان مصدر أمان لكل فرد فيه ، وأن يكون الإسلام مبعث سلامة وعافية ورضا ..

أما أن يحيا الضعيف قلقا على حرماته ، وأن يمشي في البلاد خائفا يترقب ، أما أن ينتفخ القوي ويبسط يده بالأذى دون رادع ، أما أن يستطيع ملاك السلطة اختطاف الناس من بيوتهم أو بتعبير القرآن الكريم اخراجهم من ديارهم فهذا وضع لا يستقر معه إيمان ..

ومن جوامع الكلم للنبي صلى الله عليه وسلم « الإيمان قيد الفتك ، لا يفتك مؤمن » أي أن الإيمان يغل اليد عن العدوان ويحجز عن الأذى .

وقد أخذ الله على بني إسرائيل — قديما — أنه لما قامت لهم دولة ، وملك بعضهم السلطة ، هانت عليه أخوة الدين ، فبغى ، وأفسد ، وقاتل ، وأسر ..

وقد نظرت إلى تاريخ المسلمين خصوصا هذه الأعصار ، فوجدته نسخة أخرى من خلال اليهود الذين قبح الشارع صنعهم ، وأوهى بهم بناءهم ..

حتى لقد خيل إلى أن الشعوب العربية من الخليج إلى المحيط ، دون غيرها من شعوب الأرض ، استمتاعا بالحقوق الطبيعية للانسان ..

ولقد رأيت بعض المعارضين يفرون من وجوه الحكام إلى أوروبا ، فاذا وراءهم من يقتلهم حيث لجأوا .. !

فماذا يقول الأوروبيون الذين لا يدينون ديننا ، في مثل هذه التصرفات ؟ وكيف يكون رأيهم في الإسلام وأهله .. ؟

أذكر أني منذ ربع قرن كتبت خاطرة بعنوان « حرب الحزازات وحرب العصابات » قارنت فيها بين ضحايانا من القتلى في الخصومات العائلية ،

---

(١) البقرة : ٨٤ ، ٨٥ .

وبين ضحايا الشعوب التى تقاتل من اجل حرياتها ، فوجدت ضحايانا اكثر في هذا الشقاق العائلى او هذا النزاع الداخلى بين المسلمين · !!

كان فينــا قوله تعالى : « **تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى** » (١) ·

والأمة التى يغرى بعضها على بعض ، تحرم عناية الله وبركته في الأولى والآخرة ·

* * *

وقــد عرفنــا كيف كرم الله بنى آدم ، وكيف نظر رسول الله الى الكعبة ثم قال : « ما أطيبك وأطيب رائحتك وما أعظمك وأعظم حرمتك ، والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك ، حرمة دمه وعرضه وماله » ·

ان هذه مقدسات ، ومع ذلك فان الجور استباحها ·

ولمـا كان الاسلام كلا لا يتجزأ ، فان الله عد استباحة بعض محارمه اضاعة لهـا كلها ، كما عد الكفر ببعض أنبيائه كفرا بهم جميعا « **أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خـزى في الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب ، وما الله بغافل عمـا تعملون · أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ، فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون** »(٢) ·

والتلويح بعـدم النصر اشارة الى أن وسائل القسوة والبطش لاتكسب ذويهـا عزة في الدنيا كما لا تكسبهم كرامة في الدار الآخرة ·

ومن خيانة الأمة لرسالتها أن تبرد عاطفتها تجـاه حقوق الله ، وان تجعل حبهـا وبغضها مرتبطا بمصالحها لا بمبادئها ·

ولو انك رأيت امرءا ينظر الى علم بلاده وهو يمزق مثلا ثم لا يبالى ، ما ترددت في الحكم عليه بانه خائن ·

كذلك عندما ترى تابعا لدين ما يستهين بشعائر دينه فما يعنيه حلالها ولا حرامها ، انك ما تتردد في اتهـام عقيدته ·

ويوجد ناس ما يسوءهم أبـدا أن تعطل الصـــلاة ، ولا أن تذبـح الأعراض ·

أهؤلاء بينهم وبين الله علاقة حسنة ؟ مستحيل ··

فاذا رأيتهم يصادقون تاركى الفرائض ، وفاعلى المناكر ، فهل يحسبون مع ذلك في عداد المؤمنين ؟ كلا ··

---

(١) الحشر : ١٤ .   (٢) البقرة ٨٥ ، ٨٦ .

عنـدما تحلل اليهـود من دينهم على هذا النحـو قال الله فيهم : « **ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا ، لبئس ما قدمت لهم انفسهم أن سخط الله عليهم وفي العـذاب هم خالدون . ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون** »(١) .

وظـاهر ان تقـاليد الخير تذبل وتتلاشى مع ضعف الحماس لها ، وان تقاليد الشر تنمو وترسو مع ضعف النكير عليها .

من اجل ذلك كانت الخصائص الاولى للامة التي تحمل رسالة الاسلام : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وكانت الشروط الأولى لانتصارها أن يكون هذا النصر طريقا لتكوين بيئة تزدهر فيهـا الجـادة ، ويسودها التراحم وتستحكم فيها الرقابة على السلوك العـام ، وتظهر العلامات الحمراء والخضراء باستمرار في طريق المبادىء والأخـلاق ، فما كان معروفا سمح له بالمرور ، والا وقف في مكانه واغلقت في وجهه كل الطرق .. !!

ذلك معنى قوله جل جلاله في سرد مؤهلات النصر « **الذين ان مكناهم في الأرض اقاموا الصـلاة وآتـوا الزكـاة وامـروا بالمعـروف ونهـوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور** »(٢) .

فهل ارض الاسلام الآن على هذا المستوى الشريف الغيور اليقظ ؟ أم ان العلل الخلقية والاجتماعية استوطنت بلادنا ، وغفا الحراس عنهـا او غطوا في نوم عميق ؟ .

في اليهود الذين وبخهم الوحي الالهي ، وورد لعنهم على لسان المرسلين نقرأ قوله تعـالى : « **وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان واكلهم السحت ، لبئس ما كانوا يعملون . لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت ، لبئس ما كانوا يصنعون** » (٣) .

فهل هذا الوصف للمجتمع اليهودي اللعين وحـده ؟

أم تراه صادقا على مجتمعات شتى في العواصم الاسلامية الصاخبة بالعصيان ودواعيه ، الطافحة بجراءة الفساق ، وجبن العلماء ؟

ايحسب عاقل ان هذه اسباب النصر والتحرر ؟

ان في بلادنا من يدافع عن حرية الالحـاد ، والسكر ، والزنا ، بلسان

---

(١) المـائدة : ٨٠ ، ٨١ .
(٢) الحج : ٤١ .
(٣) المـائدة : ٦٢ ، ٦٣ .

طلق ، فاذا حدث عن حرية الايمان والعفاف واليقظة الفكرية والأدبية امتعض واشماز فهل يجر الهزيمة والعار الا مثل هؤلاء الدواب ؟؟

والله عز وجل ما أكرم أحداً قط لصورة اللحم والدم ، انما اكرم من عباده من زكت شمائلهم ، وطهرت سرائرهم ، وصلحت علانيتهم ، وساروا فى أرضه دعاة له ، يمجدون اسمه ، وينفذون حكمه ، ويرفعون علمه ٠٠

من استجمع هذه الخلال فهو سيد ، وان كان الجنس الأبيض او الأصفر او الأسود ، فما للون ولا للنسب وزن عند الله ٠

وقد ذكرنا أن بنى اسرائيل كرموا ونعموا ، يوم حملوا رسالة التوحيد ، وتحملوا فى سبيلها العنت ٠٠

ثم زعموا بعد ذلك ان تكريمهم وتنعيمهم ليس لهذه الاسباب ، انما هو لأنه بينهم وبين الله صلة خاصة ، جعلت جنسهم ممتازا على الخلق كافة ٠٠

بم هذا الامتياز ؟ لقد قال الله لهم ولمن زعم زعمهم « **بل أنتم بشر ممن خلق** »(1) ٠

والغريب أنه فى هذا العصر الأعجف فعل العرب مثل ما فعل اليهود الأقدمون ، فقالوا : نحن عرب ، عظمتنا ليست من رسالة الاسلام التى درسناها وطبقناها ، لقد كنا أمة عريقة قبل ان يجئ الاسلام ، ويمكن أن نكون امة عريقة بعيدا عن تعاليم الاسلام ٠٠ !

ومن ثم قامت فى بلاد العرب نهضات تؤخر الدين وتقدم الجنس ٠

وهذا كلام من أبطل الباطل ، فالعرب قبل الاسلام كانوا أمة نكرة ، وبغير الاسلام سيكونون ذيلا للبشرية ٠٠

ولا أعرف أقواما يستحقون أن تملأ أفواههم بالبعر كهؤلاء العروبيين السخفاء ٠٠

ان نبذ الوحى الالهى والافتخار بمكانة مفتعلة عند الله او عند الناس أمر عابه الله على بنى اسرائيل ، ويعيبه على العرب ابناء اسماعيل ٠

وفى هؤلاء واولئك يمكن ان يساق قوله تعالى « **الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ٠ ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات ، وغرهم**

---

(1) المائدة : 18 .

فى دينهم ما كانوا يفترون . فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » (١) .

ومما يندى له جبين المسلم المخلص فى هذه الأيام السود أن اليهودى الأمريكى طرح جنسيته وجاء فلسطين باسم الدين .

أما العرب فيقــال لهم : انسوا الدين واعتصموا بجنسيتكم العربية وحــدها .

فماذا كانت النتيجة ؟

اضاعت القومية العربية فلسطين ، وظفر بهــا اليهود واقاموا بهــا اسرائيل ..

ان الكوارث العسكرية التى اصابتنا خلال هذه السنوات العشرين مزقت الملاءة المسدلة على جسم ممدد معتل تسرح الجراثيم القــاتلة فى اوصاله طولا وعرضا .

واظنه ظهر لكل ذى عينين ان الأمة الرائعة ، الفارعة ، التى طوقت بالاسلام فى المشارق والمغارب ، قــد استحالت أمة واهية الخلق ، معوجة السلوك ، ضعيفة الأخذ لربها ولنفسها ، يفكر شبابها فى الملذات العــاجلة ، ويتسابق نساؤها وراء الزينات الفاضحة ويذهل حكــامها عن شرائع الله وحدوده المقررة ، وتتقطع علاقاتهم الروحية والاجتماعية به فما يصطفون ذ، فى الصلوات الجامعة والعبادة الخاشعة ..

أفهــذه مؤهــلات النصر المرتقب ، ومستنزلات التاييد الأعلى من المعز المذل ؟؟ .

وزاد الطين بلة أن الأمة التى استرخت قبضتها على تعــاليم السماء عجزت كذلك أن تمسك بأسباب النجاح الدنيوى المعتاد ..

فظلال فشلها الدينى امتدت الى شئونها الاقتصادية والفنية والادارية فاصبح العمل الانسانى الميسور للآخرين يخرج من بين يديها كمــا يخرج السقط من بطن الأم لا تعرف له ملامح ، ولا يرجى له بقــاء !!

وقد رمقت ببصر دامع وقلب مكلوم معركة سيناء الأخيرة .

كان قائد الأعداء واسع الخبرة والحيلة ، وصل الى منصب القيــادة بعد ما دمى بدنه ، وهو يصعد من السفح الى القمة ..

---

(١) آل عمران : ٢٣ — ٢٥ .

وكان كما ظهر من سيرته محدود الشهوة ، معدود الفكرة ، خدوما لعقيدته ، معتزا بدينه وكتابه ، يقود جيشا على غراره ايمانا ونظاما ٠٠

أما نحن فقد اجتمعت فى قيادتنا نقائص كل الصفات التى توفرت لدى عدونا ٠٠٠

فهل كان الحكيم الخبير يلغى سننه الكونية وقوانينه الأزلية الأبدية فيجعل الفوضى تهزم النظام ، والهوى يغلب العقيدة ٠٠ ؟

لقد انتهى العرب الى النتيجة التى صنعوا هم مقدماتها ، دينا ودنيا ٠

وسيبقون على خط الهزيمة ما بقيت تلك المقدمات مرطدة لديهم ٠٠

ولقد كشفت هذه الهزائم — خلال السنوات العشرين ، بل منذ وعد بلفور ١٩١٧ أن الأدوية التى وصفها الزعماء السياسيون للامة المريضة ، لم تكن ادوية شافية بل كانت سموما كاوية ٠٠ فان هؤلاء الزعماء تشابهت قلوبهم فى مخاصمة الدين ونبذ شرائعه وفضائله ٠٠ ثم اختلفوا ٠٠

فمنهم من أعلن كفره بالاسلام عقيدة وشريعة وعبادة وتقاليد وأخلاقا٠

ومنهم من طوى هذا الكفر فى صدره — من باب السياسة والكياسة وخداع الجماهير — ثم مضى فى طريقه يبعد الأمة عن دينها عمليا ، فلا يرى نورا للاسلام الا أطفاه ولا نشاطا الا عوقه ٠

وخلال هذه المدة المتطاولة من ١٩١٧ الى الآن استطاع اليهود — باسم الدين — أن يحولوا وعدا خياليا الى حقيقة واقعة ٠٠

أما نحن الذين ابعدنا الاسلام عن المعركة ، فقد ظللنا نتدحرج حتى بلغنا الوهدة التى سقطنا فيها ٠ وها نحن أولاء نحاول جاهدين أن نخلص منها ، وأن نقف على اقدامنا مرة أخرى ٠٠

ومن العجز أن نولول فى آثار نكبة لحقتنا ، الا انه من العقل ان نحول دون تكرار هذه النكبات ٠٠

ومن العقل أن ننصح المخطئين ، وأن نصدهم عن المضى فى طريق الخطأ القديم ٠

واذا كانوا لا يحسنون الا السير فى هذا الطريق فليذهبوا الى حيث ألقت ويتركوا الأمة الاسلامية تعود الى دينها ، وتعالج قضاياها بمنطق العقيدة والجهاد ٠٠

الا فليعلموا انه عرض على اليهود وطن تومى لهم فى أوغندة ، وفى مهاجر أخرى ، فأبوا الا فلسطين ! لماذا ؟ ٠

قالوا : هناك نداء الايمان والذكريات والتاريخ الأول ٠٠

وانقـاد الاستعمار لهم ، ومنحهم أرضنا ٠٠

فلنتدبر هذا المنطق اليهودى ، ولنقس به مقررات أحد المؤتمرات العربية التى انعقدت من بضع سنين ورأت أن قضية فلسطين ، قضيـة عربية بحتة وقالت للمسلمين فى كل مكـان : لا شأن لكم بهـا ٠٠ !!

أى لغو هذا وأى افك ؟؟

ان قضية فلسطين طول ادوار التاريخ قضية دينية والغزاة الجـدد هجموا ــ كما زعموا ــ ملبين نداء الدين ٠

فلحساب من توصف قضية فلسطين بأنها عربية من شأن العرب ؟

ان الذين فعلوا ذلك لم يحرفوا مفهوم القضية فقط ، ولم يحرموها تأييد جماهير المسلمين فقط ، بل فعلوا ذلك ليمسخوا معناها الحقيقى عند العرب أنفسهم ولينفسوا عن حقـد ضـد الاسلام تعلموه من زبانية الغزو الثقـافى المسيطر على تيارات الفكر فى بلادنا ٠٠

ان عاطفة التـدين تشـد زناد النشاط الانسانى بقـوة ، وتبلغ به أبعـد الآماد ٠

وعندما يفقـد المسلمون هذه العاطفة بتأثير الاستعمار الثقافى ، فمعنى ذلك أن أمريكـا أمدت اليهود لا بخمسين طائرة حديثة ، بل بخمسـمائة طائرة ، لا بل بعدد لا يحصى من المقاتلات التى تدك حصون العرب ، وترغم جيوشهم على الفرار ٠

ان فقـدان العرب لعاطفة التدين وهم يقاتلون اسرائيل يساوى حصول اسرائيل على القنبلة الذرية !!

على أننا لا نطلب العودة الى الاسلام لتكون هذه العودة انقاذا لسمعة العرب السياسية والعسكرية ، واستردادا لخسائر لم ينقطـع الى اليـوم سيلها ٠

لا ، ان هذه النتيجة المحققة سوف تجىء من تلقـاء نفسها ٠

ولكننـا نطلب العودة الى الاسلام ، لان الاسلام حياتنا ورسالتنا ، ومعاشنا ومعادنا ، واختيار الله لنـا ، وتشريفه لمـاضينا ومستقبلنا ٠٠ !

فكيف نرتد على أعقـابنا وننسى الرسالة العظمى التى آثر الله بهـا جنسنا ولغتنا ، ورفع بهـا قدرنا وتاريخنا ؟

ثم ماذا أفدنا من جحد الاسلام ٠٠ ؟

الهزائم التى تسود بها الوجوه ، والتى جعلت البغاث يستنسر بأرضنا والتى حقرتنا عنـد أنفسنا وعند الناس ؟

الا انه لا يعترض العودة الى الاسلام الا أحـد رجلين :

مرتـد يكره هذا الدين ، ويميل بهواه مع أعـدائه الكثيرين فى الشرق والغرب ٠

أو جاهل يظن التمسك بالاسلام رجعية توصم بالتعصب ، ويرى فى القومية المجردة طريقـا لبنـاء الدولة الحديثة بعيدا عن الطائفية وشتى التهم ٠

فها نحن أولاء ، ندور فى عاصفة تريد اقتلاع جذورنا ، ومحو أوطاننا فماذا كسبنا من هذه القومية الكـافرة ؟ ٠

لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم ٠٠ لا نجـاة للعرب الا اذا ألقوا انفسهم فى احضـان الاسلام ٠

* * *

ونعود الى ما يزعمه اليهود من أن لهم حقـا تاريخيا فى هذه المناطق ٠٠

من هو اسرائيل الذى يتمسحون باسمه ؟

لقـد كان رجلا صالحا يحيا مع أولاده فى بادية الشام ، كان رب أسرة كبيرة من هذه الأسر التى تنتظر رزق الله فى أرضه الواسعة ٠٠٠

لم يكن صاحب اقطاعات ضخمة ، ولا سلطة معروفة ، وما يزيد عن غيره من البدو الا بدعوة التوحيـد التى حرص عليها ٠٠

وكان أولاده حاشا يوسف الصديق اصحاب خلق ردىء ، وغـيرة ذميمة ! ٠٠

وعندما أجدبت البادية وتعرض سكانها للمجاعة استضاف يوسف اباه واخوته ليجدوا فى مصر كهفـا يأوون اليه ويطعمون من خيره ٠٠

وشكرا لهذه النعمة ، وتنويها بحقها ، وتوديعا للماضى المؤسف جاء على لسان يوسف لأبويه واخوته « **ادخلوا مصر ان شـاء الله آمنين** » (١) وقوله كذلك « **وقد أحسن بى اذ اخرجنى من السجن وجاء بكم من البـدو من بعد ان نزغ الشيطان بينى وبين أخوتى** » (٢) ٠

فهل اذا استضافت مصر اسرة محرجة كان ذلك صك عبودية لمصر ؟ اى ضيافة فى الدنيا تتبعها هذه المزاعم ؟ ٠

---

(١) يوسف : ٩٩ ٠ (٢) يوسف : ١٠٠ ٠

ما كان اسرائيل صاحب حقوق في بادية الشام ، ولا كان صاحب حقوق في وادي النيل ..

ثم نمت العائلة الضيفة ووقعت بينها وبين المصريين جفوة لم تتبين أسبابها بجلاء ، هل ترجع الى أن أفرادها كرهوا الاندماج في الشعب المصري ؟ أو ترجع الى أن أفرادها لم يشتركوا في مقاومة الغزاة الذين هاجموا مصر ؟ أم كلا الأمرين ؟ .

الا أن هذه الجفوة حولها فرعون الى حرب ابادة لا عدل فيها ولا رحمة ..

وقضت حكمة الله الا يتجاور الشعبان في أرض واحدة فبعث موسى بطلب معقول ، هو السماح لبني اسرائيل بمغادرة البلاد فناشد موسى فرعون أن يقبل ذلك « **فأرسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم ، قد جئناك بآية من ربك ، والسلام على من اتبع الهدى** » (١) .

الا أن جنون العظمة استبد بفرعون ، وأبى الأحمق الا أن يدخل في عناد مع القدر ، انتهى آخر الأمر بمصرعه .

ونجا بنو اسرائيل من العذاب المهين واراد موسى أن يدخل بهم فلسطين ليجدوا فيها الأمن الذي ينشدون . وكانت فلسطين عصرئذ مسكونة بنفر من الجبابرة العتاة ، وما كاد نبؤهم يقرع مسامع بني اسرائيل حتى ضجوا من الفزع ، وأبوا اباء تاما أن يجيبوا موسى الى طلبه ..

ومنذ ترك موسى وقومه مصر أخذت المخازي النفسية لليهود تتكشف ويظهر أن هذه المخازي كانت مطوية تحت ثياب الذل والمسكنة ، فلما شعروا بالتحرر أخذوا يجمحون يمنة ويسرة دون ضابط ..

وكان موسى أول من تعرض لأذى قومه ، وسوء عشرتهم . واستجابتهم وتقديرهم « **وإذ قال موسى لقومه ياقوم لم تؤذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم ، فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ، والله لا يهدي القوم الفاسقين** »(٢)

وقضت حكمة الله أن يؤدب بني اسرائيل فأتاههم في صحراء سيناء أربعين سنة مات خلالها هذا النبي الكريم وهو ضائق بقومه . وهلكت في التيه الأجيال التي لا تصلح للحياة والجهاد ، ونبت جيل آخر كتب الله له أن يدخل فلسطين .

نعم دخلها لينفذ فيها سنة كونية لم يمض كبير وقت بعدها حتى تطبق عليه نفسه هذه السنة الصارمة ، فتنفذ فيه كما نفذت فيمن سبقه ..

---

(١) طه : ٤٧ .

(٢) الصف

ان الجبابرة الســابقين احتلت ارضهم وغلبوا على امرهم ، ثم جـاء بنو اسرائيل من بعدهم ليقيموا حكما دينيا صالحا يوفر لهم ولغيرهم الأمان والايمان ٠

وكانت التوراة بين أصحابها دينا ودولة وكان لهم فيها هدى ونور ٠

فهل أقام بنو اسرائيل ذلك المجتمع المنشود ، وأخلصوا لله فيه ؟ ٠٠

انهم سرعان ما فسقوا عن أمر الله واستشرت فيهم العلل التى أومانا اليها آنفـا ٠

فاذا بختنصر وقومه يهجمون على المتدينين الكذبة ، ويدمرون هيكلهم، ويسوقون الألوف المؤلفـة من شبابهم أسرى الى « بابل » وانهارت اسرائيل ولمـا يمض على تكوينها زمن يذكر ٠٠

ومنح الله بنى اسرائيل فرصة ثانية ، فتحرروا من الأسر البابلى واستردوا قواعم الضائعة ، وأقاموا الهيكل ، واستأنفوا تاريخهم ، بيـد أن العلل الكامنة فى دمائهم لم تفارقهم ، وتفاقمت شرورهم بالعدوان على رسل الله واستباحة دمائهم ٠٠

وقد أنهى الرومان الحكم الاسرائيلى الثانى ، واحتلوا فلسطين كلها ٠٠

فكم تظن مدة الحكمين اليهوديين لفلسطين ؟

قرابة مائة وثلاثين سنة !!

ولم يكن هذا الانهيـار السياسى ختام الوجود الدينى لليهود ، بل كان ختام وجودهم الدينى كما ذكرنا تكذيبهم لرسالة عيسى ابن مريم فان الله جل وعز نقـل النبوة بعـدها الى العرب ٠

وبذلك انتهى دور بنى اسرائيل فى توجيه الضمير البشرى ٠

هل حكم بنى اسرائيل لبقعة ما فى الشرق الاوسط قرنا أو قرنين يعطيهم فيهـا حقوقا أبدية ؟

اللهم ، لا ٠٠ !!

ان عمر بن الخطـاب لمـا تسلم القدس من بطريقها المسيحى اشترط عليه هذا البطريق الناصح الا يدخل اليهود القدس !!

وليتنا تذكرنا هذا الشرط ولكننـا ننسى ٠

وقد عرف المؤرخون أن تسامحنا الدينى خلال تاريخنا الطويل تحول الى غفلة دفعنا ثمنها فادحا ٠٠

على أن اليهود أنفسهم يجب أن يعلموا أن ما يدعون من حق في فلسطين لايقوم على سناد ديني محترم ، فهم لم يغيروا شيئا من خلائقهم التي أحلت بهم سخط الله في الدنيا والآخرة ٠٠

هم يعلمون أن لعنة الله تتبعتهم وهم يفرون من بلد الى بلد ، فماذا صنعوا للخلاص منها ؟

لا شيء ، انهم وراء جميع الأزمات الروحية والمادية التي تدوخ الجنس البشري ، وتميل به عن الصراط المستقيم ٠٠

والذين يختبئون وراء اسرائيل يعلمون أن الوجه الديني لربيبتهم يخفي وراءه نيات سوداء للبشرية جمعاء ٠

والحق أن اسرائيل تجسيد لكل الأحقاد التي طفحت ضد العروبة والاسلام ٠

وأن الأساس الوحيد لقيامها لا يلتمس في المشارق والمغارب ، وانما يلتمس في منطقة الشرق الاوسط هذه ، أعني قلب الامة العربية ٠

ان تفريط العرب في الاسلام ، ونسيانهم لرسالتهم العظمى ، وتحولهم الى شعوب متعطلة متبلدة هو الذي خلق هذه المأساة ٠٠

اننا لم نخف الله فخوفنا الله بذباب الأرض ٠

وجعل الأقربين والأبعدين ينظرون بشماتة وازدراء الى جراحاتنا التي لا ينقطع لها نزيف ٠

ان عشرات الدول الكبرى والصغرى نظرت الى اللص يسطو على البيت ، فانضمت اليه ضد رب البيت الذي شرع يدافع بدهشة ولهفة عن مسكنه !!

انه يدافع منتظرا أي عون انساني من أولئك المتفرجين على المعركة ٠

وهيهات ٠٠

ولو تسللت الى ضمائر هؤلاء المشاركين في الهيئة الدولية لوجدتهم يقولون : هذا اللص أولى من الحيوان الذي يقطن الدار !

انها داره ولكنه لا يستحقها ٠٠ !

تلك هي سريرة عدد كبير من الدول التي تسخر من ضعفنا ، وبالتالي تحكم علينا لا لنا ٠٠

والسبب ؟

السبب نحن لا غيرنا ، وذلك أرفق عقاب ينزله الله بأمة تخلت عن دينه ، وأدارت ظهرها لتعاليمه ٠٠ !!

وسوف يبقى الوضع كذلك حتى نذكر أننا مسلمون ٠

وأن الاسلام يفرض علينا تشكيل أوضاعنا الخلقية والفكرية والاجتماعية والتشريعية على نحو آخر ٠

عندئذ تطلع الشمس وتختفى الأشباح (١) ٠٠

* * *

---

(١) يمثل هذا الفصل شطر المحاضرة التى ألقيتها فى دار الاصلاح الاجتماعى بالكويت فى رمضان ١٣٨٨ ، أما شطرها الآخر فقد وزعته على بعض الفصول الأخرى اللاحقة.

وجمعية الاصلاح بالكويت تنهض بعبء جليل فى خدمة الدعوة الاسلامية وتقف بصلابة فى وجه التيارات المنحرفة ، أنجح الله جهدها وسدد خطاها ..

يهودية وصهيونيـــة ٠٠ ؟

سمعته يقول : اليهودية شىء والصهيونية شىء آخر ٠٠ !

اليهودية دين سماوى كالنصرانية والاسلام ٠

اما الصهيونية فنزعة سياسية متطرفة استغلها الاستعمار الغربى لبلوغ مآربه ٠

اليهودية دين قديم له مصادره المقدسة ٠

أما الصهيونية فحركة حديثـة ولدت فى نهـاية القرن التاسع عشر للميـلاد ، وغذتها ونمتها ظروف عنصرية ودولية طارئة ٠٠

قلت له : تعنى ان اليهودية لا أطماع لهـا فى فلسطين ، وأنها لم تبيت عدوانا على العرب الآمنين ، وأن التوراة والتلمود وسائر الأسـفار المقدسة بريئة مما تفعله دولة اسرائيل ، وأن الحرب المعلنة علينا من خمسين سنة ليست دينية !!

قال : نعم هذا بدقة ما أريـد أن أذكره !! ٠٠

قلت : او لو قرأت عليك من نصوص الكتب المقدسة ما يدحض هذه الاوهام ؟ ٠

قال : كيف ؟ يستحيل أن تتضمن هذه الكتب استباحة أرضنا وجنسنا والاستهانة بحقوقنا المؤكـدة ؟!

قلت : بل سأقرأ عليك من الكتب المقدسة المتداولة بين أيدى القوم ما يزيح هذه الغشاوة عن الأعين ، وما يشرح أن فلسطين كانت ملكـا لبنى اسرائيل خاصا بهم ، وأنهم أجلوا عنهـا عقابا الهيا للآثام التى ارتكبوها ، وأن الاله الذى عاقبهم تجاوز — بعد — عن سيئاتهم ، وقرر اعادتهم الى أرضهم الأولى كى تفيض عليهم سمنا وعسلا وخمرا ، وأن هذا الاله ندم على ما فعل بشعبه المختار ، ورد اليه مجده ، ووطنه ، كى تتوطد سلطته وسيادته على أنقاض غيره من الأمم ٠٠ !!

هكذا تقول صحائف التوراة والتلمود واصحاحات العهـد القـديم التى يتعبد اليهود فى المشرق والمغرب بتلاوتها ، والتى يستوحـون منهـا سياستهم فى القـديم والحديث على سواء !!

وعلى ضوء هذه السطور المقدسة (!) بل على نارها المحرقة أكلت حقوق العرب ، وتواصى الأوروبيون والأمريكيون باجتياحها ٠٠ !

ثم جاء اليهود فى الوقت المناسب ليتسلموا أرض الميعاد التى حدثتهم كتبهم عنها ، وباشروا حرب الابادة التى لا بد عنها ليسود جنسهم ، وتقوم مملكتهم ·· !!

وقد كانوا فى اقبالهم من شتى القارات الى فلسطين معبئين بشعور دينى عارم تعمل من ورائه هذه النصوص ، كما انهم فى بنائهم دولة اسرائيل ومقاتلتهم العرب أصحاب الأرض ، كانوا مفعمين بهذه العاطفة الدينية المرتكزة على كلمات التوارة والتلمود واصحاحات العهد القديم !!

قال الرجل : أين هى تلك النصوص التى تشير اليها ؟

قلت : انصت وسأضع بين يديها ما يشرح رأينا نحن المسلمين فيها ·· فاننا معشر المسلمين نؤمن بموسى وتوراته ·· أما ما دونه جامعو العهد القديم ونسبوه الى الله فأمر آخر يتجاور فيه الحق والباطل والجد والهزل !!

ربما كان قريبا من الصدق أن الله شتت بنى اسرائيل لما اقترفوه من ذنوب ·

وفى القرآن الكريم شرح دقيق لذلك جلونا طرفا منه فيما مضى ··

ومن ثم فنحن نقبل اجمالا ما ورد فى صحف العهد القديم من أسباب النكال ببنى اسرائيل والحكم بتمزيقهم فى أرجاء الأرض ··

ولنقرأ معهم هذه الكلمات الواردة فى كتبهم ··

« لأجل ذلك قال السيد الرب : من أجل أنكم ضججتم أكثر من الأمم التى حواليكم ، ولم تسلكوا فى فرائضى ، ولم تعملوا حسب أحكامى ، ولا عملتم حسب احكام الأمم التى حواليكم ·

لذلك ــ هكذا قال السيد الرب ــ ها انى أيضا عليك(١) ، وساجرى فى وسطك أحكاما أمام عيون الأمم ، وأفعل بك ما لم أفعل ، وما لن أفعل مثله بعد بسبب كل أرجاسك ! ·

لأجل ذلك تاكل الآباء الأبناء فى وسطك ، والأبناء ياكلون آباءهم ، وأجرى فيك أحكاما واذرى بقيتك كلها فى كل ريح » (٧ ــ ١٠ : الاصحاح الخامس ، حزقيال) ·

« من أجل انك صفقت (٢) بيديك ، وخبطت برجليك ، وفرحت بكل

---

(١) الخطاب لاورشليم أو بيت المقدس .

(٢) الخطاب هنا للشعب الاسرائيلى .

اهانتك للموت على أرض اسرائيل · فلذلك هانذا أمد يدى عليك ، وأسلمك غنيمة للأمم ، وأستاصلك من الشعوب ، وأبيدك من الأراضى ، اخربك فتعلم انى أنا الرب » (٦ ـ ٧ : الاصحاح الخامس والعشرون حزقيال) ·

« ويكون فى ذلك اليوم ، يقول الرب : أنى أقطع خيلك من وسطك ، وأبيـد مركباتك · وأقطع مدن أرضك ، وأهدم كل حصونك ، وأقطع السحر من يدك ، ولا يكون لك عائفون·

وأقطع تماثيلك المنحوتة ، وأنصابك من وسطك فلا تسجد لعمـل يديك فيمـا بعـد · » (١٠ ـ ١٣ : الاصحاح الخامس ، ميخا) ·

« الى الجلاء الى السبى يذهبون · والرئيس الذى فى وسطهم يحمل(١) على الكتف فى العتمة ويخرج ، ينقبون فى الحائط ليخرجوا منه · يغطى وجهه لئلا ينظر الأرض بعينيه ·

وأبسط شبكتى عليه فيؤخذ فى شركى وآتى به الى بابل الى أرض الكلدانيين ولكن لا يراها وهناك يموت ··

وأذرى فى كل ريح جميع الذين حوله لنصره وكل جيوشه ·

وأستل السيف وراءهم · فيعلمون انى أنا الرب حين أبددهم بين الأمم وأذريهم فى الأراضى ·

وأبقى منهم رجالا معدودين ، من السيف ، ومن الجوع ، ومن الوباء ، لكى يحدثوا بكل رجاساتهم بين الأمم التى يأتون اليها فيعلمون أنى أنا الرب » · (١١ ـ ١٦ : الاصحاح الثانى عشر ، حزقيال) ·

ونحن نجزم بأن الله لعن بنى اسرائيل لعصيانهم وعدوانهم ، ونستفيد هذه الحقيقة من كتابنا الوثيق قبل استفادتها من أى شىء آخر ··

مهل تغير من خلائق اليهود ما استحقوا من أجله اللعنـة ، لقد مرت آلاف السنين على هذا الشعب المطارد ، قاتل الأنبياء ، المتمرد على وحى السماء ! ، وبعث الله عيسى اليهم فكذبوه وحاولوا قتله ، وبعث اليهم محمدا من بعده فكذبوه وحاولوا قتله ، وتتابعت الأعصار وهم حيث حلوا فى أرض الله نماذج للأثرة والقسوة وأكل الربا واشاعة الخنا ··

بيد أن كاتب العهد القديم وعد اليهود بأنهم سيعودون الى فلسـطين التى نفوا منها !

---

(١) يعنى ان ملكهم سيكون كالسوقة فى المهانة .

وتوارث القوم هذا الأمر ، وأحسوا كأن هذا القطر ارث لا بد أن يؤول اليهم ، وأن غيرهم طارىء عليه يجب أن يزول ..

وعلى هذا الأساس عومل العرب ، وعولج وجودهم التاريخى والدينى !!

ولنقرأ هذه الكلمات من العهد القديم : « برائحة سروركم أرضى عنكم ، حين أخرجكم من بين الشعوب ، واجمعكم من الأراضى التى تفرقتم فيها ، وأتقدس فيكم أمام عيون الأمم ! فتعلمون أنى أنا الرب حين آتى بكم الى أرض فلسطين ! الى الأرض التى رفعت يدى لأعطى آباءكم اياها » . (٤١ — ٤٢ من الاصحاح العشرين : حزقيال) .

أى نشوة دينية عارمة تغمر اليهود وهم قادمون من كل فج وصوب أرض فلسطين ؟ وهذا النص الدينى يسوقهم .. !

وقبل أن أستطرد فى ايراد النصوص الدينية التى تحدث اليهود عن أرض الميعـــاد ، وعن قيـــام دولة جـديدة لهم لابد من أن أقف لأشرح وأشرح .. !

ان بنى اسرائيل لم يحدثوا توبة يستحقون بها الرحمة العليا ، فهم تائهون عن الحق فى مجال الاعتقاد والعمل ، وهم وراء أزمات الايمـــان والأخلاق التى تزلزل الكيان البشرى ، وتهددهم بالدمار الشامل ..

وعودتهم الجزئية الى فلسطين ترجع أولا الى طبيعة الجبهة المناوئة لهم ، أو الى أصول الأمة التى ورثت الدعوة من بعدهم — كما أسلفنـــا شرح ذلك فى الفصل السابق — .

ان العرب تخلوا عن قيادة الدعوة العالمية للاسلام .

بل تجردوا من جملة فضائله وعزائمه .

بل تسلمت السلطة فى بعض أقطارهم حكومات ترفض الاسلام دولة وتكرهه نظاما (!) .

فى هذا الليل المعتكر من الفتن المتلاحقة قد يأذن الله لليهود بعودة لا قرار لها ، لأن اليهود لا يحملون بذور رسالة انسانية صالحة ، ولأن حملة الرسالة الاسلامية الباقية سوف يستفيقون من غفلتهم أو يتغلبون على هزائمهم ، ويستأنفون مقاتلة اليهود حتى يجهزوا عليهم ..

أليس من تعاجيب الليالى أن تتخلى الأمة العربية عن الاسلام ؟ عن الحق الذى رفع الله به قدرها ؟ وتزعم وسائل الاعلام بها أن قضية فلسطين ليست اسلامية ! وذلك فى الوقت الذى يتشبث العبريون فيه بتوراتهم ويعدون فيه فلسطين قسمة الهية لهم ؟؟

وهل يبحث عاقل عن سر هزائم العرب بعد هذا التفاوت الهائل فى الروح المحرك لكلا الفريقين ؟ ٠

فنقرأ عن أرض الميعاد لا كما يتحدث كتاب الصهيونية ، بل كما يتحدث العهد القديم نفسه ، لنقرأ هذا النص الطويل :

« لذلك فقل لبيت اسرائيل — هكذا قال السيد الرب — ليس لأجلكم انا صانع يا بيت اسرائيل بل لأجل اسمى القدوس الذى نجستموه فى الأمم حيث جئتم ، فأقدس اسمى العظيم المنجس فى الأمم الذى نجستموه فى وسطهم ، فتعلم الأمم أنى أنا الرب ٠

يقول السيد الرب : حين أتقدس فيكم قدام أعينهم ، وآخذكم من بين الأمم ، وأجمعكم من جميع الأراضى ، وآتى بكم الى أرضكم ، وأرش عليكم ماء طاهرا فتطهرون ٠ من كل نجاساتكم ومن كل أصنامكم أطهركم ٠

وأعطيكم قلبا جديدا ، وأجعل روحا جديدة فى داخلكم ، وأنزع قلب الحجر من لحمكم ، وأعطيكم قلب لحم ، وأجعل روحى فى داخلكم وأجعلكم تسلكون فى فرائضى وتحفظون أحكامى وتعملون بها ٠ وتسكنون الأرض التى أعطيت آباءكم اياها وتكونون لى شعبا وأنا أكون لكم الها ٠ وأخلصكم من كل نجاساتكم ٠

وأدعو الحنطة وأكثرها ولا أضع عليكم جوعا ، وأكثر ثمر الشجر وغلة الحقل لكيلا تنالوا بعد عار الجوع بين الأمم فتذكرون طرقكم الرديئة ٠ وأعمالكم غير الصالحة وتمقتون أنفسكم أمام وجوهكم من أجل آثامكم وعلى رجاساتكم ٠

لا من اجلكم انا صانع — يقول السيد الرب — فليكن معلوما لكم ، فاخجلوا واخزوا من طرقكم يا بيت اسرائيل — هكذا يقول السيد الرب ٠

فى يوم تطهيرى اياكم من كل آثامكم أسكنكم فى المدن ٠ فتبنى الخرب ، وتفلح الأرض الخربة عوضا عن كونها خربة أمام عينى كل عابر ، فيقولون هذه الأرض الخربة صارت كجنة عدن ٠ والمدن الخربة والمقفرة والمنهدمة محصنة معمورة ! فتعلم الأمم الذين تركوا حولكم أنى أنا الرب ، بنيت المنهدمة وغرست المقفرة ٠٠

أنا الرب تكلمت وسأفعل ٠ هكذا قال السيد الرب ٠

بعد هذه أطلب من بيت اسرائيل لأفعل لهم ٠ اكثرهم كغنم أناس ٠ كغنم مقدس كغنم أورشليم فى مواسمها ، فتكون المدن الخربة ملآنة غنم أناس فيعلمون انى أنا الرب » (٢٢ — ٣٨ الاصحاح السادس والثلاثون : حزقيال) ٠

وهذا النص ٠٠ أيضا :

« هو ذا عينا السيد الرب على المملكة الخاطئة وأبيدها عن وجه الأرض غير أنى لا ابيد بيت يعقوب تماما يقول الرب ٠ لأنه هانذا آمر فاغربل بيت اسرائيل بين جميع الأمم كما يغربل فى الغربال وحبة لا تقع الى الأرض ٠ بالسيف يموت كل خاطئى شعبى القائلين لا يقتـرب الشر ولا يأتى بيننا ٠

فى ذلك اليوم أقيم مظلة داوود الساقطة ، وأحصن شقوقها ، واقيم ردمها وابنيها كأيام الدهر ٠ لكى يرثوا بقيـة أدوم وجميع الأمم الذين دعى اسمى عليهم ٠

يقول الرب الصانع هذا ٠٠

ها أيام تأتى يقول الرب يدرك الحارث الحاصد ٠ ودائس العنب باذر الزرع ، وتقطر الجبال عصيرا وتسيل جميع التلال ، وأرد سبى شعبى اسرائيل فيبنون مدنا خربة ، ويسكنون ويغرسون كروما ويشربون خمرها ويصنعون جنات ويأكلون أثمارها ٠ وأغرسهم فى أرضهم ولن يقلعوا بعد من أرضهم التى أعطيتهم ٠ قال الرب الهك » (٨ ـ ١٥ الاصحاح التاسع : عاموس) ٠

ونختم بهذا النص :

« هكذا قال رب الجنود هانذا اخلص شعبى من أرض المشرق ومن أرض مغرب الشمس ٠ وآتى بهم فيسكنون فى وسط أورشليم ويكونون لى شعبا وأنا أكون لهم الها بالحق والبر » (٧ ـ ٨ الاصحاح الثامن : زكريا)٠

هذه نصوص لم يكتبها « موشى ديان » فى هذا القرن ولم يكتبهـــا « هرتزل » فى القرن المـاضى ٠ ولم تتمخض عنها مؤتمرات الصهيونية فى سويسرا أو فى فرنسا ٠٠

انها ـ عند ذويها ـ آيات وحى يتلى ، ومعالم دين يتبع ٠٠

وليس اليهود وحدهم الذين يؤمنون بهذه الوعود السماوية لبنى اسرائيل بل كثير من النصارى الذين يجعلون اصحاحات العهد القديم اجزاء من الكتاب المقدس ، خصوصا الكنائس الانجيلية (البروتستانت) الذين يمثلون أكثر شعوب انجلترا والولايات المتحدة !!

ولكن عصابة من الكتاب العرب أخذت على عاتقها تغطية هذه الحقائق الدينية ، والزعم بأن « اسرائيل » تمثل الصهيونية ولا تمثل اليهودية ، وأن الدين لا علاقة له بهذه الحرب الناشبة لابادة العرب وتهويد فلسطين !!

أهو الجهل الأعمى ؟ ربما ، ومن البلاء أن يكون الرأى لمن يملكه لا لمن يبصره !!

أهو الاقصاء المتعمد لدور الاسلام فى المعركة ؟ ذلكم أغلب الظن ، بل هو جملة اليقين ٠

وعمل أولئك الكتاب هو تسميم الفكر العربى حتى يدخل العرب معركتهم الحاسمة بلا روح ، أى بلا ايمان دينى واضح دافع ٠٠

ونعود الى كلمات العهد القديم التى دونا بعضها هنا ٠٠

ان موسى عليه السلام لا صلة له بهذه الوعود وتوراته لم تتضمن اشـارة ٠

ثم ان احتلال اى بقعة من الأرض لا يعطى المحتل الحق الأبـدى فى امتلاكها ٠٠

وبنو اسرائيل دخلوا فلسطين محتلين ، ومكثوا بها أقل مدة مكثها جنس آخر عمر هذه الأرض ٠

فوجودهم التاريخى بها لا يمنحهم أى حق للبقاء فيها أو العودة اليها ٠

نعم ، نحن نؤمن أن أسرة يعقوب حملت راية الدعوة الى الله ، وتنقلت بها بين وادى النيل وربوع فلسطين ٠

لكن أولاد يعقوب نكسوا هذه الراية فيما بعد ، وتنكبت كثرتهم سبيل الحق ، وجارت على الوحى ورسله ٠ فعزلهم الله الى الأبد عن هذا المنصب ، وآثر به أمة أخرى كانت فيها الرسالة الخاتمة ٠

ثم صب غضبه على بنى يعقوب الخونة وذرامم فى الأمم كما سجل ذلك كاتبو اصحاحات العهـد القـديم فيمـا نقلناها هنا ٠

لكن حاخامات اليهود مزجوا فى حياة المجتمع اليهودى بـين أمرين متناقضين ٠

أولهما الحرص على مخاصمة الرسالات السماوية الصادقة ، ومجافاة اهدافها الانسانية الرفيعة ٠٠

والآخر التشبث بالانتساب الى أسرة الدعوة الالهية ، والزعم بأنهم أبناء الله وأحباؤه ، ويتبع ذلك بداهة الحلم فى عودة مجدهم القديم ومملكتهم الأولى ٠٠

والحاخامات الذين كتبوا العهد القديم من عند أنفسهم نضحت آمالهم على ما دونوا فكانت هذه البشائر التى تسلى بها اليهود دهرا ، ثم حولوها فى هذا العصر الى أمر واقع ٠٠

ونحن لا نستغرب الانتصار المبدئى الذى أحرزه اليهود ، ولكنا نقول : انه لم يتم لخير فيهم بل لشر فى غيرهم ٠٠

ان رجالهم ونساءهم وشيبهم وشبابهم جاءوا رافعين عقائرهم بنداء التوراة . ملتفين حول ايمان زائف على حين كان العرب المثقفون يستحون من الانتساب للقرآن ، وينسحبون من مواطن التدين الحقيقى فترادفت النكبات والنكسات وكان ما ندى له جبين الحر ٠٠ !

وضاعف من هزائم العرب أن الحقد الصليبى الذى لم تخب جذوته يوما كان يشد أزر المعتدى ، ويعينه اذا ضعف ، ويسدد رميته اذا طاشت ٠٠

ولو ان اليهود وحدهم كانوا فى المعركة لكانت فلول العرب على ما بها من تمزق مادى ومعنوى قديرة على كسر اخوان القردة ٠

الا أن العرب ووجهوا بالعبء مضاعفا ٠ لقدر شـــاءه الله فكـــان ما كان ٠٠ !!

وما دمنا فى سياق البشارات الدينية والوعود الالهية ٠ فان لدينا فى كتاب الله وسنة رسوله ما يكمل آمال اليهود فى أرض الميعاد ٠٠

انهم سيعودون فعلا ، ولكن ليفنوا لا ليحيوا ، ولتنتهى رسالتهم فى هذه الدنيا لا لتتجدد ٠

ففى الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ستكون مقتلة عظيمة بين المسلمين واليهود فيقتل المسلمون اليهود ، حتى اذا اختفى اليهودى خلف حجر نادى الحجر يا مسلم هذا يهودى تعال فاقتله (١) ٠

أجل ٠٠ ان اليهود سيتجمعون بعد شتات ، ولكن ليتحقق فيهم قول الله عز وجل « **واذ تاذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ، ان ربك لسريع العقاب ، وانه لغفور رحيم** »(٢) ٠

---

(١) رواية البخارى « تقاتلكم اليهود ، متسلطون عليهم ، حتى يقول الحجر يا مسلم ، هـــذا يهـــودى ورائى فاقتله » ورواية مسلم « يقاتلون اليهود حتى يختبىء احدهم وراء الحجر ، فيقول : يا عبد الله ، هـــذا يهودى ورائى فاقتله » والروايات كثيرة ومتنوعة ، ومعنى نداء الاحجار ان حصون القوم سوف تفضحهم وتدل عليهم فيموتون فيها ، ولن تعدو المغامرة اليهودية لاحتلال فلسطين هـــذا المصير .

(٢) الاعراف : ١٦٧ .

على أن ما يبيته القدر لبنى اسرائيل من بلاء ماحق لن يوقعه بهم العرب – من حيث هم عرب – ولكن يوقعه بهم العرب بعد ما يعودون الى الاسلام ظاهرا وباطنا ، ويعرفون به حكومات وشعوبا ، ويكون النداء المعهود المتداول : يا مسلم هذا يهودى تعال فاقتله ..

نعم ، يا مسلم ، لا اى نداء آخر ..

ان حرب الابادة قد وضعت خطتها لافناء الجنس العربى ، واحلال بنى اسرائيل مكانه ، والحقيقة أن الاسلام بالنسبة للعرب ليس فقط الهداية العليا لعباد الله ، ولكنه طوق النجاة العاصم من الغرق بالنسبة الى هؤلاء العرب ، والخيط الباقى ليظلوا على قيد الحياة ان ارادوا الحياة .

فهم – رضوا أم سخطوا – يواجهون حربا دينية تشنها مشاعر مخلوطة بشغاف القلوب ، وليس كما يحكى لهم الكذبة يواجهون حربا استعمارية عادية .

واريد – بوصفى انسانا مسلما – أن اذكر رايى فى الحروب الدينية ..

انها صورة بشعة أن يقتل امرؤ آخر ليجعل من دمه طريقا الى الجنة .

انها صورة بشعة أن أقول لآخر : اعتقد ما اقول ولا افترستك وأنا أشعر بلذة الولوغ فى دمك ..

ان الاسلام عدو مبين لهذا النوع من الحروب . بل ان رسالة محمد صلى الله عليه وسلم كانت القاضية على كل قتال من هذا اللون القاسى ..

فهل كذلك فكر واضعو هذا العهد القديم ؟ يستطيع اى قارىء ان يطالع فى الأسفار (١) المقدسة « أوامر الله » باستئصال الأعداء ، رجالا ونساء وأطفالا ، واستئصال ما يملكون من حيوان ونبات ، ونشر الخراب فوق كل شبر من أرض لأعداء اسرائيل ..

وعندما كنت اقرأ أخبار القرى العربية التى اختفت من الوجود ، والبيوت التى دمرت بعد ما فر أصحابها مروعين كنت أعلم ان بنى اسرائيل انما نفذوا أحكام التوراة – فيما يزعمون – .

ان واضعى هذه الأسفار كانوا جزارين فى ثياب متدينين ، وكان ضحاياهم فى هذا العصر الأشأم من العرب المسلمين ..

---

(١) نقلنا نصوص من حرب الابادة من أصحاحات العهد القديم فى مكان آخر من كتابنا « التعصب والتسامح » .

وقد قام اليهود بمذبحة « دير ياسين »(1) وغيرها من المجازر استجابة دينية حرفية للتعاليم التى يتدارسونها ويتوارثونها ·

وهى تعاليم – فيما نرى نحن المسلمين – مبتوتة الصلة بأنبياء الله ، وان زعمها هؤلاء وحيا من السماء ·

واليهود فجرة مهرة ، وقد عقدوا مع المستعمرين معاهدة للنفع المتبادل وللتنفيس عن الحقد المشترك ، ولست أدرى بالضبط أى الفريقين كان أقدر على تسخير الآخر والافادة منه ·· وان كان المسلمون بيقين هم الفريق المغبون الفادح الخسار ·

ان سخط الله على بنى اسرائيل لم تنقض أسبابه ، ولعلها لن تنقضى ابدا ما داموا على طبائع الملعونين من أسلافهم قسوة فؤاد ، وشره نفس ، واكل سحت ، وفساد معتقد ، وبغيا فى الأرض ، واستطالة على الخلق · !!

واذا كان الله قد ضرب بهم بعض الشعوب التى فرطت فى جنبه فليس ذلك رضا ، وتقريبا بعد ابعاد ، فان الهيكل الأول هدمه الوثنيون ، وقد نسلط على بنى اسرائيل قديما من هم شر منهم ·

ومسلمو اليوم يتعرضون لبلاء طويل بغير شك · ومن يدرى ؟ قد يكون ذلك باعثا لهم على صلح مع الله وعودة الى الاسلام الذى هجروه ··

وعندئذ تكون هذه المحنة منحة وتكون الضارة النافعة ·

ومهما ساءت الأمور فان حلم اسرائيل بحكم العالم عن أورشليم لن يتحقق ، فان الحجب بدأت تتمزق عن آثار اليهود الرهيبة فى أرجاء الأرض ·· خصوصا وسط العالم المسيحى ··

(1) قرية « دير ياسين » .. قرية فلسطينية صغيرة غرب القدس ، تعرضت فى ٩ أبريل عام ١٩٤٨ أى قبل قيام اسرائيل بحوالى شهر .. لهجوم غادر من جانب المنظمات الارهابية الصهيونية تحول الى مجزرة بشرية قاسية . ذبح خلالها بالأسلحة الحديثة وبالسلاح الابيض (٢٥٤) من الرجال والنساء والاطفال العرب .. وبلغ الهوس والجنون بالمهاجمين الى حد التمثيل الأبشع بجثث الضحايا من الاطفال والنساء وتمزيقها اربا فى دروب القرية وشوارعها أما بقية السكان الذين نجوا من المجزرة فقد ساقهم المهاجمون الى شوارع القدس وملابسهم ملطخة بالدماء فيما يشبه موكبا دعائيا للنصر ..

وعرف فيما بعد أن المجزرة كانت من تدبير عصابتين صهيونيتين هما :

اولا : عصابة « ارجون زفاى ليومى (المنظمة العسكرية الوطنية) » . وهى تنظيم ارهابى صهيونى كان يرأسه مناحيم بيجن الوزير الحالى بالوزارة الاسرائيلية .

ثانيا : عصابة « اوحمى حيروت يسرائيل (المحاربون لحرية اسرائيل) » وهى العصابة التى تحولت بعد قيام اسرائيل الى حزب حيروت احد الاحزاب الحاكمة الآن فى اسرائيل .

كان الهدف الرئيسى من تدبير هذه المذبحة الرهيبة .. اثارة الذعر بين السكان العرب ..

ان سلطة الكنائس المسيحية على الضمير والسـلوك فى اوروبا وأمريكا اسمية للأسف ••

وقد تمكن بنو اسرائيل بوسائلهم الجليـة والخفيـة من نشر الفتن الجنسية والعنصرية والفلسفات المادية والالحادية فى جنبات القـارتين الكبيرتين ••

فهل هذه رسالة السماء التى حملها انبياء بنى اسرائيل قديمـا ويريد ذراريهم بها أن يكونوا شعب الله المختار ؟؟

فى محاضرة للدكتور احمد خليفة وزير الأوقاف الأسبق سمعت منه أن اليهود يسيطرون على الولايات المتحدة سيطرة كاملة ، وعلى اوروبـا الغربية سيطرة شبه كاملة ، وأن الميادين التى احكموا قبضتهم عليهـا هى : المصارف المـالية ، والجامعات الكبرى ، ووسائل الاعلام •• !

ومن يضع قبضته على هذه الثلاث ضمن أن يصوغ الفكر كما شاء ، وأن ينشر ما يرضيه ويحجب ما يرفضه ، وأن يبسط يديه حيث تجـدى النفقة ، ويمسك متى أراد ••

قال : ومن يتابع تاريخ الفكر البشرى ويتعرف دور اليهود فيه يتبين أنهم يصطنعون الفلسفات التى تحطم كل المقدسات ، وتحطم احترام الانسان لنفسه ، وتحرمه من الايمان وسكينة النفس •

قال : واليهودية العالمية تعلم أن الشباب هو مستقبل الأمم وعتادها وذخرها ••

اذن لابد أن يفسد الشـباب ، وتختـل امامه الموازين ، وتضطرب القيم ••

ومن هنا سيطروا على أسواق الخمر والقمار والمخدرات ــ كمـا أن باعهم طويل فى عالم الخلاعة والتهتك ــ والذى يزور السجون والاصلاحيات فى الولايات المتحدة يجد نزلاءها الملونين المسيحيين ، ولا يجد بها يهوديا •• !

انهم يقـودون حملة التخريب والافسـاد مع الاحتفـاظ بكيـانهم وتماسكهم •

قال المحاضر : انك فى أمريكا تقرأ ما يريد اليهود لك أن تقرأه ، وتفتح الراديو لتسمع ما يريد اليهود أن يذاع ، وتفتح التليفزيون لترى ما يريد اليهود أن ترى ، ويذهب الأبناء الى الجامعة لتعبأ عقولهم بما يريد اليهود أن يتعلموه ، وفى كل اسبوع تقبض المرتبات من خزائن اليهود ، هذا هو الأخطبوط الذى يسيطر على الغرب ، هذه هى الطفيليات التى تمتص دماء العالم ••

نقول : وهذه هى وظيفة شعب الله المختار التى يبلغ بها رسالة السماء الى الأرض ، ويعلم البشر الصلاة والزكاة والتقوى والأدب ، ويذكرهم بيوم الحساب وما وراءه من خلود طويل !!

ان اليهودى ذكى كالشيطان ، وله أن يزعم ما يشاء الا أنه صاحب دين يهدى الى البر والرشد ، ويستحق من أجله ميراث الأقطار والأجناس ٠

ومن هنا فان مصير اليهودية العالمية الى بوار ! لكن متى ؟

عندما يثوب المسلمون الى رشدهم ويعودون الى رسالتهم ويتركون الترهات التى لعبت بزمامهم وأضلت سعيهم ٠٠

وذلك يحتاج منا الى همسات وصرخات ٠٠

والمؤسف أن وسائل الاعلام فى الأمة العربية حريصة أشد الحرص على أن تفرق بين اليهودية والصهيونية ، وعلى أن تجعل القارىء أو المستمع العربى يقصى الدين اقصاء عن الصراع الدائر اليوم على اغتصاب فلسطين وما حولها ٠٠

وقد رأيت ــ من النصوص التى سقناها ــ ضلال هذا المسلك ، وبعده عن التاريخ والواقع ، وتخذيله لوسائل الدفاع التى ينبغى توفيرها فى وجه هجوم دينى حاقد !!

ان الصهيونية ليست وليدة بحث اليهود عن وطن لهم بعد ما احسوا وحشة الغربة فى أرض الله الواسعة ٠

كلا ، فقد وسعتهم بلدان شتى ، وعاشوا فيها جزءا من ابنائها الأصلاء ، ووصلوا الى درجة فاحشة من الثراء ، ومناصب كبيرة فى الحكم ٠٠

ولكنهم رجحوا نداء دينهم على علاقاتهم باوطانهم ، وآثروا التجاوب مع توراتهم وتلمودهم على الذوبان فى الوطنية الأمريكية أو الألمانية أو الروسية أو المصرية أو العراقية ٠

سيرتهم فى مختلف القارات واحدة ، ونزوعهم الى خدمة عنصرهم ، وحسب دينهم فى كل مكان وزمان ٠٠

لقد عاش اليهود ملوكا بيننا نحن المصريين فى أواسط هذا القرن ، ثم تركوا مصر الى اسرائيل ؟

فرارا من اضطهاد ؟ انه نداء الدين وحده ٠

وهم الآن يحيون ملوكا فى امريكا وفى اوروبا الغربية ولكنهم عرضوا مصالح الأوطان التى وسعتهم للبوار ٠

فى سبيل ماذا ؟ فى سبيل اسرائيل ، فى سبيل دولة دينية تجمعهم ، فى سبيل الملك الذى تهفو اليه ضمائرهم ، ويتلون آياته فى صحف العهد القديم على أنه وعد الله الذى لا يتخلف لهم ولذراريهم من بعدهم ٠٠ !!

ان الصهيونية نزعة سياسية تولدت عن الاضطهاد النازى فى ألمانيا ٠٠

فان اليهود قبل هذا الاضطهاد بسنين أو بقرون ـ كما رأيت ـ كانوا يحلمون بامتلاك فلسطين وطرد أهلها منها أو ابادتهم فيها ٠٠

ونحن لا نقر فى العالم أجمع أى تفرقة جنسية ، ولكن مسلك اليهود فى ألمانيا كان هو السبب الأول فى اهاجة الألمان عليهم وايقاع المذابح الشائنة بهم ٠

لقد ظهر ان ولاء اليهود لأوطانهم الرسمية مزيف ، وأن ولاءهم الأول هو لجنسهم وتاريخهم وأمانيهم الحرام فى حقوق الآخرين ٠

وربما تعرض اليهود فى أمريكا بين سنين معدودة لمثل ما تعرض له أسلافهم فى ألمانيا النازية ، عندما يصحو الأمريكيون فيجدون أن مصالحهم فى العالم العربى والاسلامى قد تلاشت لأن يهود أمريكا قد باعوا هذه المصالح فى سبيل قضاياهم الخاصة ٠٠

والمهم ونحن نواجه معركة الحاضر والمستقبل أن نحذر من الببغاوات التى تردد بغباء كلمات لا تفهمها ، وتريد بجهلها الغالب أبعاد اليهودية والاسلام عن المعركة مع أن المعركة لا تعنى الا القضاء على الاسلام لحساب القوى المعادية له !! ٠٠

* لا تبعدوا اليهودية والاسلام عن المعركة ٠

* التنادى بالاسلام هو صيحة النجاة ٠

اننا لقينا العنت من أولئك الشامخين بجهلهم ، سواء أكانوا فى الصحف أو الاذاعات ، أو المسارح ٠٠

وظاهر انهم ثمار الاستعمار الثقافى لبلادنا ، ذلك الاستعمار الناقم على الاسلام وحده ، الحريص على تربية أجيال تكره شرائعه وفضائله ، وترفض مناسكه وشعائره وتنسى ماضيه وحاضره ٠

تلك هى الأجيال التى وقفت فى ميدان السياسة تصف الغزو اليهودى لفلسطين ، بانه حركة عنصرية ، أو عدوان محلى ، أو تعاون بين الامبريالية والصهيونية ، أو تآمر رأسمالى على حركات التحرر الحديث ، أو غير ذلك من الترهات التى اتقنها الجيل المستكبر الفاشى هنا وهناك ٠

ولو ان واحدا من هؤلاء ذهب الى اقرب مكتبة ، ودفع قروشا قليلة أو كثيرة ، واشترى العهد القديم وحده ، أو الكتاب المقدس كله ، ثم كلف خاطره القراءة فيه لوجد التخطيط الدينى لاسرائيل الكبرى واضحا ف صحائفه ، ولوجد الكفن الذى يلف رفات العرب منسوجا من كلماته ، ولوجد حرب الابادة التى تعرض لها قومه ناضحة بين سطوره ٠

ان مؤامرة الاستعمار ف القرون الأخيرة خلع العرب من دينهم ف الوقت الذى يتحمس فيه كل ذى دين لدينه !!

ان صحف العهد القديم لم تكتف بحداء بنى اسرائيل كى يجيئوا من كل مكان الى فلسطين ، بل صورت لهم البقاع التى ينزلون بها ، والحدود التى تفصل كل سبط عن أخيه !! ووزعت عليهم دمشق وحماة وبيروت وعشرات من البلاد الواقعة قرب البحر المتوسط ٠٠

اقرأ هذه السطور من سفر حزقيال :

« لذلك هكذا قال السيد الرب : الآن أرد سبى يعقوب وارحم كل بيت اسرائيل ، واغار على اسمى القدوس ٠ فيحملون خزيهم وكل خيانتهم التى خانونى اياها عند سكنهم ف أرضهم مطمئنين ولا مخيفٌ ٠

عند ارجاعى اياهم من الشعوب ، وجمعى اياهم من أراضى اعدائهم ، وتقديسى فيهم أمام عيون امم كثيرين ، يعلمون انى أنا الرب الههم باجلائى اياهم الى الأمم ثم جمعهم الى ارضهم ٠ ولا اترك بعد هناك أحدا منهم ! ولا أحجب وجهى عنهم بعد ، لأنى سكبت روحى (١) على بيت اسرائيل ! يقول السيد الرب ٠٠ » !! (الاصحاح التاسع والثلاثون : ٢٥ ــ ٢٩) ٠

« ف السنة الخامسة والعشرين من سبينا ، ف راس السنة ، ف العاشر من الشهر ، ف السنة الرابعة عشرة بعد ما ضربت المدينة ٠

ف نفس ذلك اليوم كانت على يد الرب وأتى بى الى هناك ٠

---

(١) عاش « حزقيال » مؤلف هذه الاصحاحات ايام المحنة الاولى لبنى اسرائيل ، بعد ان فسدوا فسلط الله عليهم « بختنصر » وجنوده فاجتاحوا البلاد ودمروا الهيكل وساقوا امامهم عشرات الالوف من اليهود اسرى ، وقد عزى الرجل قومه بهذه الكلمات ، وملأ روعهم انهم متخلصون من الاسر البابلى وعائدون الى بلادهم ، وقد عادوا فعلا ، لكنهم سرعان ما زاغوا وطردوا من فلسطين ، وقديما عادوا ثالثة ، يحملون آثامهم الاولى ، ومشاعرهم القديمة ، وسوف يتم طردهم ان شاء الله ولو بعد حين .

فى رؤى الله اتى بى الى ارض اسرائيل ووضعنى على جبل عال جدا عليه كبناء مدينة من جهة الجنوب ·

ولما اتى بى الى هنا اذا برجل منظره كمنظر النحاس وبيده خيط كتان وقصبة القياس وهو واقف بالباب ·

فقال لى الرجل : يا ابن آدم : انظر بيعنيك واسمع باذنيك واجعل قلبك الى كل ما اريكه لأنه لأجل اراءتك اتى بك الى هنا ·

اخبر بيت اسرائيل بكل ما ترى ·

واذا بسور خارج البيت محيط به وبيد الرجل قصبة القياس ست اذرع طولا بالذراع وشبر ··

فقاس عرض البناء قصبة واحدة وسمكه قصبة واحدة · ثم جاء الى الباب الذى وجهه نحو الشرق وصعد فى درجه وقاس عتبة الباب قصبة واحدة عرضا والعتبة » ·· الخ الخ الخ : (الاصحاح الأربعون والحادى والأربعون والثانى والأربعون حيث ينتهى وصف قياس بيت الهياكل) ·

« ثم ذهب بى الى الباب · الباب المتجه نحو الشرق · واذا بمجد اله اسرائيل جاء فى طريق الشرق وصوته كصوت مياه كثيرة ، والأرض اضاءت من مجده » ·

« وقال لى يا ابن آدم هذا مكان كرسيى ، ومكان باطن قدمى ، حيث اسكن فى وسط بنى اسرائيل الى الأبد ، ولا ينجس بعد بيت اسرائيل اسمى القدوس · لا هم ولا ملوكهم » · (الاصحاح الثالث والأربعون)

« واذا قسمتم الأرض ملكا تقدمون تقدمة للرب قدسا من الأرض طوله خمسة وعشرون الفا طولا والعرض عشرة آلاف » · (الاصحاح الخامس والأربعون)

« هكذا قال السيد الرب : هذا هو التخم الذى به تمتلكون الأرض بحسب اسباط اسرائيل الاثنى عشر :

يوسف قسمان · وتمتلكونها احدكم كصاحبه — على الهيئة — التى رفعت يدى لأعطى آباءكم اياها ، وهذه الأرض تقع لكم نصيبا ·

وهذا تخم الأرض :

* نحو الشمال من البحر الكبير طريق حثلون الى المجيء الى صدد : حماة وبيروتة وسبرائيم التى بين تخم دمشق وتخم حماة وحصر الوسطى التى على تخم حوران · ويكون التخم من البحر حصر عينان تخم دمشق والشمال شمالا · وتخم حماة وهذا جانب الشمال ·

* وجانب الشرق بين حوران ودمشق وجلعاد وأرض اسرائيل الأردن من التخم الى البحر الشرقى تقيسون · وهذا جانب المشرق ·

* وجانب الجنوب يمينا من ثامار الى مياه مريبوث قادش النهر الى البحر الكبير · وهذا جانب اليمين جنوبا ·

* وجانب الغرب البحر الكبير من التخم الى مقابل مدخل حماة ، وهذا جانب الغرب · فتقسمون هذه الأرض لكم لأسباط اسرائيل » · (الاصحاح السابع والأربعون) ·

* * *

هكذا وضع أنبياء بنى اسرائيل الأقدمون خطة تمزيق العرب ، وتقسيم تراثهم على اسباط اسرائيل ·

وقد نقلت هذه السطور من العهد القديم وان كنت لم أفهم أغلب الأسماء(١) التى تحدد تخوم الأرض ، أو توضح اتجاهات الزحف اليهودى كما أوصى به كاتبو ذلك العهد ··

ويظهر أن اليهود لخصوا المراد فى الجملة المشهورة « أرض اسرائيل من الفرات الى النيل » ·

وهم أدرى بما فى كتبهم المقدسة ، وأدرى بما يعنيه « حزقيال » متلقى هذه الخريطة عن الوحى الالهى !! كما يدينون ·· !!
وأريد أن أقول باسم الاسلام المستوحش المكتئب كلمة حاسمة ·

كلمة سوف تبدو غريبة على الآذان التى طمسها الهوان والاذلال أمدا طويلا ، والتى مرنت على سماع الزور والباطل وحده ·

ان الدين قد انتقل انتقالة واسعة عن المفهوم البدائى الضيق الذى ألفه الاسرائيليون ، مفهوم الهيكل ، ومملكة الرب ، والشعب المختار ، وحكم العالم باسم رب الجنود عن طريق حكماء صهيون أو بيت اسرائيل ··

---

(١) حبذا لو عنى المؤرخون العرب بوضع فهرس مقارن شامل لهذه الأعلام القديمة ، حتى يلقوا ضوءا على هذه المسميات .

ان هذه الكلمـات المصورة لمعنى الدين اليق بالعهـد البدائي الذى كانت قبائل اسرائيل فيه تغدو وتروح بقيادة رعاة محليين يؤدون واجبهم حينا ، أو يقتتلون قبل هذا الأداء المفروض ·

لقد أصبح للدين مفهوم أرحب ، ليس فيه هيكل مقدس ، ولا شعب مختار ولا أدب محتكر !

حقيقة هذا الدين أن الله رب العالمين أجمعين على سواء ·

وأن التقـدم عنده ليس بالنسب ولا بالادعاء بل بالخلـق الزكى والتقـوى المهيمنة ·

لا كهانة هناك ولا تهاويل ولا هياكل ··

شيئان فقط هما أساس العلاقة بين الله الأحد ، وبين كل انســان يمشى على قدميه فى القارات الخمس : الايمان والعمل الصالح ! ·

ان محاولة بنى اسرائيل مسخ مفهوم الدين على النحو الذى جمدوا عليه من عشرات القرون جريمة فاحشة لا يمكن قبولها ·

لقد جاء عيسى ابن مريم ليكسر القيود الصلبة التى اراد بنو اسرائيل حبس الدين داخلها ·

وكان مجيئه تمهيدا للرسالة الخاتمة التى مزجت الدين بكل اشـواق الانســانية الرفيعة من الايمان المهـدى والأخوة العامة ، حيث لا مكـان للتسامى الا بالقلب السليم والفكر السليم ··

نعم بعث الله محمدا مسويا بين أجناس البشر فى الولاء للحى القيوم ، مسقطا كل سلطان مفتعل فى ميدان الروح أو فى ميدان المـال ··

فاذا اراد بنو اسرائيل أن يلحقوا بقافلة الانسانية الحرة المتـآخية فلا بد أن يؤمنوا بعيسى ومحمد !!

واذا كانوا حراصا على استعادة مجدهم القديم فطريق الخلاص مفتوحة امامهم ولكى يعرفوها جيدا قال الله لهم « **يا بنى اسرائيل اذكـروا نعمتى التى انعمت عليكم واوفوا بعهـدى أوف بعهدكم واياى فارهبون · وآمنوا بما أنزلت مصدقا لمـا معكم** »(1) ··

ان بنى اسرائيل يحلمون ان يحكموا العالم من هيكلهم وهم مصرون على تصديق ما لديهم وحده ، وتكذيب كل ما جاء به عيسى ومحمد ··

وما لديهم مزيج من وحى الله وهوى الأنفس ·

ولو افترضنا جدلا أنه حق لا ريب فيه ، فان الوقوف عنده وحـده ، ونبذ ما أوحى الله بعده ، مسلك لا تصلح به الدنيا ولا يسعد به عباد الله ··

---

(1) البقرة : ٤٠ ، ٤١ .

ومن هنا اشترط الاسلام أن يكون الايمان بكتب الله كلها ، ورفض ما سوى ذلك من ايمان مبتور فقال جل شانه : « **يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم** »(١) .

وعلى لسان موسى – كبير انبياء بنى اسرائيل – ذكر ربنا جل جلاله ان ابواب رحمته مفتحة لعباده ، وأن الصلحاء الأتقياء يستطيعون دخولها متى شاءوا، فعندما دعا موسى « **اكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هدنا اليك** »(٢) كان الجواب الالهي له «**عذابي أصيب به من أشاء ، ورحمتي وسعت كل شيء ، فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم** »(٣) .

ان قيادة العالم باسم الله ليست سهلة يستطيعها اليهود بمهارتهم المالية والاعيبهم الشيطانية ، وتسخيرهم للشعوب المفرطة ، وانتهازهم للفرص المتاحة ..

وقد نبأ القرآن الكريم أن التاريخ اليهودي سيتفاوت بين مد وجزر ، ومعصية وطاعة ، وهزيمة ونصر .

وقال لهم بعد هدم هيكلهم الأثير « **ان احسنتم احسنتم لأنفسكم ، وان اسأتم فلها** »(٤) .. وقال لهم ايضا « **وان عدتم عدنا** »(٥) .

أي ان عدتم للفساد عدنا للانتقام !!

وقد عاد اليهود الى فلسطين – لأسباب شتى – فكيف عادوا ؟ وما هي مثلهم العليا ، وما مواقفهم من وصايا الله للنبي الخاتم والنبي الذي سبقه وبشر به ؟

لقد عادوا متشبثين بما لديهم وحده ، مكذبين لكل ما جد بعد .. وكسبوا نصرا بعد نصر على من ؟

على أوزاع من العرب جهلوا رسالتهم ، ونسوا تاريخهم ، وعاشوا في دنيا الناس اذنابا ، وعن كتاب الله وهدى نبيه غرباء .. !!

ان مجموعة الشعوب الاسلامية تشعر بجزع مر لا للحروب التي جرت بين العرب واليهود ، ولكن للطريقة التي جرت بها هذه الحروب ، وللمظاهر الانحلال والفسق عن أمر الله التي ملأت جوها ..

كان العرب أزهد الناس في كتابهم ، وكان اليهود الصق الناس بتوراتهم ..

---

(١) المائدة : ٦٨
(٢) الاعراف : ١٥٦
(٣) الاعراف : ١٥٦ ، ١٥٧ .
(٤) الاسراء : ٧
(٥) الاسراء : ٨

كان اللص متحمسا فى الهجوم وكان رب البيت باردا فى الدفاع ..

وبلغ من نجــاح الغزو الثقافى لبلادنا أن الحرب تعلن علينا لفرض دين ، واجتياح أمة .

ومع ذلك تتبارى وسائل الاعلام فى تضليل الفكر العربى وتصف هذه الحرب بأى شىء الا أنها تتصل بالدين ..

ولم ذلك ؟ حتى لا يستيقظ الوعى الاسلامى العارم وتتجاوب الأصداء بضرورة العودة العامة الجــادة الى الاسلام لوقف هذا الفناء القادم !!

لكن آمالنا أن غرائز الأمم تصحو لملاقاة الخطر الداهم ، وأن التنادى بالاسلام سوف يكون اليوم صيحة النجاة .

وسوف يكون غدا صيحة النصر ..

« وقل الحمد لله ســيريكم آياته فتعرفونها ، وما ربك بغــافل عمــا تعملون »(1) .

* * *

---

(1) النمــل : 93 .

من أين تهب رياح التغيير ؟

عندما هزم الله المشركين فى موقعة بدر ، وأذل كبرياءهم تنزلت آيات كريمة تكشف أسرار الانكسار الذى أصاب القوم ، وتصف اللطمات التى تناولت الهالكين من كل جهة فقال جل شأنه « **ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم وذوقوا عذاب الحريق** »(١) .

ولكن لم هذه النهاية الفاجعة ؟ والخزى المحيط ؟ يقول الله « **ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد** »(٢) .

ان هذا الختام الكالح جزاء عادل لأناس كرهوا ما انزل الله ، وتبعوا هوى الأنفس ، وملكهم غرور القوة ، واستحلوا حرمات الضعاف ، ولم يقفهم عند حدود الحق أدب ولا خلق !

والمنهزمون فى بدر ليسوا بدعا من الأمم الأخرى ، فقد بين القرآن الكريم أن ذلك دأب الله فى جماهير الكفار والظلمة على اختلاف الزمان والمكان .

وسنة الله فى العصاة لا تتخلف ، فان شؤم معاصيهم لاحق بهم وان طال المدى « **كداب آل فرعون والذين من قبلهم ، كفروا بآيات الله فاخذهم الله بذنوبهم ، ان الله قوى شديد العقاب . ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم** »(٣) .

وعند هذا التعليل الأخير نقف وقفة تدبر واعتبار !

فان الله لا يبدل امن الأمم قلقا ، ولا رخاءها شدة ، ولا عافيتها سقاما لأنه راغب فى أن يذيق الناس المتاعب ويرميهم بالآلام .

كلا ، انه بر بعباده ، يغدق عليهم فضله وستره ويصبحهم ويمسيهم برزقه ومغفرته ، ولكن الناس يحسنون الأخذ ولا يحسنون الشكر ويمرحون من النعم ولا يقدرون وليها تبارك اسمه !

وعندما يبلغ هذا الجحود مداه ، وعندما ينعقد الاصرار عليه فلا ينحل بندم ولا توبة ، عندئذ تدق قوارع الغضب أبواب الأمم ! وتسود الوجوه بهزائم الدنيا قبل نكال الآخرة ..

ان الله لا يتغير ولكن الناس هم الذين يتغيرون ، وذلك معنى الآية : « **ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم** .. » (٤)

---

(١) الانفال : ٥٠ .
(٢) الانفال : ٥١ .
(٣) الانفال : ٥٢ ، ٥٣ .
(٤) الرعد : ١١ .

ولما كان الخطاب الالهى فى الآيات التى ذكرنا يعنى أهل مكة **المنهزمين** ، فلنعد بالذاكرة مع ماضى القوم ، وما ضم فى أطوائه من رفاهة ونعماء ..

لقد امتن الله على قريش بامرين جليلين هما الغـاية القصوى للحياة على ظهر الأرض :

الشبع وهو ملاك الحريات الاقتصادية .

والأمن وهو ملاك الحريات السياسية .

ومن ثم قال لهم : « **فليعبدوا رب هذا البيت . الذى أطعمهم من جـوع وآمنهم من خوف** » (١) .

وما أحلى أن يجـد المجتمع ضروراته ومرفهـاته مبـذولة لا تنغصـها أزمة ، ولا يعكرها ضيق !

وما أحلى أن يجد المجتمع كرامته مصونة لا يهدرها باغ ، ولايستبيحها حاكم ظلوم ! ..

الشبع والأمان هما العدل الاجتماعى والعدل السياسى اللذان تهفو اليهما الأمم ، وتسعد فى ظلهما الشعوب ، فاذا ظفر بذلك بلد ، فمن حق الله عليه أن يؤمن به ، ويسارع الى طاعته ، ويحل حلاله ، ويحرم حرامه ..

غير أن الأمم للأسف كثيرا ما تنسى هذا الخير كله ، وتتمرد على بارئها الأعلى ، وقد حرم الله قريشا ما تيسر لها من متع ، ثم قال يصف ما حل بها : « **وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كـل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقهـا الله لبـاس الجـوع والخـوف بما كانـوا يصنعون** »(٢) .

الجوع والخوف بدل الشبع والأمان اللذين طالما استراحت فى ظلهما .

تلك عقبى لا محيص عنهـا لكل جحود !

وننظر الى زعمـاء مكة وهم يقادون أسرى فى طرقـات المدينة بعد الهزيمة التى كسرت غرورهم ، وأدبت شراستهم ، وهنا نجـد القرآن الكريم ينصح المنكسرين فيـدلهم على طريق الكرامة الضائعة والطمانينة المفقودة : « **يا أيها النبى قل لمن فى ايديكم من الأسرى ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم ويغفر لكم** .. »(٣) .

---

(١) قريش : ٣ ، ٤ .

(٢) النحـل : ١١٢ .

(٣) الانفـال : ٧٠ .

هذا — مرة أخرى — هو طريق النجاة ، ان تنطوى القلوب على الخير ، وتحسن علاقتها بالناس ورب الناس ٠

ان هؤلاء الأسرى المنكسرين خرجوا من ديارهم — كما وصف القرآن : « **بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله** »(١) ٠

وليس احق بالقمع واذلال الأنف ، من اناس تستخفى انفسهم وراء أسوار من الصلف والغطرسة ، ويريدون باعمالهم العلو فى الأرض والظهور بين الناس ٠

والأنكى من هذا الشر انهم يمقتون الوحى وحملته ، ويطاردون الاسلام ورسالته ، واتخذوا هذا القرآن مهجورا ، وجعلوا سبيل الله موحشة لطول ما ترادف على سالكيها من انواء واعباء ٠٠

وهاهم اولاء مطروحون فى اغلالهم لا عاصم ولا مجير ، وقد تلقوا درسا موجعا يردهم الى الله لو عقلوا ، ترى هل يستفيدون منه ؟

ان التوبة معروضة عليهم ، واسترجاع ما يحبون ميسر لهم ٠

بيد أن الله لا يخدع ، فالعودة اليه استقامة قلب لا شقشقة لسان ، واذا حاول الطبع البشرى ان يغدر فان الله بالمرصاد ، ولذلك يقول الله لنبيه : « **وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم ، والله عليم حكيم** »(٢) ٠

ان استنارة الفكر ، وصفاء النفس ، والتسامى بالطباع ، وتهذيب الباطن قد تحسب كلمات رائجة فى ميدان التربية وحسب ، وهذا خطأ ، لانها كلمات اجتماعية وسياسية الى جانب معناها الشائع ٠

والواقع أن استقامة المجتمع كله ، ونجاح الأمة فى سياستها العامة ، وبلوغها مكانة عالية مرموقة يجىء قبل اى شىء آخر من الفرد المكتمل ، من النفس النظيفة ، من الغرائز المهذبة من القلب الحافل بالخير والمرحمة ، المؤثر للصدق والعدالة ٠٠

ولدى امتنا العربية كنوز مشحونة بهذه المعانى ، تسع اهل الأرض جميعا لو وزعت عليهم ، ولكن العرب ذاهلون عنها مفرطون فيها ٠٠

وقد انظر الى الرجال والنساء ، الى الأساتذة والتلامذة ، الى الرؤساء والمرءوسين ، الى العلماء والعمال ، فاجد اننا خنا تراثنا العريق ، وتعلقنا

---

(١) الانفال : ٤٧ .

(٢) الانفال : ٧١ .

بمنشور باطلة ، وأن أكثرنا مصروف عن دينه الضخم العظيم الى دنيــا تزلزلت فيهــا قدمه ، وسبق فيها خصمه ٠٠

فلا غرو اذا فتح المســلمون أعينهم على حاضر كريــه ومســتقبل مغلق ٠٠

وفى سلسلة المفاسد النفسية المحيطة بكل شىء عندنا ســوف يلمح العدو والصديق مفسدة لا نظير لهــا بين أهل الأرض من كل جنس ، هى عمق الفجوة بين الحاكم والمحكوم فى شعوب عربية كثيرة ٠٠

فان أغلب الحكام (١) العرب مبغضون لدى الجماهير ، ليس لهم رصيد من حب ولا ولاء ، ولا تقــدير ٠٠ !!

وفى الوقت الذى يحمل فيه الفلاحون « الفيتناميون » أسلحتهم وهم فى حقولهم ليقاوموا بها الأمريكيين الغزاة ، وفى الوقت الذى يتعاون فيه الحاكم والمحكوم هناك تعاون الوالد والأبناء على حماية البيت ومقاومة اللص ٠ فى هذا الوقت تجــد الحكام العرب يخشون من وضع السلاح بين أيدى الجماهير العربية !!

لمــاذا ؟ لأنهم يخشون على أنفسهم منه ؟

ولذلك فان الشعوب العربية لم تتح لها الى الآن فرصة قتال حقيقى لليهود ٠٠

ولا أرتاب فى أن أعداءنا عندما ينظرون الى طبيعة السياسة العربية ، ومسلك الرؤساء العرب ــ فى بعض الأقطــار ــ سيشعرون بالرضا والأمل ٠

وقد يوقنون ببقائهم فوق أرضنا ، بل فــوق صــدورنا الى آخــر الدهر ٠٠

ان بنى اسرائيل يرمقون الحدود الاسلامية من أربعــة عشر قرنا ما تحدثهم نفوسهم أبدا باقتحامها ، حتى جاء هذا القرن الأشأم فطمع فينا من لا يدفع عن نفسه ، وشرع اليهود من خمسين سنة يوطدون أقدامهم فى فلسطين ليثبوا الى ما وراءها ، والظروف تواتيهم ، والأيام تنتقل بهم من نصر الى نصر ٠٠

والسبب ؟

نفوسنا نحن العرب والمسلمين ، انهم لم ينتصروا بقواهم الخاصة قدر ما انتصروا بفراغ قلوبنا من الايمان ، وافتقار صفوفنا الى الوحدة ٠٠

لقد تسللوا الى بلادنا عن طريق شهواتنا اليقظى ، واخــلادنا الى الأرض وحبنا للدنيا ، وسعارنا الى اللذات والرياء ٠٠ !!

---

(١) فى رأينا أن ذلك أول أسباب ضعف الجبهة الشرقية فى معركتنا ضد اليهود .

ان فنون المتع التى استوردناها من الغرب خلال الخمسين سنة الاخيرة تكفى لتدمير امة ناهضة ، فكيف بامة عليلة !!

وانه ليخيل الى أن اليهود لو كشفوا عن خباياهم لمنحوا بعض الرؤساء العرب جوائز سخية ، لانهم هم الذين مهدوا طريق الغزو ، واطفأوا نـار المقاومة ، ودمروا روح الايمان ، ومزقوا أواصر الوحـدة ، وخلقوا اجيالا متنكرة لدينها ولغتها وتقاليدها ومثلها ، فى الوقت الذى يبنى فيه اليهود كيانهم على الدين واللغة والتقاليد والمثل العبرانية ..

هل أمام العرب منفذ للنجـاة ؟

نعم ، بل منـافذ رحبة .

يوم يعالجون عللهم من اصولها ، ويوم ينسـجون انفسهم واحوالهم الداخلية على المنوال الذى نسج عليه الأسلاف العظـام ..

يومئذ فقط تهب رياح التغيير ولكن كيف يصنعون ؟

ذلك ما نجيب عليه فى الأحاديث التالية ان شاء الله ..

* * *

حاجة الأمم الى العقـائد لتتحرك وتسير كحاجة الطائرات الى الوقود لتحلق وتنطلق ، أو حاجة الآلات الى شتى القوى لتدور وتنتج ..

وقد ظل العرب دهرا طويلا والاسلام هو العقيدة الدافعة ، والشريعة الضابطة ، والشعاع الهادى ، والديدبان الحارس ..

وفضل الاسلام على العرب كفضل المـاء والهواء والضياء على الزروع والثمار .

لست أقـول جمعهم من شتات ، أو نظمهم من فوضى !!

وانما خلقهم من عدم ، وجعلهم أصحاب دولة ورسالة وحضـــارة وما كانوا قبل ذلك شيئا مذكورا ..

وقد مرت على العرب أيام نحس وسعد ، وشدة ورخاء ، وما فى ذلك عجب فان الخط البيانى لسير الأمم فى التاريخ لا يلزم مستوى واحدا ..

والمسلمون على الاجمال كانوا اذا اعتلت أمورهم لم يتيهوا عن أسباب الشفاء .

سرعان ما يعودون الى دينهم يعتصمون بحبله ويستمسكون بهديه ، فتنزاح عنهم العلل ، وتسرى فى أوصالهم العافية ..

الا أن العصر الحديث وفد على العرب والمسلمين بحدث مستغرب بلبل فكرهم ، وأزاغ خطوهم ، فبدل أن يلتمسوا دواءهم كما اعتادوا من كتاب ربهم وسنة نبيهم ، جاء من يقول لهم : لا ..

هنــاك عقيــدة أخرى نريــد أن تحل محل الايمان المـألوف الموروث !

هناك مبدأ آخر يجب أن تسير تحت لوائه الجماهير ، وأن ترتبط به الحركات والسكنات ، وأن تتحمل فى سبيله المغارم والتضحيات .. وأن يتناسى ما عداه أو يذكر على تحرج واخفات ..

ذلك هو مبدأ « القومية » بمعناها الاقليمى الضيق أو بمعناها العروبى الواسع ! ...

والبديل الجديد لم يجرؤ أول أمره على القول بأنه خصم للايمان أو عوض مطلق عنه !! فان هذا التصريح يفسد عليه خطته .

ومن هنـا اكتفى بأن ينتزع لنفسه حق الحياة والتوجيه بدعوى أنه ممثل جديد للدين ، أو صديق له ، أو نائب عنه ، أو ما شئت من تعـلات وعناوين ! ..

حتى اذا استغلظ عوده ، واعانت الثقافة الأوروبية على ترسيخ مفهومه ، وتوسيع دائرته ، اخذ يكشف عن دخيلة نفسه ، ويقول للاسلام : لا شأن لك بالحياة ، عش معزولا عن الواقع أو اذهب الى القبور !

ولم يكن من هذا الافتراق بد فى نهاية المرحلة ..

ان القوميات الضيقة أو الواسعة عندما طرقت ابواب البلاد العربية عقدت مصالحة ماكرة بينها وبين الاسلام ، فاعترفت بأن الاسلام دين الدولة ، وان اللغة العربية لسانها الرسمى ..

وهى مصالحة مدخولة شعر المؤمنون معها بان ولاءهم لله ورسوله قد زحزح عن مكانته ، فبعد أن كان قائلهم يقول :

أبى الاسلام لا أب لى سواه　　　اذا افتخروا بقيس او تميم

جاءت القوميات الجديدة تقطعه عن اخوانه فى العقيدة ، وتزهده فيما لروابطها من ايحاء .

بل ان متطلبات هذا البديل الدخيل لم تلبث أن طغت على أوامر الاسلام ونواهيه ، فاضحى الالتزام بها طوعا لا تكليفا ! ..

ونشب فى ضمائر المسلمين عراك صامت او صارخ فى مقابلة هذا الوضع الطارىء على تاريخهم واحوالهم ، وكان هذا العراك يهدأ أو يهيج حسب الظروف المحلية والعالمية التى تفرض لحاضرهم ومستقبلهم .

الى ان اعلنت القومية العربية على لسان زعمائها فى بعض الاقطار الاسلامية رفضها للاسلام ، اساسا للتوحيد والتشريع ، ودعامة للتربية والتنمية ، وصبغة للحياة الخاصة والعامة وسط الكثرة العظمى المؤمنة به ، واما التهديد الرهيب لمستقبله ومستقبلهم .

فكان هذا الاعلان انذارا لجماهير المسلمين ان لا محيص من عودة صريحة شاملة لدينهم ، عودة لا يبقى معها هذا الانشطار فى الولاء ، او هذا الازدواج فى التوجيه ، أو هذا الاغضاء عن حدود الله وحقوقه لملابسات اصبح الاكتراث بها لا موضع له ..

ان القياد القومى للمسلمين فى مختلف بلدانهم بدد قواه فى الهدم اكثر مما بددها فى البناء .. ولكى تدرك هذه الحقيقة تصور ان زعيما سياسيا لانجلترا اراد ان يجعلها بلدا زراعيا لا صناعيا ، او اراد ان يجعل مهارتها العسكرية صحراوية لا بحرية .

ماذا عساه يفعل هذا الزعيم ؟ انه سيشن حربا على البيئة السائدة ،

والمهارات الموروثة ، والمصالح القائمة ، والتقاليد المرعية ، محاولا دفعها كلهـا الى الطريق الذى يريد ..

وهذه جميعا لن تستسلم له ، وسوف تستعصى على مراده ..

قد تقول : ربما يكون عبقريا فيكرهها على التحول الذى يبغى ..

ونقول : ذاك لو أمكن عقلا وعدلا أن تستجيب له طبيعة البيئة ، لكن بلادا ليست خصبة التربة كيف يجود فيها الزرع ، وبلادا تحيط بهـا الأمواج كيف تجيد حرب الصحراء .. ؟؟

كذلك القـول فى جميع النهضات التى تريد التنكر للاسلام بين أهليه ، وسدنته الأقربين ، وحملته الأوائل ، أعنى العرب .

ان هذه النهضـات بذلت جهودا غير مشكورة فى تجـاهل الاسـلام ، وتجهيل الأجيـال الجديدة فيه ، وصرف الأفئدة والأفكار بعيدا عنه .. والأمم المغلوبة على أمرها تحس هذه المحاولات وتجاهد للتغلب عليهـا وابطـال آثارها .

فكان من نتائج هذا الانفصال المعنوى بين الشعوب وحكامها أن ضاعت جهود عظيمة فى الأخـذ والرد ، والجذب والشد ..

وجمد المسلمون فى بلادهم على حين تقـدمت ثورات أخرى برئت من هذا التفاوت والتناقض .

وقـد ضحكت ضحكا مريرا وأنا أقرأ فى بعض الصحف أن هنـاك فكرة لارسال صور الفنانين والفنانات الى المقاتلين فى الجبهة .. !!

هذا هو أسلوب التحريض على الاستبسال والاستشهاد كما يفهمه رجال من حملة الأقلام .. !!

أتعرف أحقـر من هذا التفكير فى مواجهـة اليهود ؟

ولكن البعـد عن الدين يلد العجائب .. !

اننـا قـد بلغنـا الآن المرحلة التى تردنا الى ديننا على عجل .. ولأشرح هنا أمرين مهمين .

أولهمـا : أن العرب لا يلم شملهم الا دين ، ولا يسحق خصوماتهم الا دين ، ولا يوحد كلمتهم الا دين ..

كذلك كانوا قديما وكذلك نجـدهم فى هذا العصر .

ان النفسية العربية لا يدخلهـا مفتاح قط ، ويتمكن من الدوران فى

اعماقها ، والتحريك لأقصى مشاعرها وافكارها ، الا ان يكون هذا المفتاح دينـــا ٠٠ !!

ان العرب فى جاهليتهم تقاتلوا اربعين سنة من أجل ناقة قتلها الطيش ، وهم فى عصرنا هذا ما زالوا يحملون خصائص اسلافهم فى الجاهلية ما يفطمهم عنها الا ان يؤمنوا بالله ويتذاكروا الاسلام ٠٠ !

وقد قسمتهم الدنيا فى الجاهلية الف حزب بينها من الثارات نار لا تنطفىء ابدا ، حتى جاء محمد بدينه العظيم فصنع المعجـزة « **والف بين قلوبهم ، لو انفقت ما فى الأرض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم ، انه عزيز حكيم** »(١) ٠

ان الخلافات بين العرب الآن حقيقـة ما يستطاع اخفاؤها ٠ ومع أن حماهم قد استبيح والأزمات المـادية والأدبية قد سودت وجوههم ، الا أنهم ما زالوا مفترقى القلوب ممزقى الصفوف ٠٠

ولن يزالوا كذلك حتى يغسل الايمان قلوبهم ، ويجمع صفوفهم ، ويعيد بناءهم ، ويرصهم فى ميدان القتـال مجاهدين اشرافا — لا شبابا مائعـا يتفرس فى ملامح الفنانات والفنانين !!

والأمر الآخر ٠ أن العـرب الآن يواجهون تجمعا دينيا تحت علـم اليهودية ، وهذا التجمع الحقيقى آخى بين اليهود النـازحين من اليمن واليهود القادمين من أمريكـا ، ومحا الفروق القومية واللغوية ، وجمع بين المتباعدين على أساس من التوراة والتلمود واللغة العبرية وشحن القلوب بحماس العقيدة ، وذكريات التاريخ ، وقداسـة القضية التى يسـتحب الفنـاء تحت علمهـا ٠٠ !!

فاذا كان الدين سلاحا روحيا وماديا فى الجبهة التى يقابلها العرب فكيف يطلب من العرب ان يتجردوا من الدين فى مثل هذا اللقاء ؟

وهل ينتظر ان يصمد اناس قلوبهم خربة من الدين أمام اناس لهم دينهم الذى يلهب حماسهم ، ويذكى بأسهم ، ويغريهم بصنع العجائب ٠٠؟

ذاك عن اليهود ، اما العدو الآخر الذى يختبىء وراءهم فما الذى حمله على ايذائنا ودفعه الى عداوتنا ؟

اسباب اقتصادية ؟ كلا ، انه يخسر ماديا فى معاونته لبنى اسرائيل ومحاربته للعرب ، **انها الأحقـاد الدينية التاريخية التى تجعل أمريكـا** وحلفاءها يجورون علينـا ويهشون لمصائبنا ويشمتون من هزائمنا ٠

بل يشاركون فى صنعها ، فبسلاحهم نقتل ، وبسياستهم نخذل ٠٠ !

---

(١) الانفـال : ٦٣ ٠

فهل يتعلق كل ذى دين بدينه ويتصرف بمنطقه — أو هكذا يرى — على حين يطلب من المسلمين وحدهم ان يدعوا دينهم ؟؟

لقد استقدم الانجليز اليهود الى فلسطين ، وأعطى من لا يملك وطنا لمن لا يستحق ، فلماذا فعل الانجليز ذلك ، ان قائدهم العسكرى الكبير صرح بدخيلة نفسه عندما دخل القدس فزعم أنه بذلك أنهى الحروب الصليبية أنهاها بداهة لحساب قومه ، الذين ملكوا ما لم يملكه « رتشارد » من قبل ثم تصرفوا فى أملاكهم على هذا النحو ، مزيدا من التنكيل بالاسلام والمسلمين !!

ثم ورثت « الولايات المتحدة » انجلترا ·· ورعت بنى اسرائيل رعاية انطقت ألسنتهم بالشكر والمحبة ، وها هى ذى أمداد اسلحتهم تنهمر على بنى اسرائيل اعدادا لهجوم آخر يكون انكى واقسى !؟

فهل هذه السخائم الدينية تواجه من جانب المسلمين بالزهد فى الاسلام ؟ !

أم هى — بواعث الدفاع عن النفس — تفرض عليهم أن يهرعوا الى كنف دينهم يحتمون به ، ويجمعون اخوانهم فى كل مكان ليلاقوا هذا البلاء المبين ؟؟

ان القومية العربية فشلت فى الدفاع عن بيت المقدس ، وهو الحرم الثالث لنا نحن المسلمين ، فهل ننتظر حتى تفشل فى الدفاع عن المدينة المنورة نفسها واليهود يعدونها من أملاكهم الاولى وتراثهم القديم ؟

آن للعرب أن يعودوا ظاهرا وباطنا الى الله ، وأن يجعلوا الاسلام شارة واضحة لكفاحهم المرتقب ·

فليس يغنى عنهم شيئا ان يتعلقوا بنزعات مجلوبة وقوميات هجرها مبتدعوها ··

وليس يغنى عنهم شيئا أن يصحبوا الاسلام على غش ، أو يتقربوا الى الاسلام ببعض المظاهر الجوفاء ··

قد يقال : لكن العودة بالعالم كله الى الحروب الدينية الأولى شىء لا يطاق وربما كانت عواقبه شؤما على مستقبل البشرية أجمع ·

ونشرح هذا الاعتراض فى الحديث التالى ، ونبسط الاجابة عليه ·

***

متى تنتهي هذه الأحقاد ؟

نحن المسلمين لا نعرف التعصب الدينى ، واذا عرفناه مر بنفوسنا خاطرا مساورا ، أو وسواسا عابرا ، فما بنينا عليه سياسية ، ولا اقمنا عليه تقليدا ، ولا عرف لنـا فى الحياة وجهة !!

وقد أقـام اليهود بين ظهرانى العرب والمسلمين أعصـارا طويلـة ، واعدادا كثيفة ، وتوزعتهم جهات متباعدة ، لا جهة واحدة ٠

فكانت تعاليم الاسلام ترعاهم فى غرب افريقيا على شاطىء الأطلسى ، وفى شرق القارة على جوانب النيل كما كانت ترعاهم جنوبى الجزيرة العربية فى اليمن ، وشماليها فى العراق ٠

وعلى امتداد التاريخ واتساع الرقعة لم يلق اليهود ذرة من المعاملة الشرسة الغليظة التى عرفها اخوانهم فى أوروبا ٠٠

لقـد كان العـالم المسيحى يصب عليهم جـام غضـبه ، ويلفحهم ببغضائه أينما حلوا ٠

لم يكن يهود روسيا أحسن حالا من يهود فرنسا ، وهؤلاء فى شرق أوروبا وأولئك فى غربهـا ٠

ولم يكن يهود انجلترا احسن حالا من يهود أسبانيا ، وهؤلاء فى الشمال وأولئك فى الجنوب ٠

ثم ظهر هتلر فى المـانيا أخيرا ففعل بهؤلاء المنكودين ما فعل ٠

ان التعصب المسيحى داء عياء ، وقد كانت المذاهب الدينية الكنسية يضيق بعضها ببعض ويستبيحه فكيف بهـا فى معـاملة الآخرين ؟

ولن تبرح ذاكرة العـالم مآسى الحروب الصليبية القديمة ، ومجازرها المروعة ، وقد أصاب المسلمين منهـا بلاء عظيم ٠

فلا غرو اذا تطلعت الدنيا جمعـاء الى خلاص من هذا الشر المستطير ٠

ولا عجب اذا رحبت بطى الصفحة القديمة واستفتحت صـفحة أملا بالصفاء ، وأندى بالسماحة ٠٠

من يكره هذا التحول النبيل ؟ اننـا نتشوق من اعماق قلوبنا الى عالم تغمر الحريات أكنافه وتظفر فيه الشعوب بالأمان ٠٠

الا لعنة الله على تجار الحروب ، وموقدى نارها ٠!

كم نود أن يتوطـد السلام فى عالم تستقر فيه حقوق الانسان وكرامات الأمم ..

لكن هل مستقبل الانسانية ياخذ هذا الاتجاه ؟ كلا ..

ونحن المسلمين فى هذه الآونة الحاسمه نشعر بان الآخرين يقيمون كيانهم على أنقاضنا ، ويبنون سعادتهم على شقوتنا .

وعندما يضع نفر من الناس خطتهم فى الثراء على ثروة مسروقة ، أو خطتهم فى البناء على أرض منهوبة فهيهات ان يتمخض هذا البدء عن نهاية صالحة .

انه كمسلك أخوة يوسف عندما رسموا الطريق لراحتهم المنشـودة فقـالوا « **اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعـده قوما صالحين** » (١) .

هكذا تتعاون الصهيونية والصليبية على اقامة السلام العالمى ، ومنع الحروب الدينية أو المدنية ..

أسحقوا العرب والاسلام ، واقيموا لبنى اسرائيل دولة كبرى على أطلال هـذا المـاضى الكريه ، وبعـدئذ سيحظى العـالم بالاسـتقرار والرفـاهية ..

هذه هى سياسة الآخرين تجاهنا ، وهى سياسة حولت الخطب النارية لبطرس الناسك الى كلمات فيهـا ليونة الأفعى ، وسمها الزعاف ..

فهل يلام المسلمون اذا قاوموا هذا الموت الزاحف الحاقـد بكل مايملكون من عقـائد وطاقات ..

والآن لنكشف القوى التى تحـرك اسرائيل والتى تزين للـدول الاستعمارية امدادها بالمـال والسلاح ..

لقد اجتمع مؤتمر مسكونى للكنائس كلهـا فى روما تحت رعاية البابا الأكبر ..

ماذا كان الهـدف من عقـد هذا المؤتمر ؟

كان الهدف ابداء العطف على اليهود فى المرحلة التى يمرون بها من تاريخهم المعـاصر ..

---

(١) يوسف : ٩ .

كان الهدف عقد صلح حقيقى بين المسيحية واليهودية ، يستطيع اليهود بعده ان يتوجهوا بنشاطهم كله ضدنا ..

لو كان الهدف من هذا المؤتمر منع اضطهاد اليهود ، لانعقد أيام هتلر ، أو فى أعقاب حركته العنصرية .

أما أن ينعقد بعد انتهاء النازية بعشرات السنين ، وبعد انتصار الدول المشايعة لليهود ، ثم يقال : انه مؤتمر لمنع اضطهاد اليهود ! فهذا عبث صغير بالأذهان ! ..

إن اليهود فى وضع سمح لهم باضطهاد غيرهم ، فكيف يزعم زاعم أن مؤتمر الكنائس العالمية اجتمع لمنع الأذى النازل باليهود ؟

ان المؤتمر للأسف اتخذ عنوانا خادعا ..

وحقيقته هى دعم العدوان اليهودى ضد العرب ، او الكيد للاسلام واهله بطريقة جديدة .

وبالها ووما والسادة الذين عاونوه تجاهلوا حقوق أهل فلسطين ، وأصموا آذانهم عن صراخ اللاجئين ، وكل ما عناهم – بعد – هو تحويل القدس ، أو بتعبير صريح ، طرد المسلمين منها وحسب ! ..

ولننظر الى عبارات الوثيقة التى اصدرها المؤتمر لنرى العجائب فى تدليل اليهود ، والتلطف معهم ، والدفاع عنهم ..

اى فى معاونتهم على حربنا ، وشد أزرهم وهم يهجمون علينا ..

تعبر هذه العبارة فى صدر الوثيقة المذكورة « ان الكنيسة – ذلك المخلوق الجديد فى المسيح وشعب العهد الجديد – لا يمكن أن ينسى أنها استمرار لذلك الشعب الذى تفضل الله عليه برحمته الواسعة فى يوم من الأيام بتحقيق عهده القديم موكلا اليه الوحى المذكور فى كتب العهد القديم » .

وهذا الكلام واضح الدلالة فى أن المؤتمر يعد الكنيسة المسيحية استمرارا للوجود اليهودى الاول .

ما هذا الذوبان كله ؟ ولم ذلك الملق ؟

ونتابع عبارات الوثيقة التى صدرت دعما لبنى اسرائيل فى هذا العصر المشئوم :

« .. ولا تنسى الكنيسة ان المسيح ولد – من ناحية الجسد – فى الشعب اليهودى ، وأن أم المسيح ، مريم العذراء ، والحواريين ، وهم اساس ودعامة الكنيسة قد ولدوا أيضا فى الشعب اليهودى ، وتضع الكنيسة نصب اعينها ما قاله بولس الرسول فى شأن اليهود الذين هم اسرائيليون ولهم التبنى والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد » (الرسالة الى أهل رومية : ٩ – ٤) .

ولما كان المسيحيون قد تسلموا من اليهود ذلك التراث العظيم فان هذا المجمع المسكونى يهدف الى التشجيع والتوصية بمراعاة التعارف والاحترام المتبادل تماما بين المسيحيين واليهود والذى سيصبح عميقا عن طريق البحث اللاهوتى والحوار الأخوى » ٠

أرأيت هذا الذوبان كله ؟ وهذا الاسترضاء والاقتراب الناعمين ؟

ثم تمضى الوثيقة فتقول : « من الواجب أن نذكر أن اتحاد الشعب اليهودى مع الكنيسة هو جزء من الأمل المسيحى ، والواقع أن الكنيسة حسب تعاليم بولس الرسول (رسالة رومية ١١/٥) تفتح بعقيدة متينة ورغبة أكيدة فى وجه ذلك الشعب باب الدخول فى سلطان شعب الله كما وطده المسيح ٠٠ »

واخيرا ترشد الوثيقة الى انه « عند تلقين الدين المسيحى يجب عدم اظهار الشعب اليهودى كأنه ملعون ٠٠ الخ » ٠

وهكذا أمكن بعد عشرين قرنا من حياة المسيح عليه السلام أن يصطلح اليهود والنصارى ٠٠

ولكن علينا وعلى بلادنا وحاضرنا ومستقبلنا ٠

واخفاء للضغائن الصليبية العنيفة فى هذه الوثيقة الشاذة أوصى المؤتمر المسكونى بمحبة المسلمين أيضا ٠

واعلانا لهذا الحب مضت دولة اسرائيل فى حربها المكشوفة ضدنا . تمدها أمريكا وانجلترا وألمانيا بل أثيوبيا وأوغندا وكينيا ، وشتى الدول المسيحية ، بما تشاء ٠

وانفاذا لهذه الوثيقة وتمشيا مع روحها نجحت مؤامرة الاغضاء عن العدوان الاسرائيلى وفشلت كل المحاولات لاستصدار قرار بانسحاب الاسرائيليين من الأراضى التى احتلوها ، ولم ينطق احد بكلمة عطف على العرب !!

ومع الظروف التى جعلت فرنسا خصما لحلفائها السابقين ، فان الفرنسيين فى موقفهم الجديد يصرون على بقاء اسرائيل — أى على افناء فلسطين — وعلى منحها حق المرور فى خليج العقبة وقناة السويس دون عائق !! ٠٠

فهل يلومنا عاقل اذا صرخنا نكشف هذا الغل الدفين ؟

هل يلومنا عاقل اذا قلنا : انصا نواجه حربا دينية عالن بها اليهود من جانبهم ، وعالنت بها الكنيسة فى المجمع المسكونى الأخير ؟

اننــا لسنا هواة حروب دينية أو مدنية ، ولا نحسن الانحراف مع نزعات التعصب الأعمى ٠

ولو ان يهود العــالم أجمعين عاشوا فى قلب العالم الاسلامى مواطنين شرفاء ما اساء اليهم احد ، بل لأخذوا مكاناتهم العلمية والسياسية جنبـا الى جنب مع المسلمين والمسيحيين الذين يحيون بيننا آمنين وافرين ! ٠٠

بيــد أن الهجوم المسلح الذى شـنه علينــا اليهـود أخيرا ، واعانتهم عليه المنظمات الدينية والسياسية الغربية يعطى القضية وجهـا آخر ، ويميط اللثام عن لون خسيس من الأحقـاد التى لا بد أن تواجه باستماتة وبأس ، وأن تحشد فى صدها جميع القدرات الروحية والعسكرية ٠

وما بد ـ والحـالة هذه ـ من جعل الاسلام قاعدة الدفاع ، والاستعانة بالروح الاسلامية فى طرد الغزاة المحدثين ، كما طرد اسلافهم أو أشباههم من الصليبيين الأقـحمين ٠

ولا حرج علينـا أن نستعين بكل سلاح أو نرحب بكل عون ٠٠

لحساب من يقال للعرب : ان الحرب الدائرة فوق أرضهم لا علاقـة لهـا بالدين ، وأنها مطامع بشرية محددة ؟

ولحساب من توصف الحروب الصليبية القديمة بأن الدين لم يكـن مشعل نارها ، ولا محرك أحقـادها ، بل كانت غزوا استعماريا فقط ؟ ٠٠

لحساب من يشاع هذا الافك وتوضع الحجب على وجه الحقيقة حتى لا يراها أحـد ؟ ٠٠

ان المستفيد من اقصاء الاسلام عن المعركة ، وايهـام اتباعه أن العقيدة لا دور لهـا فى هذه المـأساة هم اليهود ومن خلفهم من ورثة الضـغائن فى أوروبا وأمريكا ٠٠

والخاسر هو الاسلام والمسلمون والعرب والمستعربون ٠

وعندما يدفن الاسلام فى زوايا الاهمال فستدفن قبله فلسطين وما حولهـا من بـلاد ٠

والغريب أن ذلك ما ترتفع به عقـائر ، وتخطه أقـلام يجب أن يعرفها النـاس وأن يحذروا حملتها ٠٠

***

أهو وفـاء للعروبة أن يصر نفر غير قليل من رجال السياسة وأصحاب الأقـلام على هجـر الاسلام وسحب ذيول الصمت على اسمه ووحيه وحفه حتى لا يعتصم به أحـد ؟؟

ما هذه العروبة الغريبة ؟

ان من المتناقضات الجـديرة بالكشف أن هناك اناسا يتحمسـون للقـومية العربية ومع ذلك فهم يكرهون اللغة العربية !!

ودعك من انهم يعجزون عن الكـلام بهـا ، ولكن المثير حقـا أنهم فى مجـال الاذاعة يؤثرون الحـديث بالعـامية ويفضـلونها على الفصـحى ، ويضيقون بقواعد النحو والصرف بله ألوان البلاغة وفنون التعبير ..

وهم ساخطون على الشعر القـديم وبحوره المنغومة وموسيقاه الجزلة ، ويفضلون عليه هراء يسمونه الشعر المنثور أو النثر المشعور . .

وهم يرفضون بعنف أن تكون اللغة العربية لغة العلم والدرس فى كليات الطب والصيدلة والهندسة وغيرها ، ويتحمسون لبقـاء الانجليزية أو أيـة لغة أخرى بدل العربية !!

وهم يغلبون على المجامع الأدبية والعلمية واللغوية ويستطيعون بهذه الغلبة محو الطابع العربى واللفظ العربى من آفاق نشاطنا الحديث كلـه أو جله ، حتى لنخشى نحن المخلصين لتاريخنا وثقافتنا ، أن تزول صبغتنا القومية على مر الأيام .

ولقـد تساءلت : أهذا النفر المشتغل بالقومية العربية أو المتزيى بزيها، صادق فيمـا يزعم ؟

انه لو كان عربيا حقـا ، وكان يدين بغير الاسلام ما أكن لمحمـد صلى الله عليه وسلم ، وتراثه هذه البغضاء الرهيبة ..

واذا لم تكن الأمجاد العلمية والقـانونية والحضارية التى اقترنت بالرسالة المحمدية فخرا للعرب فبماذا يفخر العرب ؟

الحقيقـة التى ينبغى أن تقرر – أو التى آن أن تكشف – أن هذا النفر من الناس الذين علا صـياحهم فى الأيام الأخيرة ليسـوا منا فى قليل ولا كثير !

انهم نبت استعمارى مغشوش الضمير والتفكير ٠٠

يهمه نشر الشيوعية وحسب ان كان من أذناب الجبهة الشرقية ٠٠

أو يهمه نصر الأسلوب الغربى فى الحيـاة ان كان من أذناب الجبهة الغربية ٠٠

وقـد اتفق هؤلاء وأولئك على مخاصمة الاسلام ومطاردته فى ميدان التربية ، والتشريع ، والتوجيه الخاص والعام ، وبناء تقاليد اجتماعية لا تعترف بالحلال والحرام ، والصـلاة والصـيام ، وغير ذلك من آداب الدين ومعالم التقـوى ٠٠

ثم وقعت هزيمتنا الشائنة فى يونية سنة ١٩٦٧ وكانت اللطمـة من العنف والعمق بحيث يفيق منهـا المخمور ويؤوب الشارد ٠٠

بيـد أن الذين مردوا على النفـاق لم يعرفوا الى التوبة طريقـا ، فأخـذوا يهرفون بعـدها بكـلام كذب لا يزيـد الأمة الا خبـالا ، ولا ينقلهـا من كبوتها الحاضرة الا الى كبوة أوسع وأشنع ٠٠

كان السبب الأول والأخير لهزائمنا المتلاحقة أيام اليهود فقدان العقيدة الحـارة والأخـلاق الحارسة ، ونضـوب معين الايمـان من قلوب تعلقت بالشهوات ونسيت المثـل الرفيعـة ٠٠

كان السبب الأول والأخير لهزائمنا اننا كنا احفادا أخساء لأجدادنا الكبراء ، فما قلدناهم فى طلب الآخرة وحب الشهادة ، ولا قلدناهم فى أداء الفرائض ، والتزام الفضائل ، واحتقار الدنايا ، واطراح الأهواء ٠٠

ولنفرض ان جمهرة الجنود طيبة المعـدن ، فما جدوى ذلك اذا كـان قيادها فى أيدى قوم يذكرون أنفسهم ولا يذكرون الله ؟ أو فى أيدى قوم يحتقرون دينهم على حين يحترم خصمهم دينه ؟

وحلت الكارثة ٠٠ وشرع الثرثارون يذكرون السبب !!

وغاظنا ان يتواصى الجميع بقول كل شىء الا الحق ، كان التـذكير بالاسلام جريمة الجرائم ، أو كان العودة اليه هى المحظور المخيف ٠٠ !!

ومن المضحكات فى تعليل انتصار اليهود أن جيشهم كان عصريا ! كأنمـا تكونت الجيوش العربية فى القرن المـاضى ، ولم تتكون فى السنوات السبع الأخيرة !!

ومن طرائف التعليـل كذلك عزو انتصـار اليهـود الى تفوقهم فى

« التكنولوجيا » كان هزائم الأمريكيين أمام ثوار « فيتنام » سببها أن الفيتناميين أبرع من عدوهم في هذه « التكنولوجيا » .

ان المراد من هذا كله ، الصمت عن أثر العقيدة في كسب المعارك ..

ولا أعرف عاقلا ينكر آثار القوى المعنوية في احراز النصر ، ولكن لما كانت العقيدة عندنا هي الاسلام ، ولما كان ذكر الاسلام بغيضا عند هؤلاء الكاتبين فقد فضلوا طول اللغو على ذكر الحق توا .

ومؤامرة الصمت هنا تواطؤ متعمد على اماتة حديث الدين ، واستبقاء الجمهور بمعزل عنه ..

« ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر ، والله يعلم اسرارهم . فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم . ذلك بأنهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم .. » (١)

* * *

وتنشر الصحف في التعقيب على المعركة ونتائجها كلاما تتجاهل فيه الطبيعة الدينية لقيام اسرائيل ، وتتجاهل فيه مقررات المؤتمر المسكوني العالمي المنعقد في روما ، وتوصياته الحانية على اليهود ..

ومضيا في ابعاد الاسلام عن النزاع كله يقول الأستاذ « محمد حسنين هيكل » : كان بين الأسئلة المطروحة في هذه المناقشة مثلا : هل القضية فلسطينية بالدرجة الأولى ، عربية بالدرجة الثانية ؟ أم هي عربية بالدرجة الأولى ، فلسطينية بالدرجة الثانية ؟

وبالتالي : هل يحتمل شعب فلسطين أساسا مسئوليه المواجهة ضد الاغتصاب الاسرائيلي لوطنه ؟ ثم تساعده الأمة العربية في هذه المسئولية ؟

أم أن المسئولية أساسا على الأمة العربية وفي الطليعة منها بحكم انتمائه الوطني شعب فلسطين ؟؟

وهذا الكلام خطأ كله ! فرضان لا ثالث لهما !! هل النزاع فلسطيني أم عربي ؟ وأين الاسلام والمسلمون ؟

لقد تناساهما الكاتب عن عمد ! واليهود لا يطلبون افضل من هذا التفكير لانجاح سعيهم ..

ومع أن قضية فلسطين دينية عند أتباع التوراة والانجيل والقرآن ..

---

(١) محمد : ٢٦ — ٢٨ .

ومع ان امر المسجد الأقصى يهم المسلمين فى كل قارة ، كما يهمهم أمر المسجد النبوى مثلا ، ولا يزعم أحمق انه يهم السعوديين وحدهم ··

ومع هذا كله ، فان المشكلة ليست فى جر المسلمين قاطبة الى المعركة ،

المشكلة ان يقتعد الدين مكانته العتيدة بين العرب انفسهم ، وان يقاتلوا عدوهم عن عقيدة مهيمنة واستماتة مؤمنة ··

ويوم يعود العرب — فى قطر واحد من الأقطار المحيطة باليهود — الى الاسلام ، فان دولة واحدة من دولهم ستؤدب دولة العصابات !

ويوم يعجز ٣٠ مليـون مسلم فى مصر عن طرد هؤلاء المتـحدين فبطن الأرض خير من ظهرها ·

ويمضى الكاتب فى تحوين الفكر العربى ، واتاهة العرب عن طريق الرشد فيزعم ان احتضان الأمريكان ، وحلفائهم لليهود مسألة غامضة تحتاج الى دراسة علمية !!

أما الصبغة الدينية المفضوحة لهذه العلاقة ، أما الأحقاد الصليبية المتفجرة ضدنا ، أما الطبيعة الروحية للولايات المتحدة والطبيعة الكاثوليكية لدول امريكـا الجنوبية ، فهـذا كله يمر عليه الكـاتب كأنه لا يدريه ولا يسمع به !!

والغرض ؟ ابعاد الصبغة الدينية عن الطرف الآخر ، لكى لا يفكر أحد فى اضفاء الصبغة الدينية على الكفاح عندنا ·

واسمع اليه يتساءل : « ما هى اصول التاريخ اليهودى ؟ ما علاقة اليهودية بالصهيونية ؟ ما علاقة الدولة فى اسرائيل بالأقليات اليهودية فى العالم كله » ؟

ويجيب : « ليست هناك مراكز ومعاهد بحث كافية تعمل وتنتج باللغة العربية » !!

اقرأت هذا الهزل ··

والى ان تنشأ هذه المعاهد فى بلادنا ثم تنشر بحوثا جامعية فى حقيقة العدوان اليهودى فعلينا نحن المسلمين ابعاد الاسلام عن المعركة !

وربما نشرت هذه البحوث فى ظل السلطات اليهودية المنتصرة على العرب التائهين او الباحثين عن الحقيقة !

ان اليهود كما قلت لا ينتظرون من وسائل الاعلام لدينا ان تخدمهم بأفضل من هذا التفكير ··

ويمضى الكاتب فيتســـاءل : « ما هى حقيقة الصـلة بين الولايات المتحـدة واسرائيل ، والى أى مدى ارتباطهما » ؟ •

وبعد أن يعرض عدة اجابات ليس بينها أى ذكر لدين ما يقول : « الحقيقة فى ظنى تكمن فى نقطة ما وسط كل هذه الأقوال ، ولابد من بحث علمى عنها » ! •

بحث علمى عماذا ؟

ولا أريد اطالة التعليق على هذه الأفكار ، فان الأمر لا يحتمل الميوعة ولا التسويف •

ان على المسلمين ان يستيقظوا ليدافعوا عن دينهم وأرضهم وتاريخهم فى وجه حرب قذرة تأخذ طابعا دينيا مكشوفا لا ريب فيه •

اننـا نواجه حربا دينية تستهـدف اجتثـاث جذورنا ، والتطويح برسالتنا ومكانتنا •

أما جعل الحرب دفاعا عن القومية العربية بعد تجريدها من الدين فهو منته يقينـا الى اضاعة الكيان القومى واللغة العربية على سواء •

لن يحمى العرب الا الاسلام ، يوم يعتصمون به خلقا وشرعا ، وسيرة ، ونظاما ••

أما مع أوضاعهم الشائعة اليوم فالأمل بعيد بعيد ••

***

هــذا هــو الطريق

الفقر الحقيقى فى الأمة الاسلامية الكبيرة يرجع الى هذا الشـلل الغريب فى الهمم والمواهب ، وهذا التخلف السحيق فى مجـال الانتـاج والاجـادة ..

ثم الى ذلكم العبث بمعنى الايمان ، والنكوص عن منطقه ..

الى جانب تعلق وضيع بالشهوات ، ونهمة بادية الى الدنيـا !

وما نصف خصومنا بانهم يكرهون الحياة وملذاتها ، بيـد أن الأمم القوية تبلغ ما تهوى بوسائلها الخاصة ، اما الأمم الضعيفة فهى تلهث وراء غيرها ، أو تتعلق بركابهم تعلق المتسلقين بمركبات النقل ، أو تعلق المتسولين بأذيال السادة .

والنهوض الحقيقى هو زوال هذه العلل ، وفناء جراثيمها ، وقـدرة الأمة على الاستغناء بعلمها وانتاجها ، والاستهداء بايمانها وفضـائلها ، والاستعلاء على متاع الدنيا بحيث تأخذ منه بقدر ، وتنصرف عنـه متى تشـاء !

ويؤسفنى التصريح بان الشعوب الاسلامية ، حتى يومنا هذا ، لم تبدأ نهضة صحيحة ، وأن مظاهر التقدم التى نراها أو نسمع عنها هى امتداد لنشـاط القوى الكبرى فى العالم أكثر مما هى تطلع المتأخرين للتقدم ..

فالغرب الصليبى يصطنع شعوبا شتى لخـدمة مآربه ويمدها بكثير من عونه المـادى وقليل من تقدمه الحضارى .

والشرق الشيوعى ينافسه فى ذلك الميدان ، ويحـاول الاستفادة من اخطائه ، أو يحاول ميراثه اذا انتهى فى مكان ما ..

وجمهرة المتعلمين أوزاع ، وبعضهم يؤثر النمط الغربى فى الفكر والسلوك وآخرون قد أعجبتهم المـاركسية فاصطبغوا ظاهرا وباطنا بنزعتهـا ..

أما الذين يتشبثون بالعقائد والفضائل الاسلامية ويريدون بنـاء المجتمع الكبير على دعائم الوحى المحمدى فقلة غامضة فى الناس ، ولا أقول منكورة الوجهة منكودة الحظ ..

هب ان ثورة قامت فى جنوب اليمن تجعل الحياة الصينية أو الروسية مثلها الأعلى ، أتكون هذه الثورة نهضة اسلامية ؟ أم تكون نجاحا للفكر الشيوعى العالمى ؟؟

من أجل ذلك قلت : ان الشعوب الاسلامية لم تبـدأ بعد نهضـة

صحيحة ، تكون امتدادا لتاريخها ، وابرازا لشخصيتها أو نماء لأصلهـا وتثبيتا لملامحها ٠٠

ومن الغلط تصور أنى أحرم الاستفادة من تجارب الآخرين ومعارفهم !! كيف وهؤلاء الآخرون ما تقدموا الا بما نقلوه عن أسلافنا من فكر وخلق ووعى وتجربة ٠٠ ؟؟

ان دولة الخلافة الراشدة اقتبست فى بناء النظام الاســـلامى من مواريث الروم والفرس دون غضاضة ٠٠

وعندما آكل اطعمة اجنبية انا بحاجة اليهـا فالجسم الذى نمـا هو جسمى ، والقوى التى انسابت فى اوصاله هى قواى !!

المهم عندى أن أبقى أنا بمشخصاتى ومقوماتى !!

المهم ان أبقى وتبقى فى كيانى جميع المبادىء التى امثلها والتى ترتبط بى وأرتبط بها ، لأنها رسالتى فى الحياة ، ووظيفتى فى الأرض ٠٠

هذا هو مقياس النهضة ، وآية صدقها أو زيفها ، فهل فى العـالم الاسلامى نهضات جادة تجعل الاسلام الحنيف وجهتها والرسوم الكريم أسوتها ؟ ٠

انـا هنا شديدو الحرص على جعل البنـاء الجـديد ينهض على هاتيك الدعائم ٠٠

واذا كنا نستورد من الخارج ثمرات التقـدم الصناعى ، وننتفع من خبرنا غيرنا من آفاق الحياة العامة ، فليكن ذلك فى اطار صلب من شرائعنا وشعائرنا ٠

فانه لا قيمة لأحدث الآلات اذا تولى ادارتها قلب خرب ، ولا قيمة لأفتك الأسلحة اذا حاول الضرب بها فؤاد مستوحش مقطوع عن الله مولع بالشهوات ٠٠

ان بناء النفوس والضمائر يسبق بناء المصانع والجيوش وهذا البناء لا يتم الا وفق تعـاليم الاسلام ٠٠

تنشئة تصوغ الأجيـال الجديدة ، وتقاليد تحكم العلاقات السائدة ، ورعاية ظاهرة وباطنة للعبادات المفروضة ، ومعالنة جازمة بما فى الدين من اهداف ، ومقاطعة حاسمة لـما يعترضه من مسالك ٠٠

وكل بناء معنوى للأمة يتنكر للاسلام ، أو يخافت بذكره ، أو يغض من شأنه ، فهو مرفوض جملة وتفصيلا ٠٠ !

ولقـد جربنـا جعل مظـاهر المدنيـة فوق باطن فارغ مظلم فماذا صنعنا ؟

صنعنا ناسا : « **اذا رايتهم تعجبك اجسامهم ، وان يقـولوا تسمع لقولهم ، كانهم خشب مسندة ، يحسبون كل صيحة عليهم ..** » (١) .

وهذا اللون من الناس فاشل فى سلمه ، مخذول فى حربه ، ما تسانده الى غاية أرض ولا سماء ..

البناء الحقيقى للنفوس يستهدف أمرين جليلين ..

أولهما اسلامى بحت يحرك المسلم من يقظة الفجر الى هداة الليل بحماس العقيدة ، وطهر الصلاة ، وشرف الاخلاص وحب الله ورسوله .

وكلتـا الجهتين الشرقية والغربية تكره ذلك الأمر ، وتابى ان ياخذ الاسلام طريقه فى الحياة بهـذا الوضوح .

والأمر الآخر حيوى بحت ، أساسه التفوق العلمى والعملى فى كل أفق امتدت اليه الحضارة الحديثة من استصلاح التربة الى غزو الفضاء !

ولنكن صرحاء ! ان هذا التفوق لا يولد من تلقـاء نفسه ، ان التبرير فى هذا المجـال يتطلب رغبة فى المعرفة ، وشوقا الى المجهول ، وعزما على اقتحـام كل عقبة ، وهذه المشاعر لا تلدها الا عقيدة مكينة !

واذا كانت الحاجة أم الاختراع كما يقولون فان العقيدة المسيطرة اقوى من الحاجة فى الاندفاع والتحمل واستشفاف الغيوب !

ان الجندى المؤمن يرمق الظلام فى جنح الليل بطرف يكاد يخترق سدوله ، ويبحث عن الف حيلة لمقـاومة العـدو ودحره ..

والعامل المؤمن يجفف العرق ، وينفى عن نفسه التعب ، لأنه ببواعث الحب لا القهر ، يريد خدمة أمته واعلاء رسالته ..

والمحزن فى شئون المسلمين انهم من عشرات السنين لا يمكنون من الحياة وفق ايمانهم الأثير ، وانهم – أيضا – يلفظون كل ما يعرض عليهم من ايمان بديل .. !

ونتج عن ذلك أن اعمالهم الخاصة ونهضاتهم العامة تولد ميتة ، وانهم ان تحركوا ففى مكانهم !!

---

(١) المنافقـون : ٤ .

وقد تحركت اليابان منذ قرن فى موكب نهضة صناعية عارمة ، ونجحت حركتها من هذا التدافع اللعين بين ما يفرض على الشعب من خـــارج ، وما يهفو اليه من داخل فماذا كانت النتيجة ؟

اضحت أمة من انجح امم الدنيا ، ولا تزال برغم هزيمتها فى الحرب الأخيرة امة مرهوبة العزم ، ان لم يكن فى صناعات الحرب ففى صـناعات السلام ..

أما العالم الاسلامى خلال هذا القرن فقـد رزق بحكـام يريدون محو دينهم أو تشويه صلته بهـذا الدين ، فكانوا شؤما على يومه وغده ..

ان النهضة الحقيقية هى التى تفلح فى استثارة قوى النفس ، وفى جعل الأمة على اختلاف طوائفها كخلية النحل نشاطا ونظاما .

ولنزد الموضوع جلاء ..

لقـد نشأ عن الانفكـاك بين العقيدة والعمـل عجـز رهيب فى أداء الأعمـال العادية حتى ليخيل الى أن عوام المسلمين أصبحوا دون غيرهم من الخلق فى نواحى الانتاج المـادى والأدبى ..

وكثيرا ما كنت اذكر قول ابى الطيب المتنبى :

انا لفى زمن ترك القبيح به — من اكثر الناس احسانا واجمال

فاحس مقدار هبوطنا عن المستوى الانسـانى الرفيع فى الاتقـــان والاجـادة !!

ان النجـاة من السقوط قد تكون شيئا مقبولا ، ولكن ليس كل نجاح يحسب تفوقـا .. قـد يبدأ انسان من العرج ويستطيع السير ، ولكنـه لا يمنح جائزة بتاتا فى العـدو لمجرد القـدرة على المشى ..

والمتنبى يحتقر اهل زمانه لأنهم فقـدوا ملكـة الاجـادة ولا يحسنون فعل العظـائم . !!

فكيف لو راى المعاصرين لنـا من موظفين وعمـال فى كل شـان دق او جل .

ان هؤلاء ـ لانعدام بواعث الايمان والتقوى ـ تعوج فى ايديهم الأعمال المستقيمة فلا يصلون بهـا الى المستوى المقبـول بله مستوى النبـوغ والعبقرية . !!

راقبت يوما بعض النـاس الذين تكثر دعاواهم ولا تؤمن بلاياهم ، ثم عدت من نظـرتى اليـه وانا اضع يدى على سبب مبين من أسـباب تاخرنا ..

نظرت اليه فوجدت العمل يخرج من بين يديه ناقصا غير تام ، شانها غير جميل ، ووجدته لا ياسى على ذلك ، ولا تحركه اشواق الى ادراك ما فاته ، وبلوغ مرتبة افضل ٠

فعلمت انه انسان تنقصه موهبة الاتقان ، وان امامه اشواطا واسعة من التدريب والعلاج حتى تكسب يده المهارة المطلوبة وتستحب نفسه الاجادة والتفوق ٠٠

واعدت النظر مرة اخرى في سلوكه فرايته يطلب على عمله الناقص ثمنا كبيرا ويرتقب من غيره التقدير المضاعف ٠

او هو يفرض على الآخرين مطالبه مهما فدحت دون تقديم مقابل معقول ٠٠ !!

فاحسست أن له طبعا جشعا كثير التطلع الى طيبات الحياة ٠ وليته يتوسل الى مطامعه بجهد مبذول مقدور ٠

كلا ، انه من الناحية النظرية ضعيف الكفاية ، ومن الناحية النفسية ضعيف الأمانة ، فاى بلاء هذا ؟ ٠

امثال هذه العلل هبوط حقيقي بالمستوى الانسانى ، ونزول مؤكد من مرتبة الاحسان التى يفرضها الدين ، ويبنى ترتيبه على تحصيلها ٠

ان الحصاد الغالى للجهد البشرى بعد طول الكدح في هذه الحياة ، أن يخرج الانسان من هذه الدنيا بثمرة واحدة هى « العمل الحسن » ٠

وذلك ما أكده القرآن الكريم عندما قال : « **الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا** » (١) ٠

وقال : « **انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا** »(٢) ٠

فاى عمل حسن لامرىء تخرج الأعمال من بين اصابعه وكانما اجهض عنها فهى كالسقط الذى لم تكتمل ملامحه !

وأى عمل حسن لامرىء منطلق الرغبات كالطفل المدلل يطلب فقط ، وعلى الدنيا أن تلبى !!

---

(١) الملك : ٢ .   (٢) الكهف : ٧ .

ان النجاح الكبير فى هذه الحياة وعند الله ان ننمى عقولنا وقلوبنا تنمية توفى على الغـاية ، والله جل شانه يقول : « **وما نرسـل المرسـلين الا مبشرين ومنذرين ، فمن آمن واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** »(١)

الايمان والاصلاح قرينـان لا ينفكـان ٠

وليس من الاصلاح المنشود المفروض أن يكون الانسان غير مأمون على اجادة واجب أو غير مأمون - اذا أجاده - على المغالاة فيه ، وطلب مكـانة **لا يستحقهـا عليه !!**

ومرة أخرى نقول : ان اعادة الحيـاة الى العقيدة الاسلامية لتحتل مكانها فى الضمير ثم الى الشريعة لترسم خط السير فى المجتمع الكبير ، هو وحده طريق النهوض الصحيح ٠

* * *

---

(١) الانعـام : ٤٨ .

القيم الروحية ·· كلمة غامضة مبهمة

شاعت كلمة « القيم الروحية » على السنة الكتاب والخطباء فى الأيام الأخيرة ·

وهى كلمة جدت فى الأدب العربى الحديث ولم نقرأها فى أساليب الأولين ··

ولم نشعر عندما سمعناها لأول مرة بانكار لمدلولها المتبادر الى الأذهان ·

اذ كانت ـ فيما فهمنا ـ تعنى التسامى بالنفس ، والعناية بالخلق ، والاعتراض على التفكير المادى ، ورفض وجهته فى السلوك الخاص والعام ··

وتلك جميعا معان مانوسة مستطلفة ، نقبلها نحن المسلمين ، ونراها بعض تراثنا الدينى بلا ريب ·

لكن الكلمة تكررت فى مواطن شتى ، واحاطت بها ملابسات متصورة !

بل يمكن القول بانها اضحت مصطلحا سياسيا له مفهومه وغايته عندما يطلق هنا وهناك ··

والظاهر أن هذه الكلمة ، كلمة القيم الروحية ، تعنى مجموعة الأديان الأرضية والسماوية التى تعتنقها جماهير كثيفة من البشر ، وتصبغ وجهتها فى الحياة بطابع غيبى بارز ، وضروب من العبارات مقررة ، وانماط من السلوك يستمسك بها الأتباع ولا يحيدون عنها أبدا ·

اى أن هذه القيم تشمل البوذية والهندوكية واليهودية والمسيحية والاسلام وكل ما يتقرر فى هذا الميدان التقليدى المأثور ، ميدان الدين والمتدينين ومن اليهم ·· !!

وضم هذه النزعات كلها تحت عنوان القيم الروحية اختصار حسن ، كما أن كلمة « المشروبات الروحية » تعنى جميع السوائل المسكرة مهما اختلفت الأسماء فى شتى الأقطار !!

وكلمة « القيم الروحية » بهذا المفهوم الجامع تستحق دراسة متمهلة كى نحدد منها موقفنا ·

فان طى الحق والباطل تحت عنوان واحد أمر نرفضه ابتداء !

ومن هنا فنحن نستبعد الأديان الأرضية من نطاق هذه القيم ، ولا نعترف بدين الا ما كان له أصل سماوى محترم ·

أى أن الأديــان فى نظــرنا لا تعنى الا الاســلام ، فالنصرانيــة ، فاليهودية ٠

أما الفلسفات الأخرى التى تحولت بين ايدى أتباعها الى دين فهى فى نظرنا ضروب من الوثنيات مبتوتة الصــلة بالله الواحــد ، مصروفــة بطبيعتها عن الاستمداد منه والاستعداد للقــائه ٠

وقد تتعصب لهذه النحــل الوف مؤلفــة من البشر ، ليكن فلهــــا ما تشــاء ٠٠

لكن ليس لنــا أن نسلك هــذه المذاهب مع الاديــان السماوية فى نظام واحــد ٠

ثم ان الشرق الأوسط لا يعرف هذه المذاهب ولا أتباعها ، ولــذلك لن يضار احــد من اطلاق هذا العنوان المستحدث على الأديان السماوية وحــدها ـ أعنى به كلمة القيم الروحية ٠

بقى ان نتساءل : ما السر فى ابتــداع هذا العنــوان ليشمل الأديان الثلاثة ؟

والجواب لعله محو ما يشاع فى أوروبا من ان التــدين والتعصــب صنوان ، وأن الخلاف الدينى يضر بالقضايا العامة للأوطان ٠٠

ونحن نكره ضيق الأفق ، وانحراف العاطفــة ، اللذين يسيطران على بعض القــاصرين ويسيئان الاساءة كلهــا الى حقيقــة الدين ٠

بيــد ان ذلك الوهم لا مكــان له فى حياتنا ولا فى تاريخنا ٠

ويمكننــا ان نقــول بقوة : ان التعصب الوطنى والعنصرى والدينى رذيلة تتنقل فى المجتمعــات الأوروبية من قــديم ولا تعرفها مجتمعاتنــــا العربية ٠

انها هناك وباء مقيم ، أما فى بلادنا فقــد تبــدو اعراض المرض على أفراد محصورين ثم يتلاشى الداء العارض كما تتلاشى غيمة دخان أمام رياح متجددة ٠

ومن ثم فان هذا العنوان لا يجتلب لهذا السبب ، ونحن نرفض انشاء مصطلحــات سياسية جديدة للرد على تهم أنشاها لفيف من الكذبة ٠٠

هل هنــاك قصــد آخر من وراء كلمة القيم الروحية ؟

لعله منع استغلال طوائف الاقطاعيين والراسماليين والكهــــان لفطرة الدين ٠

والجواب اننــا نرفض كل استغلال للدين وانحراف به عن هدفه ٠

ومن الحق الذي لا يمكن جحده أن ثورات التحرر الكبرى في بلادنا كانت دينية ، وآخر هذه الثورات سنة ١٩١٩ ، فان ساحة الأزهر كانت مصدرها ووقودها ، وكان رجال الدين المسيحى مع علماء المسلمين فى القيام عليها ..

أما التحرر الاجتماعى ، فان رواده الأوائل من المفكرين الاسلاميين .

ومعروف أن علماء الأزهر قاطبة من أبناء الفلاحين والعمال ، وانهم ما كانوا قط طبقة اقطاع فى هذه البلاد .

ومن ثم فان هذه الشبهة مردودة كسابقتها ، ولا نقبلها اساسا لفرض هذا المصطلح السياسى الجديد ..

بقى شىء آخر هو أننا نحن المسلمين نرى فى وصف الاسلام بأنه قيمة روحية وحسب بخسا لحقيقته ، وانتقاصا لتعاليمه ، وانسياقا مع التفكير الاستعمارى فى هجر شرائعه ، ودك شعائره ، وابعاده عن الحياة العامة ..

أو اتيان على الاسم بعد الاتيان على الجوهر .

ومن الانصاف أن اذكر هنا تفسيرا للدكتور عبد العزيز كامل شرح فيه كلمة القيم الروحية شرحا حسنا .

فقد رد المعنى المراد الى قوله تعالى : « **ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده** » (١) .

وقوله : « **وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا** » (٢) .

وبهذا التفسير اعتبر كلمة القيم الروحية شاملة لتعاليم الاسلام كلها وان المناداة بها تعنى رجع المسلمين أصول دينهم وفروعه .. !!

ولا شك أن هذا تفسير ذكى ، يوائم بين العنوان المجلوب والرغبة المنشودة ، ولا اعتراض لنا عليه من هذه الجهة ..

وانما نعترض على كلمة القيم الروحية من ناحيتين أخريين !

أولاهما أن هذا التفسير الصحيح لا يدركه الا الأقلون ولا تؤيده التصرفات الملابسة للنطق به .

والثانية أن عنوان ديننا معروف من عشرات القرون ، هو الاسلام : « **هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس** » (٣) .

---

(١) النحل : ٢ .   (٢) الشورى : ٥٢ .
(٣) الحج : ٧٨ .

فلماذا نترك عنوان ديننـا الاثير المقرر ونتوارى تحت عناوين غامضة وشارات مبهمة ؟؟

انـا ننظر الى اتباع الاديان الأرضية والسماوية فى كل قارة فنرى كل واحـد منهم يملأ فمه بالانتساب الى دينه والانضواء تحت لوائه ٠

واليهود الذين شاركوا فى تفجير الذرة لم يشعروا بغضاضة من احياء اسم اسرائيل والمكابرة الوقحة ببناء دولة له ٠٠

فلم يتوارى اسم الاسلام وحده ؟ ولمـاذا يطالب المسلمون وحـدهم بالتخفى والاستخذاء ؟؟

لقـد قيل من زمان بعيـد : ان الدين لا صلة له بالدولة ٠

ثم قيل لا صلة له بالاقتصاد ٠

ثم قيل لا صلة له بالقـانون ٠

ثم قيل ان الأخلاق المدنية اجدى من الأخلاق الدينية ٠

ثم قيل ان العبادات وسيلة تزكية وليست مقصودة لذاتها ٠

وطبق هذا القول المنكر على الاسلام ٠

فماذا أصبح الاسلام بعـد هذا البتر والتطويح ؟ ٠

وعندما يطوى الاسم الذى اختاره الله لنا من خمسين قرنا فقـال : « **هو سماكم المسلمين من قبل** » وتذكر بدله كلمة « قيم روحيـة » فعـلام يدل هذا ؟ ألا يدل على تهرب وكراهية ؟

كراهية للاسم بعـد اضاعة المسمى !!

من أجل هذا المحذور أرجو احياء الاسلام موضوعا وشكلا ، وحقيقة واسما ، فذلك أحق وأولى ٠٠

***

لم احتفلوا ٠ ٠ وماذا استفادوا ؟؟

الحديث عن رسول الله حبيب الى كل قلب ، فان صـنائع معروفه طوقت اعناقنـا ، وثمرات جهاده الشاق هى التى تحيى ضمائرنا وتمسك كياننـا ٠٠

واذا كان المثل السائر « من علمنى حرفا صرت له عبدا » فكيف بمن هيـأ لنـا الرشد فى الدنيا ، والنجاة فى الآخرى ؟

ان دينه فى رقابنا ضخم وجميله فى أفئدتنا مغروس ٠

ومع ذلك فقـد كنت اقـدم رجـلا واوخر اخرى عندما كنت ادعى الى احفـال المولد الشريف لأتحـدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم !!

كنت اشعر بأن هذه الأحفـال صلة مفتطة بين المسلمين ونبيهم ، وأن الخطب التى تلقى فيهـا دعاوى حب لا يساندها دليـل ، ولا يؤيدها واقع ٠٠

كانت هنـاك مدائح للنبى منظومة ومنثورة ، وشارات فرح بذكراه مطوية ومنشورة ٠٠ ولكن لم يكن هنـاك ما يدل على صدق الاتباع وحسن التاسى ، بل لقـد هرع الى سرادقـات الموالد بين المغرب والعشـاء ناس لم يصلوا المغرب ولا العشاء !!

ان الأمر لا يعدو المشاركة فى تقليد مكرر مالوف ٠٠

وذكرت أبياتا للبوصيرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخيل الى ان الرجل كان يعنى جماهيرنا عنـدما قال فى بردته :

فان فضـل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفـم !
وكيف يدرك فى الدنيـا حقيقتـه قوم نيـام تسلو عنه بالحلم ؟

نعم ، كيف تدرك هذه الأفواج النائمة الهائمة حقيقة النبـوة التى أيقظت العقل من سباته ، وبدلت ليل العـالم الى نهار ، وفكت أغلال الذل عن أجيـال طالمـا عاشت فى الذل ، وقضت اعمارها فى الهوان ٠٠ ؟؟

لقـد كنت اوقن وانا أنقل الخطوات هنا وهناك أن المسلمين لا يعرفون حقيقة النبوة ، ولا يفقهون معنى الرسالة ، ولا يدركون ما يجب عليهم بازائها ، انهم — كما عبر البوصيرى — قوم نيام يتسلون عن الحقـائق بالأحلام ٠

والنيـام الذين يبدون فى صور الأيقـاظ كثيرون ٠

واسمع الى أبى الطيب يصف فريقـا منهم ، وكأنه معنا فى هـذا العصر ، يصف المجتمع الاسلامى المعتـل :

ارانب غير انهمـو ملـوك مفتحة عيـونهم نيـام !
باجسـام يحر القتل فيها وما أسيافها الا الطعام !

تأمل هذا الوصف لعبيـد الشهوات ، وصرعى الملذات ، انهم يظلون منكبين على دناياهم حتى يختنقوا داخلها كما يختنق دود القز بالافرازات التى ينسجها ..

والأمم التى تستسلم لدناياها على هذا النحو لا تصلح للحيـاة ، ولا تنتصر على عدو بله أن تتصدر القافلة الانسانية وتخدم رسالة عالمية !!

وهذا الفريق من المخـدرين فى مشاعرهم ، المتبلدين فى أفكارهم ، عبء على العقـائد التى يعتنقهـا ، انه يشينها ولا يزينها ، ويلقى عليها أوزاره بدل أن يدعها تغسل عنه أوضـاره ..

ومن حق كل ذى لب أن يسأل : هل المسلمون الذين يحتشدون الوفا لتحية المولد النبوى منطقيون مع أنفسهم ومبادئهم ؟

ما أظن الواقع ولا الخيال يجيبان بالايجاب ..

ان احتفـالات المسلمين بميلاد نبيهم مع تركهم لأركان دينه ، وصدهم عن سبيله ، مرض نفسى واجتماعى يحتاج الى الدرس والشرح .. !!

وقد لاحظت فى تجاربى مع الناس ، أن البعض يكتفى فى اثبات ولائه لأهل الصـدارة وأولى الأمر ، بكلمـات ملق يزورهـا ، ومظاهر زلفى يجيـدها .. !

فاذا تقاضاه الولاء المزعوم موقفا صارما ، أو مغرما ثقيلا ، كان أول الفـارين !

وكم فى الدنيـا من أناس يخدعون الآخرين بهـذا الأسـلوب الميسور ، يقتربون منهم ما دام الاقتراب رخيص الثمن سريع النفع ، فاذا بهظ الثمن أو عز النفع لم تجـد لهم أثرا !!

وقديما تطوع المنافقون بالاقتراب – البدنى – من رسول الله ، وذكروا أنهم يؤمنون به !

ونزل الوحى الأعلى يقول : « اذا جاءك المنافقون قالوا نشـهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون »(١)

---

(١) المنافقـون : ١ .

وشهادة الله على المنافقين بالكذب انما جاءت بعد أن فضحت مواقفهم وسرائرهم ، فما صدقوا فى جهاد فرض عليهم ، ولا اطمأنوا لحكم صدر فى قضاياهم ، ولا بادروا الى صلاة جامعة ، ولا سارعوا الى نفقة مطلوبة ..

انهم مؤمنون عندما يكون الايمان كلاما ، أما عندما يكون جدا واقداما فللامر وجه آخر !! : « **بل قلوبهم فى غمرة من هذا ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون** » (١) .

وقد كثرت الأحفال الرسمية والشعبية بميلاد الرسول الكريم ، احياها مسلمو هذا العصر الذين هزمتهم شراذم اليهود ، وأنزلت بهم خزيا ليس لسواده نظير فى تاريخ المسلمين أجمع ..

فاى علاقة مفتراة بين أولئك المسلمين وبين نبيهم المجاهد الشجاع الصبور ؟

ان العلاقة الوحيدة المقبولة بين المسلمين ونبيهم هى التأسى به ، والسير تحت لوائه ، والتزام سننه القويم ، وصراطه المستقيم ..

فمن فعل ذلك فهو أولى الناس به فى الدنيا والآخرة وان لم يحيى لمولده ذكرى !

ومن شرد عن هذا الهدى ، فقد انقطع بالرسول سببه ، وان أقام لمولده عشرات السرادقات ..

فى أيامنا هذه التى نلتمس فيها أهل الفداء والنجدة ، ليذودوا عن العقائد والحرمات ، أرمق بالاجلال العميق الصحابى الذى يقول : انه لا يبالى على اية صورة يموت !

سواء كسر راسه ، أم مزق صدره ، أم شق بطنه ، أم قصم ظهره ، ان صور الهلاك كلها لا تقلقه .

انه معنى بشىء واحد فقط ، أن يموت وهو مسلم .

فان اطمأن الى هذا المصير مات مستريحا على أى جنب وبأى جرح .

ورجاؤه فى الله أن يتقبل ذلك الفداء ، وأن ينزل بركاته على أشلاء قطعت فى سبيله .

ولست ابالى حين أقتل مسلما ... على أى جنب كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الاله وان يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع

---

(١) المؤمنون : ٦٣ .

هل تفرست في ملامح هذا الشهيد النبيل ؟ هل تسمعت الى هذا النغم الموقن الجليل ؟ أولئك هم الرجــال الذين رباهم محمــد وتعلموا منــه كيف يحيــون لله وكيف يموتون لله ، وأولئك هــم الرجال الذين دمروا معــاقل الظلم ، وتركوا اليهود وغير اليهود يولون الأدبار في أقطار الأرض ٠!

والاتصال الصحيح بمحمد انما يكون بمعرفة ربه ، واحياء وحيه ، واحلال حلاله ، وتحريم حرامه ، وتوقير احكامه ، وتكوين الأجيال الجديدة على خلقــه وعبادته وجهاده ٠

ان محمدا هو الكتــاب الذى تلقــاه وعاش به وله ٠

فما تكون حالنا اذا قال الرسول عنا : « **يا رب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا** »(١) ٠

لقــد احسست كربا شديدا وانا أسمع قائد جيوش اليهود يقــول : نحن نقــاتل من أجل التوراة واليهودية وأرض الميعاد !! يقولها دون غموض ولا استحياء ولا توجس على حين تنطبق شفاه الزعماء العرب والمسلمين فلا يجرأون على ارسال مثل هذا التصريح في الدفاع عن القرآن والاسلام والأمة الكبرى المحروبة تحت وطأة الف هاجم من الشرق والغرب ٠٠

هل ذكر التوراة شرف وذكر القرآن جرم ؟

هل يتبجح الناس بباطلهم ونتوارى نحن بحقنا ؟ ٠

ان محمدا النبى الأمين هو أجــدر انسان في العــالم بان يقتفى اثره ويشاد بتراثه ، وان كتاب محمد هو الوحى الصادق الذى تلتمس النجــاة في آياته ، ويرتقب الخير من اتباعه ، ويشرف الساسة بتلاوته وتدبره ، والتنويه به ، وجمع القلوب عليه ٠٠

ان ميلاد محمد ليس سوقا اقتصادية لجر المنافع بالبيع والشراء ، وليس استجلاء تاريخيــا لبعض ما في المتاحف من آثار وأخبار ٠٠

ان أمر محمد ودينــه وامته أعظم عند الله وعند الناس من هذه الأحفال الرخيصة دينية او دنيوية ٠٠

واذا لم نقرر بنــاء مجتمعنا على عقيــدة محمــد وشريعته فلا داعى للاحتفــال بمولده ، واظهــار ولاء مكــذوب له ٠٠

وبقيت كلمة حاسمة تتصل بمستقبلنا مع اليهود ، ولا نســام من تكرارها ٠

---

(١) الفرقان : ٣٠ ٠

ان الاعتقـاد الدينى يشد زناد النشاط الانسانى شدا هائلا ، ومن ثم يخرج العمل وكانه قذيفة لا يقفهـا دون مداها شىء ٠

فاذا قرر اليهود أن يعلنوا علينا حربا دينية ، وأبينا نحن الا أن نجعل الدين مظـاهر لا تعمر قلبـا ، ولا تصوغ خلقـا ، ولا نسوى صفا ولا تحكم معاملة ، ولا تصنع مثلا أعلى فالويل لنـا فى القريب والبعيد ٠٠

ان السياط الموجعـة اذا لم تفلح فى اعادة الرشد الى الزائغين فستتبعها قوارع فاجعة ، وهزائم فاضحة ٠

فهل يؤمن قومنا ويعودون الى الله ، أم تمضى فيهم سنة الأولين أولئك الذين لم يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ٠٠ ؟؟

***

أجيال النصر وأجيال الهزيمة ..

ليس الانتصار والانكسار حظوظا عمياء تصيب الأمم وهى غير مستحقة لهـا ، أو تفجؤها على غير توقع منها ، أو تلتوى بمسيرها فتقهرها على وجهة كانت تؤثر سواها ..

كلا فان الأمور تتدافع الى نهايتها وفق سنن كونية دقيقة ..

وخولتيم الصراع بين الأمم لا تقع خبط عشواء ، ولا تكيلها الأقدار جزافا ، بل تجىء وفق مقدمات منتظمة ، كمـا تجـىء النتـائج بعد استكمال الأسباب .. !!

وربما كان ما يصيب الأفراد أحيانا من نوازل مبهمة سببا فى عـد المصائب جملة أقدارا قاهرة .

وربما كان ذلك ما جعل المتنبى يقول :

ألا لا أرى الأحداث مدحا ولا ذما   فما بطشها جهلا ولا كفها حلما

وهذا الكـلام من نزوات الشعراء ، ومما قد يتسلى به الغافلون عندما تؤدبهم السماء .

والحق أنى عندما أتأمل فى هزائمنا المتلاحقـة أمام اليهود خـلال العشرين سنة الأخيرة اشعر بأن الغزو الثقـافى قـد حقق مراده وفق ما يشتهى .

وأن ما غرسه فى بلادنا قد أتى ثماره المرة كلهـا .

وأن جهوده المـاكرة فى ميادين التعليم والاعلام منذ استعمر الأراضى والعقول لم تضع سدى !!

من عشرات السنين والأجيال الجديدة تذاد عن القرآن الكريم ذودا ، وتجهل فى آياته تجهيلا ..

من عشرات السنين والتاريخ الاسلامى تعكر منابعه ، وتقلل حصصه ، ويلحق تارة بالتاريخ القومى ، وتارة بالتاريخ الأجنبى ، حتى لا يحسب محمد وصحبه آباءنا الروحيين والفكريين .. !!

من عشرات السنين وعلوم العقيـدة والفقـه والتربية والأدب تطارد من التعليم العـام لتكون بضاعة بعض الأزهريين المغموصين .

وأخيرا تزوى البضاعة وحملتها فى ركن بعيد عن الأضواء لتتلاشى على مر الأيام ..

من عشرات السنين والأوضاع المقلوبة التى تشبه عوامل التعريـة تنحت مقوماتنا من الايمان والصلاة والتقوى ، وتطلق أسراب الديـدان لتلتهم كل نبت يبدو للشرف والوفاء والحياء ..

فلما التقى الجمعان فى سيناء وغير سيناء وقع ما كان الاستعمار يمهد له من قـديم ، ويسوق الأمور اليه بتؤدة وصبر !!

ان كل القوى الناقمة على الاسلام اختبأت وراء الاستعمار الحديث تنال منه بشتى الأساليب ، فاذا احتاج الأمر الى المكر لانت ، واذا احتاج الأمر الى القسوة بطشت ٠

وهى فى لينها تدس السموم ، وفى شدتها تحترف الهمجية والجبروت ، وفى كلتا الحالتين لا تنام عن غايتها أبدا ٠

انها تريد بناء مجتمعات منسلخة عن الاسلام ، مرتدة عن هديه فى البيت والشارع والمدرسة والمحكمة وسائر مناحى الحياة العامة ٠٠

وقد وصل الغزو الثقـافى الى غايته المنشودة ، وانعكس ذلك كله على معاركنـا مع بنى اسرائيل ٠٠

ذلك أن المعارك يربحها طلاب التضحية من أصـحاب العقـائد ، ولا يربحهـا عباد الشهوات من أبناء الدنيا ٠٠

وينبغى أن أجيب هنا عن شبهة روجها القـاصرون ٠٠

ان العلم سلاح عظيم فى احراز النصر ، هذه حقيقة لا يحتاج كشفها الى عبقرية ، ولا يمارى فيهـا الا مجنون ٠

وبناء الدولة على العلم هو وظيفة كل حكم راشد ، خصوصا العلم التجريبى والتطبيقى ٠٠

لكن العلم أداة تستخدم لنصرة من يمتلكها ٠

والجبهـات المتصارعة فى العـالم اليوم تتنافس فى تحصيل العلـم وتعرف أسراره وتكثير رجاله ٠

الشرق الشيوعى والغرب الصليبى كلاهما يتوسل بالتفـوق العلمى لدعم موقفه ومد سلطانه ٠

فالعلم هنا أو هنالك وسيلة لانجاح المعتقـد أو تغليب المذهب ٠٠

فكيف يجىء فى هذه الأيام العجاف من يريد تزهيدنا فى العقيدة باسم الحاجة الى العلم ؟

وفى أى بلاد يقـال هذا الكلام ؟ فى بلاد الاسلام الذى احتفى بالعلم من أول آية نزلت فيه ! ٠

لقد لاحظت ان ضعف العقيدة خلق فى بلادنا صنفين من المتعلمين كلاهما لا خير فيه .

الأول : صنف يكتفى من العلم بقشوره ، او اجازاته الرسمية فهو لا ينفذ الى لبابه ، ولا يستفيد أو يفيد من حقائقه .

والآخر : صنف اغتر بالقدر الذى أحرزه ، ويريد أن يحيا به ملكا غير متوج ، وكأنه تعلم ليستكبر ويطغى . !

والصنفان يكثران حيث يضعف الايمان ، وتهى الأخلاق ، وتتفحش الأثرة .

وأصحاب العقائد حين يقبلون على العلم يجودون فيه ، لأن طلب الكمال غايتهم ، ولأن العلم وسيلة رائعة - كما شرحنا - لاعزاز مبادئهم وقومهم .

وفى فراغ الجو من الايمان الباعث على الحركة ، وجدنا ناسا ثرثرتهم اكثر من انتاجهم ! ودعاواهم اكثر من حقائقهم ! وشهواتهم املك لأزمتهم ! مع أنهم تخرجوا من شتى الجامعات المدنية أو العسكرية ..

ماذا أرى الآن بعد الهزائم المخزية التى نكست رءوسنا ؟

أقواما يضحكون ولا يبكون ! ينطلقون الى القهوات والأندية ليسمروا ويعبثوا ، أو الى الشواطىء ليلهوا ويلعبوا !!

كان ينبغى أن تكون هذه الجباه مقطبة لكنها مبسوطة !

كان ينبغى أن تكون هذه الشفاه مزمومة لكنها منفرجة !

وماذا أقرأ الآن ؟ خليطا هائلا من الأخبار والبحوث كأنما حشدها امرؤ يريد أن يسرق عقلى حتى لا أفكر ! وأن يسرق ضميرى حتى لا يستيقظ ! وأن يملأ آذانى بطنين مزعج من الأحداث المفتعلة حتى يختفى صوت المعركة القائمة ..

فاذا فرض الواقع الأسيف نفسه سمعت من يرجع الهزيمة الى ألف سبب غير سببها الحقيقى ! ومن يلتمس لها ألف دواء الا دواءها الصحيح .

ويستحيل أن يتكون جيل النصر فى هذا الجو الأغبر ..

لقد اجتهد الاستعمار خلال قرن من الزمان أن يعودنا ترك الصلوات وحب الشهوات .

فلماذا لا يتصدر الرؤساء والوزراء والمحافظون صفوف المصلين ويحرصوا على مرضاة الله ؟

ولماذا لا تحل المشكلات « الجنسية » بالاستعفاف وتيسير الزواج بدل اشاعة التبرج وتوطيد اركان الفحشاء ؟ ٠

ولقد استمعنا الى خصومنا يغالون بوصايا الأنبياء ، ويتمسكون بتعاليم كتبهم ، ويصرح وزير حربية اسرائيل دون خجل ولا وجل بانه يحارب من أجل التوراة واليهودية وأرض الميعاد كما روت ذلك الصحف ٠

على حين يخجل رؤساء العرب ويوجلون من الانتساب الى القرآن والتشبث بآياته ، لأن الغزو الثقافى أمات علاقاتهم بالدين والنبى والصحابة والتابعين !!

لو كان العرب مجموعات من الدراويش الطيبين هزمهم التخلف العلمى الشائن لقلنا : ان التنويه بالعلم فريضة ، وهذا التنويه لا يتطلب عبقرية فى المناداة به ٠

ان محمد على الأمى وابنه ابراهيم استكملا هذا النقص واستطاعا بالجيش المصرى ان يكسبا معارك عظيمة فى القارات الثلاث ٠٠

ان جيشنا من خيرة جيوش الأرض عندما يرزق القيادة الصالحة ٠٠

لكن العرب هزمتهم أزمة الايمان فى قلوبهم ، والقحط الرهيب فى المثل والأخلاق ٠

لقد فتكت بهم فوضاهم الداخلية قبل أن تفتك بهم سيوف الأعداء ٠

وهذا المصير الحقير هو ما خطط له الاستعمار الفكرى الضائق بالقرآن والرسول ومنهج الاسلام كله منذ ظهر الاسلام ٠٠

انه صنع أجيال ، فيجب علينا نحن أن نصنع أجيال النصر ٠٠ !

وأجيال النصر لا يصنعها قوم انحلوا عن دينهم ! وتنكروا لتاريخهم ٠٠ !

ان الأيدى المتوضئة لا الأيدى الملوثة هى التى تصنع هذه الأجيال ٠٠

* * *

اذكروا .. واحذروا

فى مطالع القرن الثالث عشر للهجرة ، والتاسع عشر للميلاد ، كان العالم الاسلامى يخضع للخلافة العثمانية فى وحدة سياسية جمعت أطرافه تقريبا ما عدا اندونيسيا التى احتلها الهولنديون ، والهند الاسلامية التى احتلها الانجليز .

وكان هذا الكيان الضخم مسرحا لعلل فاتكة اكلت عقله وضميره وبدنه .

كان العملاق - الذى آلت اليه مواريث الراشدين والأمويين والعباسيين - يترنح فى الميدان الدولى ، وينتزع خطاه بصعوبة فوق أرض توشك أن تكون مقبرته !

وكان لقب الرجل المريض هو الاسم الذى شهر به فى طول الدنيا وعرضها .. كان مرضه آفة فذة تستحق الذيوع والتندر !!

لكن المريض الكبير لم يسلم الروح بسهولة ، فقد صارع آلامه الداخلية والخارجية صراعا دل على تشبثه بالحياة ، وقدرته على المقاومة ، ولم يستسلم للموت الا بعد مائة وخمسين سنة بدات بعد حملة فرنسا على مصر ، ثم الجزائر ، وانتهت فى أعقاب الحرب العالمية الأولى بعد ما اقتسم الحلفاء التركة الهائلة ، وبعد ما أوعزوا للكماليين أن يرموا بالخلافة فى البحر .. !!

ومع الألم الذى يستشعره المسلم لتمزق أمته ، وذهاب خلافته ، وضياع وحدته ، فلا بد من الاعتراف بالحقيقة المهينة .. وهى أن الخلافة التركية لم تكن جديرة بالبقاء لا من ناحية الدين ولا من ناحية الدنيا ..

ففى عهدها بعدت الشقة بين المسلمين والاسلام بعدا رهيبا بل لقد حال الاسلام أثرا بعد عين ..

واذا كانت حضارته الأولى قامت على الحقائق والفضائل ، فان العالم الاسلامى أجمع فى ظل السيادة التركية كانت تذرعه الخرافات والتفاهات جيئة وذهوبا بين المحيطين الهادرين .

ووسعت الضغائن الفجوة بين العرب والترك ، فكان ظلم هؤلاء وكانت خيانة أولئك ، سر الاستعمار الذى أطبق بليله الحالك على أمة ضريرة ، مهيضة ، حائرة .. !!

وفى الوقت الذى كانت دولة الاسلام تنحدر فيه الى الغروب ، كانت هناك حضارة أخرى تولد فى أفق عريض ، وتأخذ طريقها الى امتلاك ازمة الأمور فى ارجاء الأرض كلها ..

والحضارة الأوروبية الوارثة قادتها أول الأمر نهضــة عقلية مادية ناشطة جريئة ، وقد نشب بينها وبين النصرانية خصام دام مر ٠٠ !!

الا أن رجال الكنيسة سرعان ما واءموا بين ما لديهم وبين هذه اليقظة الجديدة فظفروا منها بحق الحياة ، ثم بحق المشاركة والتوجيه ٠٠

وهذا الازدواج اصطحب معه الأحقاد الدينية القديمة ، فاذا السياسة الاوروبية الحديثة ـ برغم الجو العلمى الذى نبتت فيه ـ تمليها سياسات ناقمة جائرة ، تؤثر الباطل على الحق ، والجور على الانصاف ، والتعصب على السماحة ، وتحاول بنزق غريب أن تهين الاسلام وأمته فى كل مكان !!

وقبل أن نشرح تفاصيل هذا السلوك نحب أن نلفت النظر الى أن الجو العلمى الذى نبتت فيه الحضــارة الحديثة لم يكن من صـنع أوروبا ولا امريكــا ٠

وما كانت تربية القــارتين خلال الأزمنة المـاضية بهذا الجو ٠

« لقـد ازدهرت الحضارة الاسلامية فى القرون الهجرية الأولى ، وحمل العرب والمسلمون المشعل الحضارى فى هـذا الـدور من أدوار التــاريخ الانسانى ، فاضاء للغرب ظلمات عصوره الوسطى ! هذه حقيقة تاريخيــة اعترف بهــا الغربيــون أنفسهم ، وأقــر مؤرخوهم ـ من أمثال ويلز ، وديورانت ، وتوينبى ـ بأن النهضة الحديثة فى أوروبا تدين بوجودها لمـا تلقت من الشرق العربى الاسلامى ، الذى كان يقود البشرية على درب الحضارة فى العصر الوسيط » ٠٠

بيــد أن البغضاء الكــامنة على الاسلام أهالت التراب على اليد التى اســداها ٠٠

ولم تلبث الا قليــلا حتى جعلت الدول الكبرى ، تتحرك وراء هـدف واحــد ، هو الحيلولة دون قيــام دولة اسلامية كبرى ، وتعميق الجراحات التى أصابت الأمة الاسلامية لعلهــا تنتهى بهــا الى التلاشى والفناء ٠٠

وهى ترى انهــا أفلحت خلال القرنين المــاضيين فى تقطيع أوصال الخلافة وتمريغ كرامتها فى الوحل ٠٠

فلتمض فى الطريق نفسها !

ولتعمل ظاهرا وباطنا على تشديد الخنــاق حول رقبة الاسلام وآماله فى الحيــاة !

ولتستخدم الحيلة والسلاح جميعــا فى خذلان كل قضية اســلامية ، وتأليب أى خصم ضدها ٠

وفى سبيل القضاء على الاسلام ، ومنع الاتجاه اليه ، أو التجمع عليه ، وضعت أوروبا هذه النقط الثابتة ، وجعلتها محور سياستها مع مختلف الحكومات والشعوب الاسلامية :

١ – تمثل الخلافة الاسلامية أبوة روحية وثقافية ، وقوة اقتصادية وعسكرية وسياسية ، وقد حرصت أوروبا على تجريد المسلمين من هذا اللواء الجامع وذلك الرمز المهيب ، وأوحت باهالة التراب على كل كلام فى موضوعه ، حتى لا يظفر الاسلام فى حاضره أو مستقبله بنظام يلم شمل المسلمين فى مختلف القارات ويحدد قافلتهم وهى تسير مع الزمن !

ذلك فى الوقت الذى يدعم فيه السلطان الروحى والثقافى والسياسى للبابا ، وتستقبل كلماته وكأنها وحى مصون ٠

ومما لا يمكن تجاهل دلالته أبدا أن بابا روما أصدر قرار حرمان ضد رئيس حكومة الأرجنتين فسقط الرجل سقوطا مدويا لم يقم منه الى الآن ، وها قد مضت عشرة اعوام وهو شريد طريد ٠

أما رجالات الاسلام الذين هم مظنة التجميع العام لأمته أو التجميع المحدود ، فدون بروزهم وثباتهم مصاعب واهوال ٠٠ !!

٢ – واجتهدت السياسات الاستعمارية فى قتل الأخوة الاسلامية ، ووضعت خطتها لكى تجعل من « المواطنة » ومن « القوميات الضيقة » بديلا وحيدا للجامعة الاسلامية ٠

وبذلك تبعثر المسلمون على نحو سبعين جنسية كل جنسية معزولة عن الأخرى ، أو محبوسة وراء فواصل مادية وأدبية لا حصر لها ٠٠

وعندما قامت الجامعة العربية رحبنا بها على أساس انها جزء من كل ، أو خطوة على الطريق ٠

ولكن الانجليز الذين أوعزوا بتكوينها كانوا يريدونها عروبة مقطوعة عن الدين ، متنكرة للاسلام !

والغريب أن دعاة القومية العربية تاثروا بهذا الايحاء الأجنبى ، فكان السر الأهم وراء تجمعهم طلب الحياة وحسب ، فى عالم يلتهم الكبار فيه الصغار ٠٠ !

أى أن اتقاء الخطر الذى يتعرض له الضعاف هو اساس التنادى بالقومية ٠

وفى ذلك يقول المازنى : « لو أن هذه القومية العربية لم تكن الا وهما لا سند له من حقائق الحياة والتاريخ لوجب أن نخلقها خلقا ! فما للأمم

الصغيرة أمل فى حياة مامونة ، وما خبر مليون من الناس مثلا ؟ ماذا يسعهم فى دنيا تموج دولها بالخلق ؟ وكيف يدخل فى طوقهم ان يحموا حقيقتهم ؟ ويذودوا عن حوضهم ؟ ان أية دولة تتاح لها الفرصة تستطيع أن تثب عليهم ، وتاكلهم بلحمهم وعظمهم ، ولكن مليون فلسطينى اذا أضيف اليهم مليونا الشام ، وملايين مصر والعراق مثلا يصبحون شيئا له بأس يبقى » .

والمازنى ـ غفر الله له ـ يقول ذلك سنة ١٩٣٥ .

فكيف لو عاش ورأى العرب وحدهم أعجز من أن يوفروا الأمان لأنفسهم أمام أعداد ضخمة من الخلق تكيد لهم ، وتعمل على استئصال شأفتهم ؟

ان العرب ما يزيدون عن ١/٨ المسلمين ، وان الجامعة الاسلامية ، ببواعث الايمان الواحد ، والفداء الواجب هى التى تستطيع وحدها ان تدفع عنهم الضر .. !!

ولكن الاستعمار شديد الحرص على اخفات صوت الاسلام فى معركة البقاء العربى ذاته .. !!

٣ ـ وعندما أفلح الاستعمار فى تقسيم الأمة الكبرى الى عشرات الأمم فرض على كل أمة وحدها ما يأتى :

(أ) أن تقصى التربية الاسلامية عن برامجها وهى تكون الأجيال الناشئة .

(ب) أن تمحو التقاليد الاسلامية فى ميدان العلاقات العامة .

(ج) أن تقطع الصلة بين قانونها وبين الشريعة الاسلامية .

وبهذه الضمانات الفاجرة اطمأن الاستعمار الغربى الى أن الاسلام سوف يتلاشى يقينا ، وأن بقاياه فى الأنفس والبيئات كما قيل :

تتخلف الآثار عن أصحابها حينا ويدركها الفناء فتتبع !!

وما مستقبل دين يحيا بنوه دون تربية فاضلة ، أو تقاليد عاقلة ، أو أحكام عادلة ؟ ان الفتن الظاهرة والباطنة التى تلف أحوال الناس فى هذا الانحلال الهائل لا حصر لها ولا حد لضررها ..

وذلك ما نرى أثره فى كثير من البلاد الاسلامية التى تحسب نفسها متحررة لأن جيوش الاستعمار جلت عن أرضها ، وهى فى الحقيقة مجرورة وراء هذا الاستعمار بحبال أكثرها خفى وأقلها مكشوف !!

٤ ـ والاستعمار العالمي ضائق باللغة العربية ودائب على حربها ، وقد افلح فى جعلها لغة ثانوية فى الميدان الدولى ، لا ، بل بين أهليها انفسهم ·

وفى الوقت الذى تحيا فيه اللغات الميتة فتنشط الصهيونية فى بعث العبرية ، وتنشط الهند فى تمزيق الأكفان عن لغتها البالية ، فى هذا الوقت تبعد اللغة العربية عن ساحات العلم ، وتصر الجامعات الحديثة عندنا عن رفض التعليم بها ، وكذلك تبعد لغة التخاطب فى اكثر الاذاعات عن الأسلوب العربى مؤثرة اللهجات العامية ·

انهم يحيون الموتى ونحن نميت الحى ·· !!

ومنذ ربع قرن كان الأزهريون يلتزمون قواعد النحو ومخارج الحروف ·

فما زالت بهم السخرية ، وما زال الاستهزاء بكلماتهم وعمائمهم فى الشارع والمسرح ، حتى تركوا اللغة العربية وقرت عين الاستعمار ·

٥ ـ والتاريخ الاسلامى ! ان التجهيل فيه والاستهانة به ، والازراء عليه ، خطة رسمت بعناية ومكر ، وذلك كى تنشأ الأجيال المحدثة وهى مفصولة روحيا وذهنيا عن آبائها الأصلاء ، وقد لاحظ شوقى ذلك ، فقال :

مثل القوم نسوا تاريخهم كلقيط عى فى الناس انتسابا
أو كمغلوب على ذاكرة يشتكى من صلة الماضى انقضابا

ان الشعب الأمريكى يتصيد له ماضيا ، حتى يحس أن له جذورا فى دنيا الناس ، وهو الآن يبسط جناحيه فى حماية الصهيونية والصليبية ، ليلتصق بالتاريخ العام ·

أما نحن فان الاستعمار ختلنا عن تاريخنا العريق ليفقدنا الثقة بانفسنا ، ورسالتنا ، وما نستطيع اسداءه للحياة من حق وخير ·

فهل نلين معه ؟

أيها المسلمون ·· ذاك بعض ما نستطيع اليوم اثباته ، فاذكروا واحذروا ··

اذكروا ما يريده بكم عدوكم ·
واحذروا ان تعينوه على انفسكم ·

* * *

هـذه البقـايا النجسة ..

عرفنـا على وجه اليقين أنه عنـدما احتل الفرنجـة أقطـار الشرق الاسلامى فى القرون المتـأخرة كانوا يحملون معهم أحقـادهم القديمة على الاسلام وأمته لم ينقص سوادها ذرة .

الا أنهم جاءوا هذه المرة أوسع حيلة وأعظم مكرا ، واستطاعوا بطرقهم الجديدة الخبيثة أن يلحقوا بالاسلام وأمته هزائم فاضحة وضربات مهينة ما كانوا ليقدروا عليها لو جاءوا سافرين ! .

وقـد تفاوتت مدة بقائهم فى أراضى الأمة المغلوبة على أمرها ، اذ مكثوا فى بعضها عشرات السنين ، وفى بعضها الآخر مئات السنين .

والمهم انهم لمـا اضطروا تحت ضغوط كثيرة للجلاء عن بعض هـذه البلاد أن يجلوا عنهـا الا بعـد أن خلفوا أجيالا ترنو اليهم ، وتتعلق بهم ، وتعمل معهم ضـد دينها ، وتاريخها ، وأمتها ، ورسالتها ..

وقد ذكرت فى الموضوع السابق كيف حرص الاستعمار ، فى فتـرة حكمه المباشر أن يجرد الأمة من التربية الحـافظة والتقـاليد المرعيـة ، والأحكـام الرادعة ، وأن يميت الاسلام فى هذه الأرجاء كلها حتى ينشأ من ينشأ من البنين والبنـات وهى الى الحيوان أقرب منه الى الانسان ..

وحتى تفقـد المجتمعات الاسلامية وحـدة الشعور والهدف ، وتنحـل من رباط العقيـدة وأدب السلوك ..

ولكى يدرك القـارىء مبلغ نجاح الاستعمار الأوروبى فى ادراك مآربه أنقل اليه صورة من النشاط الصحافى فى القـاهرة عاصمة العروبة والاسلام!!

والصورة من مجلة آخر ساعة ، العدد الصـادر فى ١٩٦٨/٧/٣١ .

فتحت عنـوان خادع « دعوة الى الفسـاد » نشرت المجـلة رسـالة لكاتبها فى لندن يقـدم فيه المراسل اللندنى كتـابا صدر هناك (عن الجنس والمجتمع) ..

وقد قرأت خلاصة وافيـة لهذا الكتاب القـذر ، تقـدمها مجلة آخر ساعة لقرائها فى معرض من البرود أو القبول ، وفى اطار من الاغـراء أو الخفـاء .

ويتم هذا كله واليهـود فى بلادنا يطئونها دون محاذرة ، ويضربونها دون رد ..

تحت العنوان المـاكر يقـول الكاتب ـ العربى المسلم ـ : « العالم على حافة فساد جنسى رهيب ، ومع ذلك فصمام الأمان ما زال فى أيدينـا ..

يمكننـــا أن نضغط عليه قليـــلا فننقذ العـــالم ، ونتفادى هذه الثورة الجنسية التى تهدده ٠٠

وفى سبيل انقـــاذ العالم يجب علينـــا أن نتنازل عن بعض القيــم والمبادىء الأخلاقية والمثل العليـــا ٠٠ !!

وبعد ذلك سترتاح نفوسنا وسنعيش حياتنا فى هدوء ، ولن تهددنا اى ثورات جنسية فى المستقبل ٠

فأولا لكى نحقق كل ذلك يجب ان نترك لبناتنا شيئا من الحـرية الجنسية ، ونضع أعصابنا فى ثلاجة فلا نثور أو نغضب ، أو نحاول الثأر لشرفنـــا اذا اكتشفنا أن البنت ليست عذراء قبل الزواج ٠٠ !

شىء آخر علينـــا أن نفعله ، اذا أردنا انقـــاذ العـــالم من الثـورة الجنسية التى تهدده ، وهو أن نترك لزوجاتنا أيضا الحرية الكاملة بعـد الزواج ، فلا نمانع ، أو نعترض ، أو حتى نعلق باى كلمة اذا اكتشـف أحدنا أن لزوجته عشيقا أو صديقا ٠٠ !

ومقابل ذلك يكون من حقنـــا نحن الرجـــال أن نفعل ما نشاء علنا بعـد الزواج بعـد أن كنا نفعله سرا ٠٠

فكمـــا تفعل الزوجة يمكننـــا نحن أيضا أن نفعل نفس الشىء ٠

يقول الكاتب الغيور على دينه وشرفه وامته (!!) :

هذه الآراء الجريئة قرأتها فى كتاب صدر أخيرا فى لندن بعنـوان : (الجنسى والمجتمع ، نظام جديد للعلاقات الجنسية) ومؤلفة الكتـــاب دكتورة « هيلين رايت » وهى من أشهر طبيبات النساء ، وعمرها ثمانون عاما ، ومازالت تمارس المهنة حتى الآن ٠٠ !

والى جانب ذلك فقد يهمك أن تعرف أنها مسيحية متدينة ، وعملت مبشرة لمدة خمس سنوات فى الصين لحساب الكنيسة الانجليزية ٠

وتؤكد « هيلين رايت » أنها ليست اباحية ولم تفعل فى حياتها شيئا يخـالف تعـاليم الدين ، وانها وضعت فى كتابها هذا خلاصة تجربتها فى عالم النساء والطب طـوال هذه السـنوات التى عاشـتها والتى ما تزال تعيشها ٠

نقول : ولعل من تدين الكاتبة وتأثرها بتعاليم الكنيسة هذه القصة التى تحكيها ، فهى تروى قصة سيدة متزوجـة جميلة وشابة لتؤيـد نظريتها الخاصة بالسماح بالعلاقات الجنسية خارج نطاق الزواج ٠

تقول هيلين :

ذات يوم زارتنى سيدة صغيرة وكانت مضطربة اضطرابا شديدا ، لأنهـا أصبحت غير قادرة على الاستجابة لرغبات زوجها الجنسية نتيجة للملل والمسئولية ٠

ووجدت هذه السيدة الصغيرة صديقـا ، ثم أصبحت عشيقته ! وبعد فترة شعرت براحـــة نفسـية ، وبدأت تتجـاوب مع زوجهـــا تجاوبا كاملا ٠٠ !!

فى أول الأمر شعرت بالذنب ، ولكن زوجها لم يعرف بهذه العلاقة ، وسعد سعادة كاملة بتجاوبها معه ٠

وظل الحـال على هذا المنوال حتى الآن ، ولمدة ست سنوات ! وعلاقتها بزوجها وحبيبها فى منتهى القوة والجميع يعيشون فى سعادة ٠٠ !!

هكذا عرضت المجلة العربية ما ينبغى أن تكون عليــه العــلاقة بين الرجال والنساء فى منطق امرأة وضيعة ، وان زعمتها طبيبة وراهبــة !!

وفى هذا المقـال غرائب شتى نقف عند كل غريبة منها لحظـات ٠٠

أولى هذه الغرائب الجملة الأولى منه ! « العالم على حافة فساد جنسى رهيب » !! فما الوقاية من هذا الفساد المحـذور ، وكيف ندفـع شره عن العالم ؟؟

العلاج هو اباحة الزنا لكل امرأة تزوجت أم لم تتزوج ، واباحة الزنا لكل رجل تزوج أم لم يتزوج ٠٠ !!

اذا لم نفعل هذا وقع العالم فى فساد جنسى رهيب !!

ويتساءل أولوا الألباب : أى فساد يتوقع للعـالم بعد هذا الانطـلاق الفـاجر الداعر ؟!

والجـــواب عنـد الرجال الفضـلاء المشرفين على تحـــرير مجـلة « آخـر ساعة » !!

وغريبة ثانية فى هذا الكـلام هو وصف الكاتبة بأنها سيدة فاضلة اشتغلت مبشرة فى الصين لحساب الكنيسة الانجليزية ، وأنها لا تفعـل ما يخالف الدين ٠٠

وآية التدين فى سلوك هـذه المرأة أنها ترحب بجريمة الزنا ترحيبـا حارا ، وأنها ترضى بهـا فى بيتها كما ترضى بها فى بيوت الآخرين !

ومعنى وصف هذه المرأة بالتدين أن شرائع السماء لا ترى فى الزنـا عملا فاحشا ، وأن الزناة من الجنسين ناس صالحون !!

أو كما يقول الأستاذ يوسف السباعى رئيس التحرير فى تسويغ بيع الجسد الانسانى والارتزاق من المتع الحرام : « صاحب ماكينة الطحـين

وصاحب عربة التاكسى يتعاملان بما يملكـان ، ولو كانت لك ماكينة طحين أو عربة تاكسى لتعاملت بهمـا مع الناس ، ولكنك يا مسكينة لا تملكين غير هذا الجسد وسيلة للتعـامل » !!

هكذا يجرى منطق البغـاء على لسان احـدى المومسـات فى روايـة « نحن لا نزرك الشوك » ·

وهى رواية قذرة تتابع فصولها بانتظـام فى المجلة العربية الشهيرة ··

ونحن نعلم أن بعض الناس يعيش أغلب أوقاته فى شبكة « المجارى » ·

ويبدو أن بعض الأدباء ألف الحيـاة فى مجـارى المجتمع ومسـاربه السفلى ·

والمدهش أنه يريد جر الآخرين الى مستواه الخلقى ·

أو أنه يريد نقـل روائحه المنتنة الى ظاهر الحيـاة محاولا طمس ما نبت فوقهـا من حدائق ، وما فاح فى جوها من عطور ··

كذلك يصنع كتاب الجنس فى بلادنا وفى أكثر أقطـار الدنيـا ··

وغريبة ثالثة فى المقـال المنشور ، أنه « رسالة لندن الى المجلة » ·

فى هذه الأيام العجـاف ، والعرب جاثون على أقدامهم أمام عـدوهم الألد ! وسواد الهزيمة يكسو وجوه الأقربين والأبعدين ! والعالم أجمـع ينظر شزرا الى الكثرة المسحوقة أمام سلالة القردة والخنازير ! ·

فى هذه الأيام العجاف قـد نرسل رجال صحافتنا الى لندن ، ليدافعوا عن قضايانا المخذولة ، أو ليحبطوا محاولات بنى اسرائيل ، أو ليبعثوا الينـا بجـديد فى ميـادين العلم والصناعة ، أو ليرشدوا أبناء جنسهم الى تجربة نافعة أو كشف مفيـد !

لكن الرسالة التى تجىء من لندن ليقرأها الناس فى القاهرة المهزومة ، وليقرأها العرب الكاسفو البال فى كل مكـان هى هذا اللغو الحقير ··

وغريبة رابعة : ان هـذا الذى تنشره دار أخبار اليوم ، هو نفسـه الذى نشرته دار الهلال لسيمون دى بفوار ، وهو الذى تدور من حـوله روز اليوسف ، وهو الذى تبنته جريدة الأهرام عنـدما استقـدمت جان بول سارتر وعشيقته وفرضتهما فرضا على الحياة العامة فى بلادنا ·· !

فما سر هذا التلاقى ؟ ·· « أتواصوا به ، بل هم قوم طاغون »(1) ··

الواقع أن المنبع الذى استقى منه هؤلاء كلهم واحد · والوجهة التى ينطلقون اليهـا ، ويشدون العرب معهم نحوها معروفة ·· !

---

(1) الذاريات : ٥٢ .

انهـا الانسلاخ التام من الاسلام كتابا وسنة ، ونبـذ الماضى العريق لأمتنا ، والتقليـد الصغير لماديات الغرب المنحل ، وليكن ما يكون !!

وغريبة خامسة ، لقد قيل : ان صوت المعركة يجب أن يعلو كـل شىء ، والا يزاحمه فى ضمائر الناس وأفكارهم شىء ..

فاين صوت المعركة فى هذا السفه الفاشى ، وهذا الذهول الغالب ؟

لكان هنـاك مؤامرة على اخفـات هذا الصوت ، وجعله أنين امرىء محتضر ، أو همس الضمير المهزوم فى صدر مجرم آثم .. !

أين صوت المعركة فى هذا الهزل المغرى بالعصيان ، والـجراءة على الله ، ونسيان الفضائل والولوع بالملذات ..

عندما انهزم المشركون فى بـدر ، قالت امرأة أبى سفيان : لا أمس طيبا حتى أدرك ثارى من محمد .

وتملك المرأة جنون الثـار فعـافت المتع الحـلال وصـدت عن اللهو والتسلية .

وما ارضاها الا أن تجـىء فى غزوة أحـد لتأكل كبـد حمزة بعد مقتله، تنفيسا عن حقـدها لما أصاب قومها ..

أريد من رجال صحافتنا أن يكونوا كهذه المـرأة فى الشعور بمرارة الهزيمة وضرورة الثار .

انهم متبلدون عميـان لا يرون مصابنا ، ولا يحسـون الحسرة لما نزل بنـا .

وهم الآن يقومون بعمل هائل ، هو تدويخ الأمة ، وبلبلتهـا ، وبعثرة افكـارها ، واضعاف اعصابها ..

ومن المستفيد من هذا كله ؟ الصهيونية والاستعمار !!

وغريبة سادسة ، أو حقيقة سادسة وأخيرة هى :

هل هؤلاء الكتاب مسلمون عرب ؟ لا ، فما هم عرب ولا هم مسلمون !

لقـد سحب الاحتلال الأجنبى جيوشه بعـد أن صنع أولئك الأمساخ وفق مواصفات ترضى ضغنه على الاسلام وتملأ بالضباب حاضره ومستقبله.

انسحب تاركا أزمة الأمور بين هذه الأيدى الشريرة لتنال من ديننـا وامتنـا ، أكثر مما نال هو ، وتلحق بنا أشنع مما ألحق هو .. !!

فهل تحررنا حقـا من الأثقال التى آدت ظهورنا ، وأعجزت خطونا ؟ .. اللهم ، لا ..

حتى ينقرض هذا الصنف الملتاث من عبيد الغزو الثقافى المنتشرين فى كل مكـان .. والذى تمتلىء بهم شتى وسائل الاعلام ..

***

اهتمامى باللغة العربية ناشىء عن اهتمامى بالاسلام نفسه ، والوان الهجوم عليه ، وضروب التقصير فى خدمته ، وهذا الاهتمام قـد يجعلنى أغلغل البصر فى أشياء قـد تبدو مستغربة لأول وهلة ، أجل ، ربما عجب القـارىء عنـدما يعلم انى أقرأ ما يسمونه الشعر المرسل ، وأتعرف اتجاهات الفكر الحـديث فى كلماته الملومة من هنا وهناك ..

ومن بين القصائد التى استوقفتنى هذه القصيدة التى نشرتها الأهرام للشاعر محمد الفيتورى ، انقلها هنا على استحياء ، لأن تسـمية هـذه الألفاظ شعرا هو كتسمية البصل رمانا ، والطماطم جواهرا ، والفول لوزا على نحو ما يصنع الباعة الجائلون فى ازقة القـاهرة !

وعذرى فى اثباتها ما سوف اكشفه للقارىء الكريم ، وهذا هو الشعر المنثور كمـا يقولون :

نار خطـايانا
تسيل فى حنايانا
فلنتكىء على عظام موتانا
ولنصمت الآنا ..
برج كنيسة قديمة وراهب قلق
وغيمة تشد قدميها وتعبر الأفق
ورجل بلا عنق ..
وامرأة على الرصيف تنزلق
وقطة فى اسفل السلم تختنق ..
وصوت ناقوس يدق
يرسم دورة على الفضاء ، ويدق ... الخ .

ودعك من اضغاث الأحلام التى ينتقلك الى جوها هذا الكلام المفكك ..
ودعك من تقطع الروابط العقلية بين هذه الألفاظ المتصيدة ، فهى كما قيل : سمك ، لبن ، تمر هندى ..

ولكن الشىء الذى لا تدعه ، والذى يثير انتباهك حتما ، هو جراثيـم الاستعمار الثقافى ، أو الغزو الصليبى الذى سـيطر على هـذا الشـاعر الهـائم ..

فهو فى القـاهرة المدينة المعروفة بشمسها الصاحية ، ومآذنها السامقة ، وصبغتها الاسلامية الأولى .

ولكن التبعية الفكرية والنفسية الغالبة على هذا الشخص التائه ، جعلته لا يرى الا الغيوم وابراج الكنـائس والرهبــان القلقين ، ورنين النواقيس ، وكانه فى لندن او روما لا فى مصر ! !

ان هذا الانسان مثل لألوف من الخلق سلخهم التحرر الجـديد من ماضيهم وحاضرهم فهم يعرفون كل شيء الا دينهم ولغتهم وقومهم ٠

ولست اكتب هذا الكلام نقدا للشعر المرسل ، فامره أتفه من ذلك !!
ولكنى أشرح الأحوال النفسية وراء البغضـاء الكامنة ضد اللغة العربية وقضاياها فى شتى الميادين ٠٠

انني قلق على مستقبل لغتنا ومتبين للمؤامرات الخفية والمشروعات الخبيثة التى تستهدف اماتة هذه اللغة آخرا ، بعد جعلهـا الآن لغة ثانوية فى مجالات العلوم والصناعات ، وفى مجالات الحديث العـام والخطـابة الرسمية ٠٠

والقضاء على العربية مخطط تبشيرى مدروس بعناية وينفذ بتؤدة واصرار ، وقد بدأ هجوما على الحروف العربية التى تكتب بهـا بعض اللغات الاسلامية ، فامكن خلال الخمسين سنة الأخيرة اماتة هذه الحروف فى اندونيسيا وماليزيا وتانزانيا ونيجيريا وغيرها ٠

وذلك حتى تنقطع العلاقة بالمؤلفـات الدينية التى كتبها الأسلاف خلال الف سنة ٠

ونجحت هذه الحركة ، وشبت الناشئة المسلمة فى عشرات الســنين الأخيرة ، وهى لا تحسن قراءة ما كتب الآباء ، اى شبت جاهلة بدينها ، متجهمــة لثقافتــه ٠

فاذا علمت ان اللغة الساحلية ، ولغة الهاوســا ــ وهمـا اللغتـان الشائعتان فى نيجيريا وماليزيا ــ هما لهجات عربية ، وأن اكثر الكلمـات منقولة عن لغتنا ، عرفت اى خســار لحق بالاسلام من شــاطىء المحيط الهادى الى الهندى الى الأطلسى ٠٠

وقد اطمع الاستعمار هذا النجاح الذى اصابه غنيمة باردة ، فحاول ان يلغى الحروف العربية فى مصر نفسها ، وحمـل لواء هـذا الارتـداد عبد العزيز فهمى باشا ٠٠ رئيس محكمة النقض والابرام ، وهى أعلى هيئة قضائية فى البلاد ، ولكن الله سلم فسحقت الفتنة فى مهدها ٠٠

بيد أن الاستعمار لم ييأس من بلوغ ماربه فشرع يقص أطراف العربية بصور شتى ، ويجعل للنطق بها عورة !

وسخر بعض الحكام فى الدواوين وبعض الممثلين فى المسارح ، ليوصلوه الى ما يبغى ٠

وان المريض الآن ليذهب الى طبيبه فى حى السيدة زينب مثلا ، فيخرج من عنده بورقة قد كتب عليهـا بالانجليزية دواؤه ، وداؤه ، وكأنه يعيش فى روديسيا ، أو فى جنوب افريقيا ، ولا اقول فى لندن او واشنطون !!

وربة البيت فى بيتها وصاحب العمل فى مصنعه لا يعرفان الا مئات والوف الأسماء والمصطلحات الغربية ، لأن العربية معزولة عزلا عن هـذه الآفاق ٠٠ !

وبديهى أن قتل اللغة العربية قضاء على الاسلام نفسه ، وردم للمنابع التى ينبجس منها ، ويسيل فى المشارق والمغارب ٠٠ !

وقد نشطت المقاومة الاسلامية لهذا المصير الهائل ، وبين يدى الآن نداء لأخ كريم من رجالات التعليم يصرخ فيه بضرورة تعريب التعليم كله ويقول :

« انه لا توجد أمة حرة فى العـالم كله تمارس العلم بلغة اجنبية ٠

ولو استعرضنا أمم أوروبا وأمريكا جميعها ، وكذلك الأمم الحـرة المستقلة فى آسيا كاليابان والصين وتركيـا والشعبين العربيين سـوريا والعراق ، لمـا وجدنا أمة منها تتداول العلم بلغة غير لغتها ٠

فقد نقلت الأمم المختلفة العلم الى لغاتها لتيسره لأبنائهـا ، ولتصـير العلوم من أهم دعائم ثقافتها ، ومقومات حضـــارتها وتاريخهـا ، ولكى يحيا العلم فى الأمة وتحيا الأمة بالعلم ٠

ولذلك سمى عصر نقل العلوم الى اللغات القومية بأوروبا « عصر احياء العلوم » كما سمى أيضا « عصر النهضة ، والثورة العلمية » ٠

ثم ان لغة الأمة هى لواؤها الذى ترفعه فى مجـال الحضارة والمعرفة ، فان حرمنا هذا اللواء من بعض العلوم كان لواءا متداعيا ضعيفا يدل على التأخر اكثر مما يدل على الرفعة ٠

ولقد كنا ندرس العلوم كلها بلغتنا العربية منذ عهد محمد على حتى جاء الاحتلال المشئوم ، فاصدر الانجليز قرار سنة ١٨٨٩ يرغمون فيـه المصريين على أن يتعلموا باللغة الانجليزية ، بدلا من اللغة العربية ٠

وذلك لتحقيق أهداف استعمارية قاتلة ٠

منها قصر التعليم على طائفة خاصة وطبقة معينة ، تدين لهم بالولاء ، وتتولى الوظائف الحكومية ٠

ومنها اضعاف الروح القومية بين المتعلمين ، لأن اللغة الأجنبية التى يتعلم بها المرء ، تؤثر فى عقليته وتفكيره ، وتوجه ولاءه توجيها بعيدا عن أهداف أمته ، مما يمكن للاستعمار فى النفوس والقلوب ٠

لذلك قاوم المصريون المخلصون هذا القرار الاستعمارى للغاشم ، واستطاع رجال القانون أن يمنعوا تنفيذه فى مدرسة الحقوق فظل القانون (١) بلغتنا لم يمسه سوء ٠

ولما تولى سعد زغلول نظارة المعارف سنة ١٩٠٦ أصدر قرارا قوميا ، يلغى القرار الاستعمارى السابق ، ويقضى بتعريب التعليم فى جميع المراحل التعليمية ٠

ولكن الانجليز حاربوا تعريب التعليم العالى بكل قواهم حتى أنهم أخرجوا سعدا من نظارة المعارف ، اذ رأوه مصرا على التعريب ٠٠

ثم استطاع الزعيم المالى طلعت حرب أن يعرب علوم المال حين أنشأ بنك مصر ٠

ولما جاءت حكومة الثورة ودرست هذه المسألة ، واطلعت على نظم التعليم فى العالم كله ، لم تتمالك أن أصدرت قرارا يقضى بتعريب ما تبقى من التعليم الجامعى ، وبدأ تنفيذ هذا القرار ، وسار التعريب بطيئا حتى تم تعريب مقرر عامين دراسيين ، ولو ظل التعريب على هذا المنوال لتم الآن تعريب كل شىء ٠٠

ولكن الحزب(٢) المتعلق باللغة الانجليزية المناوىء لحركة التعريب ، انتصر أخيرا فارجع الى لغة الانجليز السيادة فى الجامعة ، وتم ابعاد لغتنا عن هذه الكليات ، كما أبعدها الانجليز عن التعليم بقرار سنة ١٨٨٩ ، وذلك رغم قرار التعريب الذى صدر ، ورغم أن نقل العلم الى لغة الأمة هو الأمر الطبيعى الفطرى ، الدال على تمام الاستقلال ، واكتمال الحرية ، وسيادة الأمة سيادة حقيقية فى كل شئونها ، ورغم أن بقاء العلم باللغة الأجنبية فى أية أمة من الأمم دليل تبعيتها لغيرها وهو بصمة الاستعمار الباقية على جبينها ٠

وقد ألفت كتب ومراجع عربية فى المقادير التى تم تعريبها حديثا ، فألفت كتب فى الطب والهندسة والكيمياء والزراعة وغيرها ، واستطاع ثلاثة

---

(١) نعم ، ظل عربى اللغة ، ولكنه اجنبى الموضوع .

(٢) ان هذا الحزب ليس متعصبا للغة الانجليزية وحدها ، انه كاره للاسلام وما يمت اليه من قرب او بعد .

اطبـاء من اعضـاء المجمع اللغوى ترجمة الموسوعة الطبية الأمريكية وهى موسوعة قيمة تقع فى اثنى عشر جزءا ٠

ولكن هذه الحركة العلمية التاليفية وقفت الآن بوقوف التعريب فى الجامعة ، وهذا دون شك خسارة كبـرى تصـيب الأمة فى حضـــارتها وثقـافتها ، وفى كيانها العلمى والفكرى ٠

من أجل ذلك وغيره مما لا يتسع المجـال لذكره ، يمكن ان تتـدارك الدولة هذا الأمر الخطير قبل فوات الأوان ، فتكلف لجـانا متخصصة فى كل علم باتمام تعريبه ، والتاليف فيه ، وترجمة كل ما يستجد من نظريات ومبتكرات أولا فاولا فذلك من أهم عوامل تقـدم الأمة ورقيها ٠

والذين يستطيعون التعريب كثيرون ، منهم :

١ ــ أساتذة الجامعـات ٠

٢ ــ أساتذة جامعة الأزهر ٠

٣ ــ علمـاء المجمع اللغـوى ٠

٤ ــ العاملون فى الوزارات والمصالح كاطباء الصحة والمهندسين ورجال التربية والتعليم ٠

ولا شك فى أن تعريب العلوم من مقومات المعـركة الحـالية ، ومن عوامل الاعداد لهـا ولـما بعدها ، فان ذلك هو الطريق السوى الى توحيد المشاعر ، وتمكين الولاء للقومية فى النفوس ، كما أنه السبيل الحقيقى الى جعل العلم مفتوحا للمجتمع ، ميسرا للجميع ، فيستطيع أن ينتفع به العامل والصانع والفلاح ، يستفيد منه ابناء الأمة جميعهم تقـدما فى عملهـم وفهما لامكانياتهم ٠

كما أن هذا هو التحول الاشتراكى فى العلم الذى سارت عليه كـل الامم الحرة المتقـدمة ٠

والا فكيف تتحقق اشتراكية العلم مع بقـائه فى تلك الأطر الفولاذية التى فرضها علينـا الاستعمار تحقيقـا لأهدافه الهدامة ٠

وليس تعريب العلوم صعبا ولا عسيرا ، انه ميسور للغاية ، جالب لأكبر المنافع للأمة ٠

بل هو الوسيلة الفريدة لاستقلالها السياسى وقـــدرتها على اداء رسالتها العظيمة هنـا وهنـاك ٠

فهل يصدر قرار حاسم كهذا الذى اصدره سـعد زغلول من سـتين سنة » ؟

***

قرأت هذا المنشور الذى كتبه رجل غيور على العروبة والاسلام ، وتبينت فكرته لأنى ابصر ما فيهـا من سداد ، وما ينتج عنها من خير ٠

ولأنى اعرف أنهـا صيحة ستذهب سـدى ، ما لم يدركهـا النصراء المخلصون ٠٠

لكن هل سيحتفى بهـا سدنة القومية عندنا ؟

لا ٠٠ لأنهم دعاة العامية ، وحراس التبعية الفكرية والعاطفية لأوروبا، بقسميها الشرقى والغربى ٠٠ !!

❋ ❋ ❋

تفتيت الحقيقـة بداية التحـول عنها

أصاب جهـاز « التليفزيون » عنـدى عطـل مبهم فلم تظهر الصـورة المرتقبة ، ونظرت الى الجهاز الجاثم فى مكانه لا يؤدى عمله نظرة استغراب ! وتحسسته بيدى فخيل الى انه لا ينقص شيئا من آلاته الجلية والخفية ٠٠

وأخيرا جاء العامل المتخصص فى اصلاحه ، واستبدل بجزء تالف منه جزءا صالحا ، واستأنف الجهـاز عمله ، وشرع يحقق الفـائدة المرجـوة منه !!

وقلت فى نفسى : ان الجهـاز كله توقف عن اداء رسالته حتى تعاونت أجزاؤه الصغار والكبـار على تحقيق وظائفها المنوطة بهـا !!

ولا عجب فقـد تتوقف الدبابة عن السير والقتال لقطعـة تنقصها فى مقدمتها أو مؤخرتها ٠٠

وقـد يتعطل مصنع عن الانتاج تكلف انشـاؤه الألوف المؤلفـة من الجنيهـات لأنه يفتقر الى تكملة لا تساوى مائة جنيه ٠٠

وهكذا شئون الحيـاة المـادية والأدبية قـد يصيبها عطب فادح لأن شطرها أو أغلبها موجود ، وبقيتها الأخرى مفقودة عن خطأ أو تعمد ٠

ومن ثم قـد ترى امامك اشياء صالحة ، ولكنهـا قليلة الجدوى لانها مبتورة ، وما تتم قيمتها وتبرز ثمرتها الا اذا دارت الحياة فيهـا وفيمـا يكملها ، وعندئذ ينطلق التيار فى دائرته المغلقة فيسطع النور ٠٠

ان تعـاليم الاسلام كذلك ، لا تصلح الحيـاة وتقيم المجتمعات الا على النحو الذى شرحنا ٠٠

وعناصر الوحى تشبه عقـاقير الأدوية لا يتم الشفاء بها الا اذا اخذناها كمـا جاءت ٠

أما اذا طرحنا عقـارا ، وتناولنـا آخر فلن يذهب لنا سقام ٠٠

وقد وجدت أن كثيرا من علل المسلمين الفكرية والنفسية ، بل عللهم الاقتصادية والسياسية ترجع الى أنهم يجدون من بعض النصوص ويهزلون مع بعضها الآخر ، فلا يحصدون من هذا التناقض الا ضـياع النصـوص كلهـا ٠٠ !

ولا يفيدون من النصوص التى عملوا بهـا ـ فيما يزعمون ـ شيئا طائلا !

لأن وجودها المنقوص في المجتمع كوجود جهـاز « التليفزيون » الذى سقت لك خبر عطله اول هذا المقـال ..

تامل معى هذا الحكم الشرعى في فرع من فروع الفقه الاسـلامى ..
يقول الله تعـالى : « **واذا طلقتم النسـاء فبلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف ، ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا** .. »(١) .
الى هنا يمكن تقدير الحكم العملى في شان يتصل بكيان الأسرة ، وربما لا يشغل العلماء أنفسهم عنـد تقرير الحكم بابعـد من ذلك عند ايراد النص ..

أفهذا ما فعل القرآن الكريم ؟ لا ، لقـد أعقب ذلك بخمس جمل تتضمن فنونا من النصح والتاديب والتربية يضيع المجتمع ان أضاعها .

فقـال جل شأنه :

(١) « ومن يفعل ذلك فقـد ظلم نفسه » .

(٢) « ولا تتخذوا آيات الله هزوا » .

(٣) « واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتـاب والحـكمة يعظكم به » .

(٤) « واتقوا الله » .

(٥) « واعلموا أن الله بكل شيء عليم » (٢) .

وعندما توجـد في بلادنا أحكـام الطـلاق ولا توجد معهـا بقية المعانى التى صاحبتها في هذه الآية فسوف يلعب بكتـاب الله ، ولن تزيـد الأمة الا خبـالا .. !!

خذ مثلا آخر ، لقـد نهى الاسلام عن السرقة وأمر بقطع يد السارق ، بيـد أن هذا الحـد من حدود الاسلام يكون خيراً وبركة مع احياء اوامر الله كلها واقامة شعب الايمان الكثيرة التى تسد يقينـا كل ثغرة ، وتمنع اى غبن ، وتطارد آفات البطالة والجوع عند البعض ، وآفات النهب والحيف والسرف عند البعض الآخر .

اما مع رفع كل رقابة عن طرق الاكتساب واتاحة الثراء من شـتى الوجـوه الحرام ، وايقـاع الضعاف في عقـابيل البأساء والضراء ، فالأمر يحتـاج الى تبصر في التطبيق .
ومعـاذ الله أن نتريث في اقامة حد من حدود الله ، ولكنا نقول مقالة الحسن ، وقـد رأى الشرطة تقبض على لص فقـال : سارق السر يسعى به الى سارق العلانية .. !!

---

(١) البقرة : ٢٣١ .

(٢) البقرة : ٢٣١ .

وما كذلك دين الله ..

وسمعت متحدثا في الدين يذكر أنه لا حدود للمهر ، ويستشهد بقصة المرأة التي اعترضت عمر بن الخطاب لما أراد تقييد المهور .

والقصة صحيحة ، ولكن المتحدث قليل الفقه في الاسلام ضعيف الشعور ، بمآسي المسلمين اليوم .. !

ان الجمهرة من الشباب ألفت أن تقضي صدر عمرها ، ولا أقول شطره ، في التسول الجنسي والانحراف الشائن ، وكان تعسير للحلال سيتبعه حتما تيسير الحرام .

فكيف يلقى فقيه ربه باقرار هذه الحال ، أو اقرار ما يؤدي اليها يقينا ؟؟

ان قصة عمر مع المرأة المعترضة تفهم في جو كان الرجل يستطيع فيه الزواج مثنى وثلاث ورباع .. وكان الحرام يقع فلتات نادرة أو استثناء من قاعدة عامة ..

أما اليوم فان العرف السائد بين جماهير المسلمين في الزواج والمهور والهدايا ، لا صلة له بتقوى الله ، ولا اشاعة الاستعفاف ، ولا اقرار الطهر النفسي والاجتماعي .

انه عرف يقوم في جملته على رذائل الرياء ، والكبرياء ، ورغبة أسر كثيرة في الانتفاخ والتعاظم ..

ان الاسلام كل لا يتجزأ ، والشبكة التي تنسج تعاليمه الدقيقة تفقد جدواها عندما تخرق من جانب واحد ، فكيف اذا تعددت فيها الخروق ، وتفاحش الاهمال والتلف ؟؟

والواقع أن هجر بعض الأحكام الاسلامية ، والف بعضها الآخر هدم لمبدأ السمع والطاعة المأخوذ على جماعة المؤمنين .

فان تقسيم الوحي الالهي على هذا النحو لا يعدو أن يكون تحكيما للهوى الشخصي فيما ورد ، فما أعجبنا قبلناه وما لم نستسغه رفضناه .

وهذا قريب من مسلك المشركين أنفسهم مع رسول الله ، فانهم لم يردوا كل ما جاء به ، بل وافقوه على البعض ، وحاربوه على البعض الآخر ، ولذلك أمره الله بالثبات على الكل وقال : « **فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك ، انما انت نذير ، والله على كل شيء وكيل** »(١) .

---

(١) هـود : ١٢ .

واتباع الهوى فى استبقاء حكم واطراح آخر معناه ان ما استبقى ليس لأن الله أمر به !!

فقد أمر بغيره كذلك ، فلماذا ترك ؟

معناه أن ما استبقى ظفر بالحياة لانه أرضى رغباتنا فقط ..

ولو صادمها لطوحنا به هو الآخر ..

وقد نبه القرآن الكريم الى أن فساد بنى اسرائيل نشأ مع هذا العوج فقد أخذت عليهم المواثيق بأمور سواء ، ففعلوا بعضها وتناسوا بعضها ، لأنهم يتصرفون وفق شهواتهم ، ولا يرتبطون بأمر الله ونهيه !! ..

فكان التعقيب الالهى على هذا السلوك : « **أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب ، وما الله بغافل عما تعملون** »(١) ..

« الأمة الاسلامية اليوم موزعة على عشرات الدول ، وأمر الاسلام فى كل دولة منها يستحق الدراسة ، ويؤسفنى ان أقول : انى لم أره مكتمل الشكل والموضوع فى قطر من أقطار الفيحاء ..

هناك مجتمعات لا تعترف بالحدود والقصاص ، ومجتمعات لاتعترف بدساتير الحريات والحقوق ، ومجتمعات لا تعترف بالحلال والحرام ، وأخرى تترك الصلاة والصيام وأخرى .. الخ .

واعداء الاسلام كلما رأوا جزءا منه أصابه الشلل ، سارعوا بالتدخل الماكر ليزيدوا الطين بلة ، أو ليزيدوا المريض علة ..

ونحن نصرخ بأولئك المسلمين المفرطين أن يرجعوا الى دينهم كله ، لا يدعون منه شيئا ، ولا يفرطون فى جانب ، ولا يأذنون لعدو سافر ، ولا لصديق جاهل أن يصرفهم عن كتاب ربهم وسنة نبيهم ، فذاك وحده طريق النصفة والانتصار ..

ان شعب الايمان التى تبلغ السبعين موزعة توزيعا دقيقا على الدائرة الرحبة التى تمتد اليها وظيفة الايمان وتنتشر فيها أشعته .

ولما كان الاسلام علاقة تشمل النفس والمجتمع والدولة وتتناول المعاش والمعاد فى اطار من معرفة الله ورقابته فان تعاليمه تشبه شبكة الأعصاب المبسوطة فى الكيان الانسانى كله لا تخلو منها جلدة بين الرأس والقدم .

قال تعالى : « **ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين** »(٢) .

---

(١) البقرة : ٨٥ .

(٢) النحل ٨٩ .

ومن الخطــأ تصنيف تعــاليم الاسلام على اساس فنى ، وتصور أن بعضها يقوى وينمو · فى حين ان بعضها الآخر يذبل ويذوى ·

ان ذلك قــد يجوز فى عالم الدراسات النظريه حيث ينجح الطــالب فى مادة ويرسب فى أخرى لأنه استوعب الأولى وأهمل الثانية ·

أما فى المجتمع الكبير فان اعتلال بعض الاسلام ينقل العلة الى البعض الآخر على عجل أو على مهل ما لم تسارع بالاستشفاء والتصون وانفــاذ اوامر الله فى كل مجــال ·

فضعف العقيــدة مثلا ليس يترك أثره الردىء فى صلة المسلم بربه بل يتعــدى ذلك الى موقف الفرد من الجماعة ، وموقف الدولة من العــالم أجمع ·

وترك الصلاة ليس معصية خاصة فقط بل هو ذريعة الى انهيــار الأخلاق وانتشار الآثام ·

واهمال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ليس برودا فى عاطفة التدين فقط ، ولكنه آية على موت الضمير الاجتماعى وتلاشى رسالة الأمة ·

والاستعمار الحــديث فى حملته على الاسلام لا يقوم بهجوم شامل على كل شىء ، انه اذكى من ذلك وادهى ·

انه يصر على اماتة بعض التعــاليم أو سرقتها من الوعى العام عالمــا ان ما بقى سيتبع ما أخــذ ·

ترى هل سنخــدع عن ديننــا أم ندافع عن كل ذرة منه ·

***

كان التاريخ الاسلامى يتدحرج خلال الاعصار الأخيرة لفساد الحكام ، وعجز العلمــاء ، وذهول الأمة جمعــاء عن وظيفتها ورسالتها ٠٠ !

لكن تسجيل هذه الهزائم والاعتراف بنتائجها لم يقع الا منــذ خمسين سنة تقريبــا ، فقــد انسحبت الجــامعة الاسلامية من الميدان العــالمى بعد تنكيس راية الخلافة ، وأخذت الثقافة الاسلامية بعدها تضمحل ٠٠ !

لقــد كانت هــذه الثقــافة زاحفــة فى المــاضى ، ثم توقفت مكــانها أيام الضعف ، ثم تراجعت وانكمشت أيام الهزائم ، تاركة وراءها فراغا تملؤه الثقــافة الأجنبية والأفكــار الدخيلة ٠٠

وفى رسالة وجيزة عن الأدب والحياة قرأت هذه السطور :

هزمت الفكرة الاسلامية فى الحرب العــالمية الأولى ، ثم انتهت دولة الخلافة بعد ذلك بقليل ، وبرز دعاة الحضارة الأوروبية بوجوههم سافرة ، ولقيت دعوتهم رواجــا ، خاصة عنــد الشباب الذى عاش فى جو الثــورة المغرى بالتمرد على كل قديم ، والذى وجد فى بريق الحضــارة الأوروبيــــة ما ينــادى شبابه الى مواطن الهوى ، فأخــذ يشارك فى المجتمعات المختلطة ، واقبل على تعلم الرقص الغربى ، ويمتع نفسه بالمشــــاركة فى احتفــال الأوروبيين بأيام الأحد ، وبرأس السنة الميلادية خصوصا فى المدن الكبيرة كالاسكندرية والقــاهرة حيث كانت تحتل الجــاليات الاجنبية مكانا بارزا فى الهيئة الاجتماعية ، بما تملك من مصانع ومتاجر وفنادق ، وبما لهــا من معاهد واندية ، وبما كانت تكفله لها الامتيازات الأجنبية من مزايا ٠

وتردى النــاس فى حمى التقليــد للأجانب فى كل شىء ، فى لباسهم وفى طريقــة حيــاتهم وفى كلامهم وملبسهم ٠

وأصبح الرجل يخجل ان أخطــأ فى ذلك ، ولا يخجل ان جهل أمور دينه او جهل لغته أو عبث الدنيا بتقــاليده ٠٠

يقول الدكتور طه حسين بعــد أن يسرد ما اقتبسته مصر من نظم الغرب فى مختلف مظاهر حياتها الحديثة ــ وذلك فى كتــابه : مســــتقبل الثقــافة فى مصر ــ : « وانى لأتخيل داعيا يدعو المصريين الى أن يعودوا الى حياتهم القــديمة التى ورثوها عن آبائهم فى عهــد الفراعنة ، او فى عهد اليونان والرومان وفى عصرها الاسلامى ، أتخيــل هــذا الداعى واســـأل نفسى ، اتراه يجــد من يسمع له ؟ فلا ارى الا جوابا واحدا يتمثل أمامى ، بل يصدر من اعمــاق نفسى ، وهو أن هذا الداعى ــ ان وجــد ــ لم يلق بين المصريين الا من يسخر منه ويهزأ به ! ٠٠

هكذا يقول الدكتور الأوروبى الثقـافة والوجهة !! ··

وهو فى مقـالته البينة الدلالة يرى الدعوة الى الحياة الاسلامية مدعاة الى الهزء والسخرية ، ثم هو يضم العصر الاسلامى الى عهود اليونـان والرومان والفراعنـة الأقـدمين أى الى العهود التى بادت وانقضى أجلهـا ولا سبيل الى بعثهـا ··

وهذا الكلام المحقور هو قرة عين الاستعمار ، وهو ما يبذل الغـزاة انجـدد جهودا مضنية لاشاعته ، واقناع الجماهير به حتى لا يكون اسلام ، ولا مسلمون ··

لكن الأمة الاسلامية فى المشارق والمغارب قاومت القتلة وأجراءهم !!

ومع أننـا لا نزال ضعافا فى جبهـات شتى ، ومع أن وساوس الجريمة لا تزال تغلى فى افئدة خصومنا ، ومع أن المخلصين لدينهم تحملوا مغـارم فادحة وهم يدفعون عنـه ، مع ذلك كله فان الواقفين بجانب الاسـلام صامدون آملون ·

وقد التقطوا الراية التى سقطت على الثرى من نصف قـرن وهـم بسبيل رفعهـا سياسيا وثقـافيا باذن الله ·

وأول بشائر الخير ان جمهرة المسلمين لم تزهـد فى دينها ، ولا أساءت الظن بأصالته وصدقه ، ولا هى خدعت بالأديان والمبادىء الأخرى فحسبتها ازكى مما لديها ، ان الأمر — فى الاسلام وغيره — كما قيل :

أمامك فانظر أى نهجيك تنهج طريقان شتى ، مستقيم وأعوج !!

والمعركة تزداد على الأيـام حدة ، وبقـدر ما يبدى المسلمون من صلابة ينمو نشاط خصومهم وتتسع دائرة هجومهم ·

بل أن القـوى المتناقضة تنـاسب ما بينهمـا — ولو الى حـين — لتستطيع اصابة الاسلام فى مقـاتله ، وفض الأنصار المتحمسين عنه ·

وذلك يكشف عمـا يتعرض له المجـاهدون الصـادقون من متاعب وأحزان ، على أننـا لن نخون الله ورسوله ما حيينا ، حتى نورث الاسلام أبناءنا كما ورثنـاه عن آبائنـا ·

بل حتى نمسح آثار الهزائم الشائنة التى لحقت به فى غير ميدان ··

ولقد شكا لى صديق ما يلقاه العـاملون للاسلام من غمط وهـوان · قال : انهم يتجاهلون فى حياتهم ، وتسحب عليهم أذيال النسـيان بعـد ممـاتهم ·

فمحمد فريد وجدى صاحب دائرة المعارف الاسلامية ، ورئيس تحرير مجلة الأزهر ، والأستاذ محمد الخضر حسين الامام الورع والأديب المؤلف والشيخ محمد عبد الله ، والشيخ عبد الوهاب خلاف ٠ و ٠٠ و ٠٠ و ٠

هؤلاء تناستهم المحافل الرسمية ، وطوت ذكراهم فى الوقت الذى تفرد فيه ليالى لتكريم ذكرى سيد درويش وزكريا أحمد وأضرابهم ممن برزوا فى ميادين التسلية واللهو والغناء والموسيقى ٠٠

قلت : ياصديقى ان المجتمع الذى يزدرى أبا حنيفه ويكرم أبا نواس مجتمع تافه !

ولكن هذا المجتمع هو الذى صنعه الغزو الثقافى ليجعل الناشئة الاسلامية تشب وهى مرخصة للحق مغنية للباطل ، صادة عن الايمان عاشقة للهزل ، مستهينة برجال المعرفة الاسلامية معظمة للأقزام أو العمالقة فى أية معرفة أخرى ٠٠٠

وقد مات منذ فترة العلامة محمد فؤاد عبد الباقى فما شعر بمماته أحد ، ولا تحدثت عنه فى مصر صحيفة ، وهو الرجل الذى ألف المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث – وقد طبعت منه هولندا ٤١ جزءا – حتى وفاته ، واللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ، وموطأ مالك ، وعشرات من البحوث والمقالات ٠

وقد كف بصر الرجل الكبير وهو يخدم الثقافة الاسلامية ، فلما مات أهيل عليه التراب فى صمت ، ومضى لا يلوى على شىء ٠

ومشيت بنفسى فى جنازة المجاهد المؤمن صالح حرب « باشا» ولو شئت أن أعد المشيعين لجثمان الراحل الطيب لعددتهم ٠

ان عشرات السنين فى خدمة الاسلام نسيتها القاهرة السكرى من غير خمر ، المشغولة بغير شىء ، الشاردة فى الحياة لا تعرف لها وجهة !!

وأسارع الى أن العاملين لله ما يعنيهم رأى الناس فيهم ، وما يثبط هممهم أن يجدوا الانكار والازورار ، فان نشدانهم لوجه الله وحده ، وتطلعهم الى ثوابه الدائم هو غرضهم الأعلى ٠

ولكنى آسى لما قصصت من عقوق ، لما فى ذلك من دلالة على سقوط المجتمع ، وهبوط قيمه ، ورواج الباطل فيه ، ووحشة الحق بين أهليه ٠٠ !!

واذا كان المجاهدون للاسلام فى مجالات الثقافة يلقون هذه الجهامة ، فهم فى مجالات الحكم لا يستطيعون أن يضعوا قدما !!

ذلك أن العداوات العالمية الرهيبة لهذا الدين استطاعت بوسـائلها الباطنة والظـاهرة أن تملأ هذا الطريق بالضحايا ٠

ولقد تساءلت : لمـاذا قتل « عدنان مندريس » فى تركيا ؟

فقيل لى ان الجريمة التى استحق بها الشنق محـاولته الخفية ان يعود بتركيا الى الاسلام !

وقد بدأ ذلك فى اعادته الأذان باللغة العربية الى المساجد ٠

ان اليوم الذى سمع فيه الأتراك كلمة « الله أكبر » تشـق أجـواء الفضاء من ذرى المآذن كان يوما مشهودا ، وبلغ جيشان المشاعر بالناس فى السكك ، أن الدموع غلبتهم ، وصرخات الايمان والاستبشار عمتهم ٠

فهل تدع الصليبية العـالمية هذا الجرم يمر من غير عقاب ؟؟

وكذلك كان مقتل الزعيمين الافريقيين المسلمين احمدو بللو ، وأبى بكر تفاوه ٠٠ ان الجريمة التى استحقا بهـا القتل هى سيرهما بالاسلام فى وسط افريقيا سيرا حثيثا عاقلا متئدا ٠٠٠

كيف يسكت خصوم الاسلام على ذلك ؟

وقتل الرجلان وعشرات آخرون فى مجـزرة أعقبهـا صمت مفتعـل مقصـود ٠

ولكن الله العدل تتبع القتلة بالقصاص ، ومنذ عشرين شهرا والدماء تراق بغزارة فى نيجيريا ٠

وتحاول الكاثوليكية العالمية بتعصب وغضب أن تقسم نيجـيريا قسمين ، وأن تجعل من « بيافرا » اداة لهـا فى تنفيذ مآربها ٠٠ تلك المآرب التى بدأت بسفك الدم الاسلامى دون ما سبب ٠٠

اننا نشعر بأن العمل للاسلام مثار قلق وأذى ٠٠ وأن المجاهدين فى سبيل الله لا يرون الا النظر الحانق ، والجو الخانق ٠٠ !!

ليكن ، فلن ندع الاسلام أبدا ، محتمين بالله مما نجد ونحـاذر !! :
« وما لنا الا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ، ولنصبرن على ما آذيتمونا ، وعلى الله فليتوكل المتوكلون »(١) ٠

* * *

(١) ابراهيم : ١٢ .

الذين اتخـذوا دينهم لعبـا ولهوا ..

نظرت فى الطريقـة التى يؤدى بهـا المسلمون عباداتهم فوجـدتها متوافقة مع موقف المسلمين العـام من تعـاليم دينهم ، ذلك الموقف المنطوى على الاهمال والاضاعة ..

أمس القريب ودع المسلمون رمضان واستقبلوا أشهر الحـج فهـل استفادت الأمة من صيامها وهل ستستفيد من حجها ؟؟

لقد كنت أضحك ضحكا مرا وأنا أسمع أغانى رمضان ، والاستبشار بقدومه ، والحزن لفراقه !!

كنت موقنا أن المغنى مفطر ، وان المغنية لم تفكر يوما فى صيام !

كنت أسـمع الألحـان والأنغـام وأنا أسـتغرب كيف تحـول الدين الى طبل وزمر وصياح ومجون ..

كنت أعرف أن شهر الصيام والقيـام قد غاضت منه معانيه الرفيعة ، وحولته الطبائع المرضى الى شهر طعـام وشراب وتسال والغاز وضجيج طويل أبعـد ما يكون عنـد الجـد والصدق .

وعرفت يقينـا أن المسلمين حكموا على بعض تعـاليم دينهم بالموت . وحكموا على البعض الآخر بالمسخ والتشويه ..

ان الله لما شرع العبادات شرح الحكمة المقترنة بهـا ، والثمرة المرجوة منهـا .

فاذا أديت هذه العبادات تأدية عقيمة أو صورية فان هذه التـادية لا تزيد عن الاهمال والترك الا قليلا ..

اذا كانت غاية الصوم التقوى كما قال الله تعالى : « **كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** »(1) ثم جاء من صام ولم يستفد من طاعته التقـوى المنشودة فما قيمة صومه ؟ .

واذا كانت الصلاة طهـارة للقلب ووضاءة للخلق ، وانتهاء عن المناكر، ثم جاء من يصلى دون أن يحقق فى روحه أو سلوكه شيئا من ذلك فمـا قيمة صلاته ؟

نعم ، ربما كان هذا الأداء دليـلا على خيط باق يربط المسلمين بدينهم على نحو ما .. ويستطيع المربون أن يهذبوا هذه العلاقة ، وينقوها من عللهـا .

وهذا صحيح .. وأحب أن أشير الى أن مراصد التبشـير العـربى

---

(1) البقرة : ١٨٣ .

تنشر صورا عن المجتمعات الاسلامية فى رمضــان ، وتثبت احصاءات عن عدد الصائمين ونسبتهم فى الأمة ، وتستنتج من ذلك كم بقى على المسلمين لينسلخوا من دينهم نهائيا ؟ كلما رأوا عدد المفطرين يزيد باطراد !!

فهل يدرك ذلك المشايخ الخربو الذمم الذين يصدرون فتــاوى عامة بالافطــار ، لجماهير غفيرة من الناس ، بعــد أن يحرفوا الكلم عن مواضعه ، وبعــد أن يغمضوا عيونهم عن الملابسات المحيطة بالسؤال والسائلين ؟

أعجبنى عندما كنت فى الكويت – خلال رمضان – انى لم ار مجاهرا بفطر ، فمن كشف سوأته رمى به فى السجون ٠

ليت شعرى لماذا لم يطبق ذلك النظــام فى مصر ؟ ولكن كم فى مصر من مفاسد اجتماعية تتطلب مبضع الجراح ليشفى ويكفى ٠٠ ؟

وها قــد خرج المسلمون من رمضان لتطالعهم اشهر الحج ٠٠

وأغلب عشاق الحج من الفقراء الذين لا تلزمهم الفريضة ، ومع ذلك يزحمون موسمه !

وجمهور القــادرين الواجدين مصروف القلب عن هذا الركن الجليل ٠

وتلك بعض نتائج الغزو الثقافى لبلادنا الطيلة فى المشارق والمغارب ٠٠

ومع هذا الحساب للمقبلين والمدبرين فان الموسم العظيم يعج بالألوف المؤلفــة ٠

وتعود بنا الذاكرة الى المــاضى البعيد عندما كان الحج شعيرة حية من شعائر الاسلام الحى ٠

شعيرة تتقرر فيهــا سياسة المسلمين نحــو اعدائهم ، وتوجه هــذا الفيضــان البشرى من شتى الأجناس والألوان ليمحو ويثبت من صــور الحياة ما يشاء !!

فى حجة مضت ابان العهــد الأول ، وقف على بن أبى طالب يصك آذان المعتدين والمجرمين بهــذا الانذار الالهى : « **واعلموا انكم غير معجزى الله وأن الله مخزى الكافرين** »(١) ٠

لقد تحمل المسلمون الكثير من غدر خصومهم ، وخبث مؤامرتهم ، وطول تبجحهم !!

وها قد آن اوان القصاص والتاديب ، وانتهت عهود المطاولة والتريث :
« **واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحــج الأكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله ، فان تبتم فهو خير لكم ، وان توليتم فاعلموا انكم غــير معجزى الله ، وبشر الذين كفروا بعذاب أليم** »(١) ٠

---

(١) التوبة : ٢ ٠ (٢) التوبة : ٣ ٠

فهل يوجد اليوم بين الحكام المسلمين من يستغل الحشـود المـائجة يوم الحج الأكبر ، ويلقى الخطبة نفسها التى القاها على بن أبى طالب ؟
ان الاسلام فى خطر مقترب ، ووجه مكتئب ! ..

وكل يوم يمر تسقط من بنائه لبنة ، ويضيع من ارضه قيراط ، فهل يذهب الحجيج ويعودون ، لتقام لهم الأحفال ، وتزجى لهم التهـانى ، وتسند الى اسمائهم القاب ! وأمر المسلمين فى ادبار ، وتاريخهم المعاصر يلف به اطار من العار ؟؟

اتلك هى الغاية من فريضة الحج ؟

وذلك هو الربح الذى يحصله الحجاج لدينهم ودنياهم ؟

كيف هوى المسلمون بشعائر دينهم الى هذا الدرك ؟

ولحكمة عليا شاء الله أن تكون المسـاجد الثلاثة التى تشـد اليهـا الرحال فى هذه المنطقة فى الشرق الأوسط .

انه فى هذا الشرق درجت الديانات ، وفيه تقع الأماكن المقدسة .

وفى هذا الشرق اقام الاسلام للعرب دولتهم الكبرى ، وجعل منهم أمة مرموقة بعد أن لم يكونوا فى التاريخ شيئا مذكورا ..

لكن العرب خانوا تعاليم الاسـلام عدة مرات فاصابهم من ضربات القدر ، وخزى الأيام ما اصابهم !! .

خانوه أول مرة فى أواخر القرن الرابع الهجرى عندما أوهنوا أمرهم ، وتقطع بينهم ، وتبعوا أهواءهم .

وتفرقوا شـيعا فكل قبيلة فيها أمير المؤمنين ومنبر !!

عندئذ جاء أول فوج للصليبيين ، واكتسح المقاومة الواهنة وارخص الدماء فى القدس المهزومة حتى خاضت فى مجراها سنابك الخيل ..

ولما كانت هذه البقاع من أرض الله لا تعنى العرب وحدهم ، وانمـا تعنى المسلمين من كل جنس وبلد ، فان فساد العرب اصلحته الأجنـاس الاسلامية الأخرى !! .

فتقدم الأكراد والأتراك باسم الاسلام ونشلوا العرب من وهدتهم .

وما زالوا يقاتلون الصليبيين حتى أجلوهم عن المواطن التى احتلوها ، وما زالوا كذلك يجالدون التتار حتى كسروا شوكتهم .

وعاد العرب والمسلمون الى فلسطين بعـد ما طهرها الايمـان المجرد والاخلاص لله والعمل لدينه ..

وخان العرب الاسلام مرة ثانية فى الأندلس ، يوم غرقوا فى الملاهى ، وملأ أفواههم فخرا بعصبياتهم القبلية ، ونزعاتهم العنصرية ، ونسوا أن الاسلام محا كل هذه الدعاوى ، وطمس مآثر الجاهلية ، واستحيا قيم الايمان والفضيلة وحدها فى موازين البشر .

فماذا كانت العقبى ؟ ·

لقد دخلوا بالاسلام أرض الاندلس ، فلما جحدوه وتذاكروا عروبتهم ونبضت عروق الجاهلية فى سيرتهم ، طردوا من هذه الأرض شر طردة ، وأقفرت منهم مغان طالما عمرت بشيبهم وشبابهم ·

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر !

واليوم يعيد التاريخ نفسه ، فهل نتعظ قبل أن تدور علينا رحاه فتطحننا كما طحنت من قبلنا من المفرطين واللاهين ؟؟ ·

ان القدس سقطت فى يد اليهود ·· والزحف الجديد يضمر فى طواياه السود ابادة أمة وازالة تاريخ ··

والعرب فى أوضاع الهزيمة التى وقع فيها من قبل أسلافهم المفرطون أولئك الذين انسحبوا من الأندلس ، واندحروا أمام الصليبيين القدامى !!

نعم فى الأوضاع نفسها ! ··

فرقة بين الأمراء والرؤساء لا تجمع قلبا على قلب ·

نهمة الى الشهوات هبطت من الكبار الى الصغار ، وجعلت الكل يطلبون الدنيا بخسة ، ويركضون وراء مآربها ركض الوحش فى البرية ، بلا عقل ولا تقوى ··

وزاد الطين بلة بلاء جد على التاريخ العربى . لم يعرف يوما فى صحائفه الأولى !! ·

هذا البلاء ، قوم يجردون العروبة من الاسلام ، ويقطعونها عن أبيها الروحى والفكرى والحضارى والعسكرى ، ويريدون افهام الأجيال الناشئة أنهم أولاد أنف الناقة وتابط شرا وأمثالهم من قادة الفكر فى عالم الأساطير !! ·

« ألا لعنة الله على الظالمين · الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون »(١) ·

اننى أحذر العرب من هذه البلايا التى تجمعت عليهم !! ·

وما أرى الوقت يتسع للتلكؤ فى العودة الى الله ··

ولا يزال يرن فى سمعى قول صديقى المجاهد المسلم محمد على الغتيت « ان الشعوب التى لا تبصر بعيونها سوف تحتاج الى هذه العيون لتبكى طويلا »

* * *

---

(١) هود : ١٨ ، ١٩ .

أمانة الاســلام هى الهــدف الأخير

لم ينقض عهد النبوة الخاتمة والخلافة الراشدة حتى كانت الوية الاسلام ترفرف على جنبات الشرق الأوسط كله ، وحتى استطاعت شعوبه العانية أن تكسر أغلال الأسر الرومانى والفارسى وتتنفس الصعداء بعد ذل طويل !! ٠

أجل تحررت مصر والشام بعد استعباد قرون ، وتحررت عن اليمين والشمائل اقطار رحبة فى افريقيا وآسيا ٠

واستوطن الاسلام هذه البلاد كلها بعد ما ارتضاه أهلها ودخلوا فيه افواجا وجماهير ٠٠

والشرق الأوسط وما حوله مجمع القارات المعمورة ، ومهد الديانات والحضارات الكبرى ، ومهب رياح التغيير فى العالم كله ٠

والأمة المهيمنة عليه تملك مفاتيح الشرق والغرب ، وتقدر على فرض نفسها فى كل مجال ، او على القليل أمة لا يجوز تجاهلهـا واسـقاط حســابها !! ٠

فكيف اذا اعتنقت رسالة سيالة تمتد من قلب الى قلب ، وتنتقل من شبر الى شبر ؟ ٠

ان هذا الوضع يتيح لها فرصا رائعــة ، ويرشحها لمكــانة مرموقة ، ويلقى بين أصابعها بامكانات ضخمة !! ٠٠

وآباؤنا الأوائل عندما طووا راية الروم والفرس ، وخلفوهما فى هذه البقاع رسخوا اقدامهم فيها بالعدل والمرحمة ، وجعلوا منها منطلقا لأداء رسالتهم الكبرى فكانوا يصــدرون للعــالم الشرائع والمثــل ، والأخــلاق والأفكار كما نصدر نحن الآن النفط والقطن وأشياء أخرى !! ٠

ولاريب أن هذه المكانة الجغرافية كمــا تمنح الكثير تكلف الكثير ، وبقدر ما تمين الأصدقاء تؤلب الأعداء ٠٠

ومن هنا فان خصوم الاسلام بذلوا على مر العصور جهودا متتابعة لحرمانه من هذه الميزة ، وشنوا الحروب صريحة وغادرة لزلزلة هــذا الكيان وزحزحة أصحابه عنه ٠

واننا لنكون على حظ كبير من الغباوة اذا ظننا أعداءنا سيتركوننا نحيا بديننا كما نشاء فى تلك الأوطان الطيبة الغــالية ٠٠

وما الحروب الصليبية فى صورتها القديمة ثم فى صورتها الحديثة الا ترجمة دقيقة لرغبات خصومنا فى الخلاص منا ومن ديننا ٠٠

لنهم يودون أولا الاستيلاء ولو على موضع قدم !! فاذا تم لهم ذلك كان المعبر الذى تنساح منه جيوشهم فى احشائنا لتجهز علينا بوسيلة أو بأخرى !! ٠

وليس المهم ان يكون هذا الموضع مصر او الشام او كليهما او قطعة منهمـا ٠

المهم هو الحصول على رأس للجسر الذى يمر منه العدوان !!

وليس المهم ان يكون هذا الهجوم عسكرى الطابع ، فقد تكون الأساليب الأخرى اجدى وأنكى وان طال المدى !! ٠٠

ولا نستطيع هنا التاريخ للمحاولات الثقافية والاقتصادية والسياسية التى سلكها الغرب للقضاء علينا ، وانما نكتفى بآخر تلك المحاولات وأدهاها واقساها ٠٠

لقد قفز الأوروبيون فى الأعصار الحديثة الى مقدمة القافلة البشرية ، واستغلوا اخطاء المسلمين وخطاياهم فنحوهم بقوة عن مكان القيادة ، وتولوا هم تلك الوظيفة !! ٠٠

وشهدت الدنيا الأمة العربية والاســلامية تنحــدر الى السفح بعد ما كانت فى القمة ، كما شهدت الأوروبيين الذين كانوا عميانا فى القــرون الأولى يتأنقون فى مدنيتهم الجديدة ، ويدلون بها على الآخرين !! ٠٠

ومن السفه أن ألوم خصمى على مهارته وتفريطى ، لقد كنا وما زلنا سبب ما ألم بنا من كوارث !! ٠

وفى قيادة الأوروبيين للعــالم اخــذوا يضعون الخطط فى أنــاة ودهــاء للقضاء على خصومهم الأقدمين ، وضمان بقــائهم الى آخــر الدهــر قادة الدنيا وسادتها !

ولكن كيف والدهر قلب ؟ وللحضارات والدول أعمار كما للأفراد ! ٠

هنا شرع العقل الاستعمارى الذكى يفكر ، ويقلب الأمر على وجوهه ، ويحتال للبلاء قبل وقوعه ٠٠

من أين يمكن أن يجىء الخطر ، وكيف يتم تلافيه من الآن ؟؟ ٠

لقد تألفت لجنة دولية بامر « السير هنرى كامبل باترمان » رئيس الوزارة البريطانية ، وتمثلت فيها كبريات الدول المستعمرة ، واستمع اعضاؤها الى الرئيس البريطانى وهو يقول : « ان الامبرطوريات تتكون وتنمو وتقوى ، ثم تستقر حينا من الدهر ، ثم تبدأ طريقها الى الغروب رويدا رويدا ، ثم تتلاشى وتزول ٠

والتاريخ ملىء بهذه الأطور والأدوار التى انطبقت على شتى الأمم والنهضات ، دون استثناء ٠٠

فهنــاك امبراطوريات روما وأثينا والهنـــد والصين ، وقبلها بابل وآشور ومصر ٠

فهل لديكم أسباب أو وسائل تجنبنا هذا المصير ، وتحول دون انهيار الاستعمار الأوروبى بعد ما بلغ ذروته اليوم ؟

لقد أصبحت أوروبا قارة قديمة ، استنفدت مواردها ، وحالت معالمها بينما الآخر لا يزال فى شبابه يتطلع الى مزيد من العلم والتنظيم والرفاهية٠

هــذه مهمتــكم أيهــا السادة وعلى نجاحهــا يتوقف رخاؤنا وتبقى سيطرتنا » ٠

ونحن نلحظ أن السياسى البريطانى تعمد ألا يذكر فى الدول القديمة الغاربة العرب أو الترك ٠

كما نلحظ أنه ينوه بفرص التقــدم والوثوب المتكاثرة فى أرجاء العــالم الآخر ، هذا العــالم المحذور النهوض واليقظة !!

ترى ماذا يعنى بالضبط ؟

على كل حال لقــد باشرت اللجنة مهمتهــا بعــد ما اســتمعت الى توجيهــات مؤلفهــا الكبير ودرست الوسائل المستطاعة لحماية الاســتعمار الغربى وتوفير ضمانات البقــاء الأبــدى له ، ثم انتهت فى تقريرها الذى صدر سنة ١٩٠٧ الى ما يأتى :

أولا : استبعاد أى خطر على السلطان الأوروبى من المستعمرات التى تحررت بعــد ما غلب عليهــا البيض مثل أستراليا وكنــدا وجنوب افريقيا وغيرها ٠٠ والتقليل من خطر استقلال الهند والملايو والهند الصينية وغيرها لأن المشكلات الدينية والطــائفية ستشغل هذه البلدان ، ان هى استقلت ، لأجل غير محدود ٠

والتقليل كذلك من خطر منح الاستقلال للمستعمرات الافريقية أو البلدان المبعثرة فى المحيطين الأطلسى والهــادى ، وذلك لتطرفها وانعزالها الجغرافى ٠

ثانيا : وهنا الجزء المهم فى التقرير ـ ترى اللجنــة أن الخطــر على الاستعمار يكمن فى منطقة الشرق الأوسط ، فهــذه المنطقــة مهــد الحضارات والديانات ويسكنها شعب تتوافر له من وحدة تاريخه ولغته ومثله وآماله

كل مقومات التجمع والترابط علاوة على ثرواته الطبيعية ونزعة أهله الى التحرر ٠

ولمواجهة ذلك الخطر اقترحت اللجنة على الدول ذات المصالح المشتركة ما يأتى :

(أ) السيطرة على البحر الأبيض لأنه الشريان الحيوى للاستعمار والقنطرة الموصلة بين الشرق والغرب ٠٠

(ب) استبقاء هذه المنطقة مجزأة ، وفرض التفكك المستمر على شعبها ومنع كل محاولة لعودة هذا الشعب الى وحدته الطبيعية ، والحيلولة بأى طريقة دون اى ارتباط فكرى أو روحى أو تاريخى يسودها ٠

(ج) فصل الجزء الافريقى من هذه المنطقة عن جزئها الآسيوى باقامة حاجز بشرى قوى وغريب يملأ الجسر البرى الواصل بين القارتين ، بحيث يشكل فى هذه المنطقة وقريبا من برزخ السويس قوة صديقة للاستعمار الأوروبى وعدوا لأهل البلاد ٠٠ !!

هذه هى مقررات لجنة باترمان(١) ٠

وظاهر أنها طوفت بالعالم كله تتحسس مصادر الخطر على الاستعمار فلم تجد أمة تخشى نهضتها ، ويخاف على مستقبل الاستعمار من يقظتها، الا الأمة الاسلامية ، أو بطريق التحديد العرب الذين هم دماغ الاسلام وقلبه ٠

فوضعت أصبع الاستعمار على مكمن القلق ، وقالت له : عليك به !!

وعندى أن اللجنة الموقرة لم تات بجديد حين استثارت أحقاد العالم الصليبى على الاسلام وأمته ، أنها أكدت مشاعر كانت منتشرة مستقرة فى كل مكان ٠

ان الجديد الذى جاءت به هو ما اقترحته على قومها من تبنى أمانى اليهود ، والعمل على ضرب العالم الاسلامى بالصهيونية الحديثة !!

وقد استجاب الساسة الأوروبيون والأمريكيون – وبين الجميع تاسم مشترك – لهذه الدعوة ٠

فمهدت انجلترا باصدار وعد بلفور مقررة انشاء وطن قومى لليهود ٠

ثم ثنت أمريكا ببسط وصايتها وحمايتها على الدولة المقتطلة قائلة : ان اسرائيل خلقت لتبقى !! ٠

---

(١) من محاضرات معهد الامامة « الاستعمار الحديث » للاستاذ عبد الفتاح أبو الفضل بتصرف يسير .

وظـاهر أن اليد التى تضربنا يد صليبية ، وان الآلة التى استعملت فى ضربنا يهودية ٠٠

ومن العبث الكـلام فيما يحـرك اليـــد الآثمـــة من حقد وغضب وخسة وعدوان ٠٠

وانما يجب الكـلام فى الطريقة التى تم بهـا غرس هذه الشوكة فى جانبنا ، والطريقة التى تستبقى بهـا هـذه الشـوكة لتؤدى وظيفتهـــا القذرة ٠

ان المعـارك العسكرية التى ادت الى قيـام اسرائيل هى اتفه ما هياه الاستعمار لبلوغ هدفه ٠٠

اما ما سبق هذه المعارك ولاحقها من تدابير ثقـافية ، واجتمـاعية ، واقتصـــادية ، وسياسية ، فهـو العمـل الحقيقى الذى انتـج قيـــام اسرائيل ٠٠

استطاع الاســتعمار تقسيم العـرب وحـدهم الى نحو عشرين دولة وامارة ٠٠

وجعل لكل شلو من اشلاء المنطقة المحروبة قوميـة خاصة وعلمـا ملونا !! ٠٠

ولقـد سئل وزير مصرى من أربعين سنة ماذا صنع لفلسطين ؟ فقال : انه مسئول عن مصر لا غير ٠

اى لا عروبة ولا اسلام !!

فهل يريد الاستعمار تمهيدا افضل من ذلك ؟ ٠

فلما أمكن توحيـد العرب وتجميع شملهم كان الاستعمار قد سرق الايمان من قلوبهم وصفوفهم ، فاذا هم يجتمعون دون عقيدة وغاية ٠

فلا جرم أن تهزمهم أية جماعة يلمها ايمان حار !!

وتجمع الأصفار لا ينتج عددا ، ولا يجلب مددا ٠٠

ان الدين من وراء اليـد الضـاربة والآلة المستخدمة ، فكيف يفقـده المدافعون عن انفسهم وكيانهم ؟ ٠

يقـول الدكتور « وايزمان » فى مذكراته : « ينسـبون الى فضـل الحصول على تصريح « بلفور » ولكن الحقيقة ان السبب الرئيسى لفوز اليهود بتاييـد بريطـانيا لهم والموافقة على انشـاء وطن قومى فى فلسـطين بجمع شتاتهم هو ايمان الانجليز بالعهد القديم وتاثرهـم بتعـاليمه ، وأن

رجالا من أمثال بلفور وتشرشل ولويد جورج كانوا متدينين من أعماق قلوبهم ومؤمنين بما ورد في هذا الكتاب .

وقد نظروا الينا معشر اليهود على أننا نمثل فكرة يعتقدونها اعتقادا تاما »(١) .

هذا هو تدين الساسة الذين حاربونا وهو نموذج لتدين ترومان وجونسون وغيرهما ..

فهل آمن الساسة العرب بمقدساتهم الاسلامية ايمان هؤلاء بمقدساتهم اليهودية والنصرانية ؟؟

كلا .. كلا ، بل اكثر هؤلاء ما قرأ القرآن ، ولا اطلع على السنة ، ولا درس تاريخ سلفه الأول ..

ان الغرض من انشاء اسرائيل ، كما رأيت قتل دين ، وتمزيق أتباع ! واذا لم يعبىء العرب قواعم المادية والأدبية على هذا الوعى فلن يزدادوا من النصر الا بعدا ..

* * *

---

(١) قارن بين تواضع هذا الداهية من بناة اسرائيل بالعلم والتضحيه . وبين كبرياء الزعماء العرب الذين تصدروا بلا موهبة ولا معرفة ، ولا حماس لدين .

حـــديث ذو شـــجون ٠٠

افـــدت كثيرا من الأيام التى قضيتها فى السودان ، وشكرت لجـامعة أم درمان الاسلامية فرص اللقاء التى يسرتها لى مع طلاب المعرفة فى العاصمة والأقاليم ٠

ان السودان ينمو بقوة ، وملامحه الاسلامية تتضح وتكتمل ، واعتقادى أنه كفء لملء الفراغ الدينى وسط القـارة التى استيقظت من رقـــادها ، وان كان ذلك يحتاج الى جهود ضخمة ، فان حدود الســـودان المترامية تصله بثمانى دول ، بعضها يعـد من خمسين سنة ليكون مركز الاســتعمار التبشيرى ، ومصدر الازعاج والتعويق لكل حركات التحرر فى القارة !!

ولذلك فانى بقـدر ما سررت لطـلائع النهضة الاسلامية التى وجدتها أحسست بوادر قلق(١) لما قد يتمخض عنه المستقبل ٠

ان الجبهـات المعـادية للاسلام شديدة الخبث محذورة الشر ، ولا بد من التيقظ لهـا حتى لا نلدغ ونحن غارون مسترسلون ٠

والسودانيون عرب أصلاء ، بل هم أوغل فى العروبة وأدنى الى ملامحها وشمائلها من مجتمعـات عربية أخرى فى افريقيا وآسيا ٠٠

وقد تسألنى : لمـاذا أصدر هذا الحكم الغريب ؟

والجواب : أسلوب المعاملة بين الحاكم والمحكوم ٠٠

رأيت شابا ينـادى أحـد الوزراء باسمه المجرد ، وغلبتنى الدهشــة أول الأمر ، ولكنى كتمت ما بى حتى أعرف ما سوف يتم ، وتلفت الوزير عنـدما سمع اســمه ، دون أن يبـدو عليــه شىء ، وجرى حوار سريع فى الموضوع الذى نودى من أجله ٠٠ ثم ذهب كل الى حال سبيله ٠٠

ونظرت الى صـديق لى نظـرة تنطـوى على الدهشــه ، فقـال لى مبتسما :

هنـا يستطيع أى مواطن أن يقـول للسيد اسماعيل الأزهرى رئيس مجلس السيادة : أزهرى ! ماذا فعلت فى موضوع كذا ؟

وسيجيبه الرئيس بمـا عنـده دون نكر أو هجر !!

لقـد زرت بلادا عربية كثيرة ، ومنذ شهرين اثنين كنت فى الكويت ،

---

(١) نشرت هذا المقال بمجلة لواء الاسلام ، قبل وقوع الثورة العسكرية ببضعة شهور ، كان الاتجاه العام الرسمى والشعبى الى اقامة دستور اسلامى ، ونرجو أن يظل هذا الاتجـاه قائما .

وهنــاك يستطيع رجل الشــارع أن ينادى صاحب أكبر منصب دولة بقوله . أبا فلان ..

ويجيب أبو فلان هذا - سواء أكان وزيرا اكبر أو أصغر - يجيب داعيه بمودة وبشر ..

ان بقــايا الاسلام لا تزال لاصقة بأفئدتهم ..

أما في مصر فقــد ألغيت الألقــاب على الورق فقط ، والويل لمن ينادى كاتبا أو اداريا باسمه أو كنيته .

ان حاجته لن تقضى ، وما أحسبه ينصرف سالمــا ..

اننــا ألغينا الألقــاب لنعيــد الصحة النفسية الى جماعات أكلها الذل والتفــاوت ، لكن العلل التى يتأذى منهــا الأحرار لا تزال دونهــا قــلاع وأسوار !

والتقيت بأحد الدعاة العائدين من جنوب السودان ، وبادرته بالسؤال: كيف الحــال هنالك ؟ فقــال : فى طريق الاستقرار وان كان مشعلو الفتنة لم يزولوا ..

واستوضحته الخبر ، فعرفت أن جماعات المبشرين - وهم يعملون وفق سياسة مرسومة - وضــعت بذور شر مستطير فى هــذه البقــاع .

ان الانجليز فى أثنــاء حكمهم عزلوا الجنــوب عن الشمال عزلا تاما ، ومكنوا الكنائس الغربية أن تتولى كل شىء فى المجالين الثقافى والاجتماعى .

فلما استرد السودان حريته وجــد نفسه أمام شعور طافح بالبغضاء من الجماعات التى صنعها أولئك المبشرون .

ولكن ما جبل عليه المسلمون من احترام للحريات الدينية جعلهم يلقون الأمر الواقع بشىء من الرضا ، ووضعوا خطتهم على أساس تعاون شتى الأديان فى مجتمع تذوب فيه الفوارق المفتعلة ..

غير أن المبشرين رفضوا هــذه الخطة ، واعلنوا الحرب عليهــا وعلى منفذيهــا ، وفجروا ثورة جائرة ، وقتلوا عدة آلاف من المسلمين بينهم جمهور من النساء والأطفــال ..

قلت : وماذا يبغون ؟ قال : ان عدد المسيحيين هناك ربما بلغ ثلاثمائة ألف من جملة السكان وهم نحــو ثلاثة ملايين يتبعــون عقــائد بدائيــة وثنية .

ويظهر أن المشرفين على التبشير يخشون ان يتحــول الوثنيون الى

الاسلام عندما يتيسر الاختلاط بين المسلمين والجنوبيين ، ومن هنا يصبح المتنصرون قلة ، ويفقدون الحديث باسم الجنوب كله ·

ومنعا لهذه النتيجة اعلنوا التمرد وكان رجال التبشير يلقنونهم أن الاسلام دين التفرقة العنصرية ، وأنه هو الذى خطف آباءهم وباعهم فى أسواق النخاسة ، وأنه سيوقع بهم فى الغد ما وقع لآبائهم فى الماضى ··

على أن العصابات المتمردة قضى عليها ، وأمكن منع الأمداد التى تجيئها من وراء الحدود وأمكن اشعار هؤلاء المخدوعين أن المسلمين لا ياكلون لحوم البشر كما كانوا يسمعون فى عظات الآحاد من المرسلين الأوروبيين ··

قلت ، وأنا أهمس الى نفسى : الله المسئول أن يجنب السودان مؤامرات الاستعمار الحديث ··

ان هذه المؤامرات أغرقت نيجيريا فى برك الدم ، وقد قضت على زعامات اسلامية فارعة ، ولا تزال جراحات التدخل الأجنبى تسيل ، وهى مصممة على ضرب الاسلام فى صميمه ، والله وحده يعلم كيف ستستقر الأمور هناك ··

والتقيت فى أم درمان برجين من زعماء المسلمين فى « ماليزيا » وهششت لمرآهما وقلت : أتعرف على أحوال اخواننا فى الشرق الأقصى ، فان الشقة بيننا وبينهم بعيدة ·

وكان الرجلان قد اطلعا على بعض ما أكتب فكان حرصهما على شرح الأمور لى بعض ما يطوفان البلاد الاسلامية من أجله ·

واستمعت اليهما وكان الأسى ينشر ضبابه فى أقطار نفسى رويدا رويدا ، فلما أتما حديثهما خيم الصمت على مجلسنا وسرحنا مع خيالات قابضة ··

كنت أعلم أن المسلمين فى الملايو كثرة فاذا هم اليوم قلة تبلغ ٤٥٪ من جملة السكان فكيف حدث هذا ؟

يرجع ذلك الى أمرين مهمين :

الأول أن الصينين يهاجرون الى البلاد فى أعداد كبيرة ، ويكسبون الجنسية الملاوية بسرعة ·

والآخر أن التناسل بين الصينيين يزداد دون عوائق ، والأسرة الصينية العادية تتكون فى المتوسط من خمسة عشر شخصا ·

وليس غريبا فى البيئة الصينية ان يتبع الأم عشرون(١) ولدا لها !!!

والكثرة تفرض وجودها المادى والأدبى طوعا أو كرها ..

والمسلمون شرعوا ينكمشون من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية فان التجارة تكاد تكون حكرا على الصينيين ، وقد استطاع هؤلاء وفق نظام ربوى رهيب ان يشددوا الخناق على الفلاحين المسلمين ، وأن يستولوا على نتاج الأرض بالثمن البخس .

وقلت للمحدثى : لكن رئيس حكومتكم مسلم ، وأظن أنه دعا الى مؤتمر اسلامى عالمى يعقد خلال هذه الأيام .

فقال لى فى لهجة مشوبة بالمرارة : ان حكومتنا تنفذ السياسة الانجليزية بدقة ، وهى شديدة الالتزام لخطتها ووجهتها .

ولعلك تعلم أن الحكومات الأوروبية متفقة على معاداة الاسلام .

غير أن للانجليز أسلوبا خاصا فى قتل هذا الدين يحقق غرضهم دون ضجة .. انهم يقطعون شريانا حيويا له ثم يدعونه ينزف فى صمت ويموت على مهل .

أو هم يرسلون عليه غازا مميتا كالغاز الذى يصيب المغتسل داخل الحمام . فاذا هو يدخل فى غيبوبة مخدرة لذيذة الى أن يقضى نحبه ، كذلك يفعل الانجليز مع الاسلام ، انهم يقتلونه بين أيدى أهله ، وأهله مسحورون ، وقد يبتسمون وهم يموتون !!

أما قصة المؤتمر الاسلامى الذى تتحدث عنه ، فهى لا تعدو قصة تمثيلية متقنة الاخراج سائرة مع الهدف المرسوم لا تنحرف عنه قليلا ولا كثيرا .

ما قيمة مؤتمر لا يناقش قضايا الموت والحياة لأمتنا الكبرى ، ويشغل نفسه برؤية الهلال واختلاف المطالع ، كان هذه المسالة قضية المصير ، مع أن أركان الايمان وبقاء أمته فى مهب الرياح .

اننا فى ماليزيا نرى هذه المؤتمرات دعاية انتخابية يحسنها الحكام المنتسبون الى الاسلام الخارجون على أحكامه (٢) .

وطويت هذا الحديث الملىء بالقصص فقد كان على ان أسافر الى « الأبيض » لألقى بعض المحاضرات فى هذه المدينة الكبيرة .

---

(١) تامل على ضوء هذا اثر الدعوة الى تحديد النسل .

(٢) نشر هذا المقال قبل انعقاد المؤتمر بالفعل ، ولعل ما بذل — بعد — فى توجيهه كان محاولة لنفع المسلمين به ..

واكتشفت وانا استمع الى الأسئلة المعروضة على ان هناك حزبا قد تألف فى العاصمة وامتدت له بعض الفروع فى الأقاليم يدعو الى ترك السنة والاكتفاء بالقرآن الكريم ..

فقلت للجمهور : هل وصلتكم انتم الآخرين هذه الدعوة ؟ انها انتشرت بيننا حينا ثم تلاشت ، وكنت أحسب صاحبها مجنونا ، ولكنى وجدت هذا النشاط المريب قد امتد الى الهند شرقا ، والى تونس غربا ، وأن كتبا عديدة تحمل جراثيمه ، فعلمت أن مؤتمرات التبشير والاستشراق المتخصصة فى افساد الفكر الاسلامى مستخفية وراء هؤلاء الأشخاص المخدوعين أو الخداعين ..

واذا كانت هذه المحاولات السمجة تموت فى أماكنها لتفاهة موضوعها، وانصراف الكافة عنها ، فان تكرار ظهورها هنا وهناك يدل على ان أعداء الاسلام لا تنتهى لهم لجاجه . .

وأنهم ما يزالون يجدون مطايا لهم فى كل بلد ، فاحذروا أيها الاخوة تلك المطية الجديدة التى ظهرت فى بلدكم .. !!

واستوقفنى مبنى شامخ ، مديد على الأرض ، ذاهب فى الأفق ، يتوسط المدينة الكبيرة ، ويرى من أغلب شوارعها .

فتساءلت : ما هذا المبنى ؟

فقيل لى : الكنيسة التى شادها المسيحيون أخيرا !!

فقلت فى نفسى : تلك سياستهم فى ربوع العالم الاسلامى كله ، يبنون المعابد ، لا لأداء الشعائر الدينية فقط ، بل لاظهار المسيحية وكأنها الدين الغالب الذى يضع طابعه على الأرض فى رسوخ واعتداد بالنفس دون أى اكتراث بمشاعر الكثرة الموجودة التى تعتنق دينا آخر .

ثم خاطبت رفيقى : انها لا شك تتسع لجمهور كثيف من المصلين ! .. كم نسبة المسيحيين هنا فى السكان ؟

فقال يبلغون ٢٪ !!

فقلت : حسنا ، لقد بنيت كما لو كان السكان ٤٠٪ لعل فى ذلك ما يخرس بعثات التبشير التى تتهم المسلمين بالتعصب .

لكل ، هل يسكتون ؟

لا أتوقع ، فان ضعف المسلمين المزرى سيسمح للألسنة الكذوب أن تفترى عشرات التهم ، أولها الحيف على الآخرين !!

ولن يجد ضعيف نصفة فى عالم يسوده منطق الغاب ونهم الذئاب .

***

تزوير التــاريخ

للاستعمار الحديث براعة منكرة فى تزوير التاريخ ، واخفاء بعض معالمه ، وابراز البعض الآخر ، بعـد تشويه المفـاهيم ، وتحريف الكلم عن مواضعه ··

وغرضه من هذا هو خداع الأجيــال الناشئة عن أصلها ، ولى زمامها عن وجهتهــا العتيــدة ··

وكما ينقــل مجرى النهر لتنسكب مياهه فى مصب آخر ، أو لتذهب بددا فى أرض عمياء ، ينقل مجرى التاريخ ، وتحور أحداثه وأحكامه حتى يصبح لهــا معنى بدل معنى ، وتوجيه غير توجيه ··

وقــد تضافر المستعمرون على تمزيق التاريخ الاسلامى وتحريفه خلال القرنين الأخيرين ليكون فى سياقه الجديد المختلق عونا على الغزو الثقــافى الواسع المنظم ، وليمكن على ايحــائه المصنوع صب الأمة الاسلامية الكبرى فى القوالب الكثيرة التى اعدت لهــا ·

وهى قوالب شكلت بعناية ودهاء ، كى تتبدد خلالها رسالة القرآن ، وتتلاشى فى طول العــالم وعرضه أمته الواحــدة ··

وقــد ساعد على نجــاح هذه الخطة الى حد ما الضعف الخلقى والعلمى الذى صارت اليه الأمة أيام العثمانيين ·

وأبرز مظــاهر هذا النجــاح وجود جماعات غفيرة تعتقــد أن الدين لم يكن وراء حركات المقاومة للحملات الأجنبية على البلاد ·· !

أى انه ــ خلال القرن المــاضى ــ لم يكن له دور فى مدافعة الاحتلال الفرنسى ثم الاحتلال الانجليزى الطويل ··

كانت المقــاومة نابعة من بواعث أخرى مادية ، أو محلية ، أو عنصرية ، أو أى شىء آخر ·· الا الدين !!

ويتبع ذلك الفهم عزل الدين مستقبلا عن حركات التحرر ، وميادين المقــاومة ··

ومن يدرى ؟ فقــد ينمو هذا الوهم ، ويوغل فى الشرود ليتهم الــدين نفســـه بأنه قيــد على حركات الشــــعوب ، وآمالهــا فى حيـــاة أرقى وأرغــد !!

ولا يطلب الاستعمار الثقــافى اكثر من هذا الضلال ··

ونرى لزاما علينـــا أن نكشف الحقــائق التى يراد طمسها ، وان نقطع هذه السلسلة من الترهات والأباطيل التى راجت بين القاصرين والأغرار ·

عندما احتـل الفرنسيون مصر ، كان الاسلام وحده ، ولا شيء غيره هو الذى اشعل نار المقـاومة المسلحة والمقاومة السلبية ٠

لقـد استماتت المسلمون فى مناضلة الغزاة وتعويق تقـدمهم ، وارخصوا انفسهم واموالهم فى سبيل الله ، ولم يجبنوا امام تفوق الفرنسيين العسكرى ورجحـان كفتهم فى كل شيء ، ولا أمام الخيـانات المفـاجئة من بعض المواطنين ٠٠ !!

وقاد الأزهر حرب الدفاع المقـدس ، فحكم الفرنسيون على عشرات من علمـائه الشبان بالقتـل ، ونفـذ فيهم حكم الاعدام فرادى وجماعات ٠٠!

كما نفـذ حكم الاعدام بطريقـة بشعة قذرة فى سليمان الحلبى قاتل الجنرال كليبر ، ودخل الغزاة بخيلهم ورجلهم صحن الأزهر ٠٠

ولكن الثورة التى اشتعلت فى القـاهرة والأقاليم لم تنطفىء جذوتها ، وظلت جثث القتلى تفـوح روائحها فى القـاهرة وحـدها أكثر من ثـلاثين يوما ٠٠

ويقـدر عدد المسلمين القتلى فى مقـاومة الغزو الفرنسى بنحو نصـف مليون قتيل فى مدن الوجهين القبلى والبحرى والقاهرة ٠٠

ولكن الغريب المخزى أن صور هذه المقاومة الباسلة طويت طيا ، بل محيت محوا من صحائف التاريخ المدروس بين جماهير الطلاب والمثقفين ٠٠!

وسطر فصول المـأساة نفس بارد ميت !!

وقـام جهد مزورى التاريخ على أمرين :

اولهمـا سحب ذيول النسيان على دور الاسلام فى المعركة واغفـال تضحيات المسلمين الجسيمة وخسائرهم الفادحة فى الأرواح والأموال ٠

الأمر الآخر ــ وهو ما يطيش له اللب ــ ابراز الحملـة الفرنسية على أنها خير وبركة لمصر والمصريين !!

فأى زور هذا الزور ؟؟ وأى هوان هذا الهوان ؟؟

***

وقامت الثورة العرابية فى مصر ، وهى من ناحية الوزن التاريخى لثورات المبادىء تشبه الثورة الفرنسية ٠

اذ هى حركة تمرد على مفاسد بعض الملوك ومظالمهم ، وتحرير للشعوب المضطهدة ، ورد لحقوقها المسلوبة ٠

والفارق بين الثورتين ، أن الفرنسيين قاموا بدوافع انسانية مجردة ضد التحالف الجائر بين النظام الملكى ورجال الدين على افتراس الجماهير وانتهاب حقها ..

أما الثورة العرابية فقامت بدوافع اسلامية ضد طغيان ملك مستبد ، وعصبيات جاهلية ، ولذلك قادها علماء الأزهر ، ودعوا لها ، ودافعوا عنها وحوكموا من أجلها .

بل ان أحمد عرابى كان أزهريا يستمد ثقافته العامة وحكمه على الامور من تعليمه الدينى ..

وقد دعم الثورة العرابية الفريقان المتباينان من علماء الأزهر .

رجال الفكر الحر وفى طليعتهم الشيخ محمد عبده ومدرسته .

ورجال التربية والتصوف وفى طليعتهم الشيخ عليش ، والشيخ ابو عليان ، وسائر شيوخ الطرق .

ومعنى هذا أن رجالات الاسلام على اختلاف مشاربهم كانوا ظهيرا للثورة العسكرية الشعبية ضد مظالم الأسرة المالكة ، والافتيات على الأمة ..

وأن الاسلام كان موقد هذه المقاومة العامة ، وباسط أدلتها ، ومضرم مشاعرها .

وانه لم تستورد مبادىء من هنا أو من هناك لتشحن قلوب المصريين الفارغة أو تعلمهم ما يجهلون ..!

وتدخل الانجليز لقتل الثورة فى مهدها ، واستطاعوا بخبثهم الاستعمارى أن يستصدروا فتوى من الخليفة التركى بأن عرابى عاص ، ثائر ، لا تجوز مساندته .

ولكن علماء الأزهر سارعوا فكذبوا الخليفة المضلل ، وأصدروا فتوى بأن عرابى على حق ، وأن العمل معه جهاد ..

وشاءت الأقدار أن تنهزم هذه الثورة ، وأن يحتل الانجليز مصر .. وبدأت مأساة تزوير التاريخ ..

فاهيل التراب على دور الاسلام والأزهر فى كفاح المظالم السياسية والاقتصادية ، وأطبق الصمت على ما فعله رجال عظام – ببواعث دينية خالصة – لاحقاق الحق وابطال الباطل ..

والغرض من هذا التآمر المريب غمر الدين وأهله ، حتى يبدو الاسلام وكأنه مخـدر للشعوب !!

وانها لخسة محقورة منكورة أن يجـرد الشريف من فضائله ، ثـم تطرح عليه معايب الآخرين ٠٠

ولكن ذلك ما وقع ، فقـد محيت الصبغة الدينية عن هذه الثـورة وعرضت فى الكتب المدرسية وغيرها مجردة من طابعها الاسلامى ، كمـا يجـرد الدم من كراته الحمراء والبيضاء ، فماذا يبقى منه ؟؟

لقد أصبحت وكأنها قصة قائد ثار على الحكومة فى شيلى أو كمبوديا !! وكفى ٠٠

***

واشتعلت نيران الثورة ضـد الاحتلال الانجليزى سنة ١٩١٩ وجاء هذا الغليـان المحلى بعـد ان افلح الاستعمار العالمى فى تقطيع الأمة الاسـلامية الكبيرة سبعين قطعة لكل قطعـة منهـا لواء مخطط ، وجنسـية مقررة ، وتاريخ خاص ٠ !!

ولكن المسلمين حيث كانوا ، أبوا أن يفهموا الوطنية على أنها عبادة التراب ، أو يفهموا القومية على أنها التعصب لجنس ٠٠

لقـد واجهوا الأمر الواقع بتغليب منطق الايمـان وروح الأخـوة ، وافهموا مواطنيهم من أتباع الأديان الأخرى أنهم مرعيو الذمام محفوظو العهود والمصالح حتى لا ينخدعوا بالدس الأجنبى ٠

ولم تشذ ثورة سنة ١٩١٩ عن سابقاتها ، فكان الأزهر وفروعه فى الأقاليم حطبهـا الجـزل ، وكان الجهـاد فى سـبيل الله حاديها المسموع ، وكان الأمل فى جنـة الرضـوان عزاء الشـباب الـذى صـارع الغـزاة حتى الموت ٠٠!

ان نداء الدين لم تضعفه المنسيات والملهيات التى صنعها الاستعمار بدهاء وأناة خلال عشرات السنين ٠

ولعل الثورة الجزائرية التى قدمت مليـون ونصف مليون شهيد لاتمام طرد الفرنسيين من البلاد شاهد صدق على هذه الحقيقـة ٠

فبعـد مائة وثلاثين سنة بقيت جذوة الايمان متوقدة تحت التراب ، ما أن وجدت النفس الذى يضرمها ، حتى التهبت نارها ، واندلعت السنتها ، واحترق الاستعمار فى سعيرها ٠٠

بيـد أن محاولات الكيـد للاسلام لم تنته ، وأحسبها لن تنتهى ، ولعل أسوأها الآن ابراز التاريخ السابق واللاحق ، أو القـريب والبعيـد ، فى

صورة مافوكة الملامح مزورة التقاسيم توهم النــاظر انه ليس وراء حركات المقاومة الوطنية دين دافع ولا عقيدة موروثة ‥ !!

وصحافتنا لا غفر الله لها تشيع هذا الكذب(١) ·

ورأيى أن ذلك يحـدث لخـدمة أعداء العرب والاسلام ، فان عزل الدين عن روح المقــاومة ، فى الوقت الذى يمتزج الدين فيه بطلائع الهجوم ليس الا توهينا للمدافعين وتثبيطا لهممهم ، وحرمانا لهم من أمضى أسلحتهم ‥

وليت شعرى لمــاذا يقبــل العــالم تجمعا على أساس اليهوديــة يقوم بالعدوان ، ويرفض تجمعــا على أساس الاسلام يقوم بالدفاع ؟؟

ولمــاذا تشوه الأحداث وتلفق الوقائع لاخفــاء الوجه الاسلامى الشجاع وهو يكــافح بشرف وفداء لحماية نفسه وارضه ؟

ولحساب من يقع ذلك كله ؟

ان المستفيد من هذا المسالك النابى هو الاستعمار والصهيونية ، ونحن وحــدنا الخاسرون !

ويتصل بجحد الدين وانكار أثره اختلاق التهم لأهله ، أو انتهاز خطأ يقع من أحدهم لتحمل أوزاره جماعات المتدينين فى كل مكان ، بل ليحاسب الدين نفسه بهذا الخطأ ويحكم عليه بالابعاد والاعمال !!

منذ أيام كنت أقرأ كلمات لشاعر معروف ، شاعر اشتهر بالغزل فى نعال النسوان وجواربهن وفساتينهن ، وفوجئت وأنا أقرأ بحملة على الدين والخطباء والمنابر فتساءلت : ما هذا السخف ؟ وما سره ؟

لقد كان هذا الشاعر يشدو لجيل الخنافس ، ويلهب الشهوات الهاجعة كى تنطلق لا تلوى على شىء ‥

فهو وأمثاله من أسباب الكارثة التى أصابت العرب أمام اليهود ‥ !

ثم سمعناه يتألم للهزيمة النازلة ، فقلنا لعلها توبة ، وجدير بالمنحرفين ان توقظهم وخزات الهزيمة النكراء التى ألمت بنا ‥

ولقــد صحت ضمائر شتى ، وتذاكرت ضرورة العودة الى الدين ، والانابة الى الله بعد الذى وقع ‥

---

(١) الدكتور « لويس عوض » رئيس القســم الادبى فى جريدة الاهرام ، وجــد غريبه فى هــذا المجال ، آخره الزعم بان كلمة « القاهرة » ليست عربيــة ، بل هى فرعونية !

ولكن سماسرة الاستعمار تحركوا على عجل ليمنعوا التعلق بالاسلام ، ويسدوا الطرق المفتحة اليه ، انهم يريدون تطويل الغيبوبة التى وقعت فيها الأمة ، انهم يريدون تكثير الضباب الذى يحجب الرؤية ، انهم يريدون بقاء الزور الذى استخفت وراءه الحقائق ..

من اجل ذلك يكتب احدهم أن الاسلام لم يصنع ثورة شعبية ، ويكتب ثان ان ضياع الايمان لا مدخل له فى الهزيمة ، ويكتب ثالث ان الدين يكتفى بارسال الدعاء الحار على الأعداء ، ويكتب رابع عن ضرورة اصلاح قوانين الأسرة !! فهى قضية المصير ..

وتتنافس الأقلام العميلة لاتاهة الجماهير ، وتعمية السبل امام السائرين !!

لا اشك فى ان من المتصلين بالدين ناسا لهم اغلاط وسيئات .

وتاديب هؤلاء حق ..

ولو أن الذين يضيقون بهؤلاء المنحرفين يغضبون لله لشاركناهم غضبهم وعذرناهم فى حكمهم ..

لكنى رايت من يتهم علماء الدين بطلب الدنيا ، فلما تاملت فى سيرته، وجدته مجنونا بحب الحياة واصطياد اطايبها ! ووجدته يزدرى علماء الدين كما يزدرى لصوص العمارات لصوص الأحذية ، اى ان لصا ذكيا يسخر من لص غبى !!

ووجدت هذا الذى يندد بانحراف المتدينين اذا رأى مؤمنا شريفا ذكيا نابها ضاق به ، وعمل على هدمه ، واجتهد فى اخفات صوته وازالة أثره .. !!

لم ذلك ؟ ولحساب من ؟

ان الاجابة ليست بعيدة ، ان المقصد هو النيل من الاسلام نفسه ، والحفاوة بما يؤخره والكراهة لما يقدمه ..

ونسال مرة أخرى : من المستفيد من هذه الأحوال ؟

والجواب الفذ الاستعمار والصهيونية فان العودة الى الاسلام مفتاح التغيير للموقف المستغلق فى الشرق العربى كله ..

* * *

نهج الأحرار وراء نبيهم البطل

في السهول المستوية ينداح السيل حتى يبلغ منتهاه ما يعترضه شيء ..

وفي حقول الأرز والقمح تهب الرياح ، فتميل السيقان الغضة كلها ، ما ينتصب منها عود ..

وبين جماهير الدهماء ، ينتشر التقليد الخاطيء أو العرف السيء فما يرده ذكاء .

أو تمتد رهبة السلطان المستبد وسطوة الملك الطائش فما يقمعها تمرد ..

ولكن هناك رجالا من معادن فريدة ، تشذ عن هذا العموم المبين !

فهم الجبال التي تقف مد السيل ، والأشجار التي لا تنثني مع هبوب العاصفة ..

وهم الصاحون بين السكارى ، فاذا شاع خطأ تعرضوا هم له بالنقد ، واذا ألف الناس مسلكا لم يعجبهم تصرفوا هم منفردين على طريقة المعرى حين قال :

تثاءب عمرو اذ تثاءب خالد بعدوى فما أعدتني الثؤباء

واذا ركع الناس بين يدى ملك ظالم ، أو استكانوا لأوضاع مزرية ، لمحت في أبصارهم بريق الأنفة ، وفي سيرتهم شرف الحرية ، فما يستريحون حتى تنجو البلاد والعباد من آثار الفساد ، وقيود العبودية .

أولئك هم الثوار الذين يعتز بهم الايمان ، وتستقيم بهم الحياة .

واذا كان الله جل شأنه قد صان العمران البشرى بالجبال ، وقال في كتابه : « **وجعلنا في الأرض رواسي ان تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون** » (١) فقد اقتضت حكمته العليا أن تصون المجتمع الانساني بهذا النفر من حراس الحقائق الرفيعة وحماة المعالم الفاضلة ..!

فهم الدواء الخالد لكل ما يفشو في الدنيا من علل ، وهم الأمل الباقي لبقاء الخير في الأرض ، وان ترادفت النوب واكفهرت الآفاق .

ربما كان عشق الحق خليقة فيهم فطرهم الله عليها كما قال سبحانه « **وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون** »(٢) .

---

(١) الانبياء : ٣١ .

(٢) الاعراف : ١٨١ .

ولعشق الحق أعباء مرهقة ، أولهـا الصبر على تثبيط الخاذلين ، وكيد المعوقين والمخالفين بيـد أن طبيعة الثورة على الباطل لا تكترث لشيء من هذا وفى الحـديث الصحيح : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة ــ أو حتى يأتى أمر الله ــ وهم على ذلك » ٠

وأكثر الناس يعرف الحق معرفة حسنة ، غير أنه لا يأسى لهزيمته ، ولا يأسف لضياعه !

أو لعل احساسا من الضيق يخامره لخذلان الحـق ، الا أن هـذا الاحساس يصطدم بمصالح النفس وضرورات العيش ، ومطالب الأولاد ، فيتراجع المرء رويدا رويدا عن هـذا الشـعور النبيل ، ويؤثر الاستسلام على المقـاومة ، والاستكانة للواقع عن تغييره وانكاره ٠٠ !

وهذا السلوك لا يتفق مع طبيعة الايمان ، ويستحيل أن تتقبله نفس ثائرة لله ، مؤملة فيما عنـده ٠٠

فالغاضب لله ورسوله يذهل فى سورة يقينه عما يحرص عليه الجبناء من حياة ومتـاع ، ولا يرى أمامه الا نصرة الحق ورفـع لوائه وليـكن ما يكون ٠٠

عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن عبد حتى أكون احب اليه من ولده ووالداه والناس أجمعين » ٠

على أن من العبث انتظـار التفـانى فى الحق من عبيـد أهوائهم ، وصرعى نزواتهم ، ان الأمر يحتاج الى تربية وتبصرة حتى يكون مذاق الايمان أحلى فى فم الانسان من كل لذة عاجلة ٠

عندما يشعر امرؤ بالسعادة لانه واسى محروما ، أو نصر ضعيفا ، أو آمن قلقـا ، أو آوى هائمـا ، أو أحصن عرضا ، أو حقن دما ، فهو انسان كبير ٠٠

ومثله أهل لأن يفتـدى عناصر الايمان بالنفس والنفيس ٠!

والثائرون ضد الظلم والناقمون من أعوانه رجال من ذلك المعـدن الصلب ، واندفاعهم لتقليم الأظافر الشرسة ضرب من الاصلاح العام للحياة والأحياء « **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض** »(١) ٠

حيث يكون العسف والخسف ، لا بد أن يكون الاسلام دينا ثائرا يطلب النصفة والرحمة ٠

---

(١) البقرة : ٢٥١ .

وحيث يكون الاستعلاء والاستعباد ، لا بد أن يكون المسلمون ثوارا ينشدون العزة والكرامة .

وقد تكون عقبى الجهاد موتا فى غربة ، أو قتلا فى معركة ، والثائرون ضد الباطل أدنى الناس الى البلاء والعطب ..

وماذا فى هذا ؟ ان ما يحذره غيرهم هو الذى ينشدون لأنفسهم !

وتلك طبيعة الثائرين ، اما أن يحيوا كما يريدون . أو يموتوا كما يريدون ..

انهم عزيمة تؤثر فى الحياة سلبا وايجابا ، وليسوا عربات تشد الى جياد الآخرين ..

ويعجبنى قول الطرماح بن حكيم ، وهو يسعى الى الغنى حتى لايحتاج الى فسقة الأمراء فى عهده ، أو الى عداة الخلفاء — كما سماهم :

وانى لمقتاد جوادى وقاذف
به ، وبنفسى ، العام احدى المقاذف !
لأكسب مالا ، أو أؤول الى غنى
من الله ، يكفينى عداة الخلائف

ثم اسمع الى هذا الثائر الضارب فى مناكب الأرض طلبا للعزة يقول :

فيارب ان حانت وفاتى فلا تكن
على شرجع يعلى بخضر المطارف (١)
ولكن قبرى بطن نسر ، مقيله
بجو السماء ، فى نسور عواكف !!
وأمسى شهيدا ثاويا فى عصابة
يصابون فى فج من الأرض خائف !!

والمسلمون اليوم لن ينجحوا فى حرب الاستعمار الا اذا استهتروا بالموت واحبوه فى ذات الله .

ان أولئك الرجال الكبار هم أصحاب اليد الطولى فى صوغ التاريخ ، وتوجيه احداثه .

والأفراد النابهون لا الجماهير الكثيفة هم صناع الحياة وقادة الفكر والخلق !!

---

(١) اى على نعش ملفوف بالاقمشة المطرزة .

فكم من امة ظلت تغط فى سباتها دهـرا حتى جاء من ايقظها فسارت ••

وكم من امة شردت عن الصراط المستقيم حتى رزقت من هـداها فرشـدت ••

على ان اولئك المتفردين العباقرة انواع !

فمنهم من رمق القافلة التائهة وابى أن يندفع معها فى وجهتها ، واكتفى بان ينفض يديه من امرها ، والا يشاركها فى مسيرها ، وكان أبا العلاء المعرى يصور نفسية هؤلاء عندما قال :

خـــذى رأيى ، وحســـبك ذاك منى
علـــى مــا فى مــن عـــوج وأمــت

ومــاذا يبتغى الجلســـــاء عنـــدى ؟
أرادوا منطقــى وأردت صـــــمتى ؟

ويوجـــــد بيننـــــا أمــد قصى
فامـــوا ســـمتهم وأممت ســـمتى

والواقع ان اعتزال المجتمع المـاجن الفاجر جهد غير قليل •

ترى هل هذا هو التغيير بالقلب الذى عده الحديث الشريف أضعف الايمان ؟ ربما ، ولكنى الحظ أن هذا الموقف قد يكلف صاحبه تضحيـات فادحة ، فان المغاضـبين لله قـد يطلبون الأعوان على ســيرتهم بالرغبـــة او الرهبـــة •

وربما قالوا : من ليس منا فهو علينا !!

وهنا تقع محن شداد ، فان الامام الأعظم أبا حنيفة كان مزورا عن حكام عصره ، مكتفيا بتفقيه الجماهير فى دين الله ، ولكن هؤلاء رأوا ضمه الى صفوفهم كرها بأن عينوه قاضيا للقضاة ، ومات الامام فى الســجن وهـو يرفض المنصب المعروض !!

* * *

وهناك رجال من طراز آخر ، لا يدعون المنكر يمر سالمـا ابدا ، ويأبون الا كشف زيفه وهدم صنمه ، ومقاومة الجماهير العاكفة عليه ••

واذا كنا فى مجالس المناظرة ، أو عند تحبير المقالات ، نظن اعتراض التقاليد المستقرة أمرا سهلا ، فان ذلك عند المعاناة العملية امـر شـديد الوعورة مقلق الأخطار ••

ان للوثنية عبادا ياكلون من يخدمها ..

وانظر شدة غضب هؤلاء على من يعترض طريقهم فى قوله تعالى : « **وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون** »(١) .

وانظر شدة تمسكهم بباطلهم واصرارهم على ملازمته ابدا فى قوله تعالى : « **واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا أهذا الذى بعث الله رسولا . ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها** »(٢) !!

فى وجه هذا التعصب الهائل ، وفى وجه القوى الخفية ، والجلية التى تؤازره ، يعمل المصلحون لتغيير أوضاع وتبديل أحوال ، ويتعرضون لنكد الحياة وسوء المنظر فى الأهل والمال !!

وعندى أن العبادة المنقطعة فى الصوامع ضرب من البطالة ، أو هى على احسان الظن والتعبير ضرب من المتع المعنوية ، واللذات الروحية ، يوفر لأصحابه الجو النفسى السعيد وحسب .. !!

لكن هل يتغير وجه الحياة الدميم بهذه العبادة الخالصة ؟

هل تنكمش سطوة الباطل بهذه الرهبانية المستوحشة من الخلق المنقبضة عن الدنيا ؟ كلا ..

ان الصلاح تزكية النفس ، والاصلاح تزكية المجتمع .

والمسلم الحقيقى هو الذى يتعهد نفسه بالتقوى ويقبل فى الوقت نفسه على المجتمع ليؤازر الحق ويعوق الباطل ، ويحب فى الله ويبغض فى الله ، ويكثر سواد المؤمنين ويوهن كيد الكافرين .

ان الحياد فى كل معركة بين الخسة والشرف ليس موقفا مقبولا ، وأصحاب هذا الموقف هم الى الكفر أقرب منهم الى الايمان .. !!

ان ابراهيم الخليل لما رفض الوثنية لم يسترح حتى هدم الأصنام ، وكذلك فعل خاتم الأنبياء ، وان كان طريقه أطول وجهده أشق !!

ومن ثم كانت رسالات الله تغييرا حقيقيا للنفس والمجتمع ، وثورة لا تبرد على العوج والفساد والظلم .

كانت محوا واثباتا ، محوا لعرف سىء واثباتا لعرف صالح ، محوا لتشريع ضال واثباتا لتشريع حق ..

---

(١) القلم : ٥١ .

(٢) الفرقان : ٤١ ، ٤٢ .

ان كل هداية لا تتحول من صلاح نفسى الى اصلاح اجتماعى فهى — فى باب الخير — كالجنين الذى سقط قبل استكمال نموه ، فما قدرت له حياة ممتدة ، ولا عرف له تاريخ مشرف ·

وبديهى أن ينهزم الخير السلبى أمام الشر الايجابى ··

ماذا فعل صالحونا — فى قرون الضعف — لما آثروا العبادة فى زواياهم وتركوا لغيرهم أن يكتشف استراليا والدنيا الجديدة وينقل اليها عقائده وتقاليده ؟

ما افاد الدين من سيرتهم شيئا طائلا على حين ظفر بالحيـاة من ظفـر !!

وانى لأنظر الى نعمة الايمان التى تغمرنا فأجدها ثمرة قوم وثبـوا بالايمان من أرض الى ارض ، ووضعوا طابعهم بقوة على المجتمع ، فسرت صبغتهم من جيل الى جيل ··

على رجال الحق لا أن يثبتوا عليه فقط بل أن يصعدوه من أفق الى أفق وينقلوه من قلب الى قلب ·

فان الباطل المتحرك على ظهر الأرض لن يقفه الا ايمان متحرك ناشط مقدام ·· !

* * *

فى ذكرى الميلاد الشريف أرنو الى صاحب الرسالة العظمى باعظام ودهشة وأتساءل : كيف اسـتطاع اليتيم الفرد اعـداد القوة التى فتكت بالباطل المستكبر واستخلصت من براثنه حقـوقا منهوبة ، وشـعوبا مستباحة ؟

كيف أعاد الى الحق رونقه بعد ما تكدر ، وقيمته بعد ما ابتذلت ؟

انها السيرة المعجبة المعجزة التى اقلقت المبطلين ، وقذفت فى نفوسهم الفزع حتى ليقول هذا الرسـول البطـل : « نصرت بالرعب من مسـيرة شـهر » !!

أين من هذا الأوج ، أمتنا الى استنسر فى أرضها البغاث ، وبالت على آلهتها الثعالب ؟؟

ما ابعد هذه الأمة عن محمد ! واضلها عن طريقه !

* * *

تشق المذاهب المادية طريقها فى الحياة بقوة ، حتى ليظن بعض المتشائمين أن الأديان فى معركة انسحاب ! فان جماهير كثيفة من البشر قطعت صلتها بالسماء ، أو جمدت هذه الصلة فى اطار يجعلها أقرب الى الموت منها الى الحياة ..

ولست مع أولئك المتشائمين فى الفزع من المستقبل ، ولكن الأمور اذا بقيت تسير فى مجراها المشاهد ، فان الظلام المادى سيطبق على كل شىء ، ويزحف على كل أفق .

وسيكون المتدينون أنفسهم — على اختلاف معتقداتهم السماوية — هم السبب فى ضياع الايمان وفشل قضاياه .. !

ان المذاهب المادية تستغل أخطاء خصومها ، وتنفذ الى غايتها من الفجوات الكبيرة فى أفكارهم ومسالكهم .

ولا يرجع شيوع الالحاد والانحراف الى ما فيهما من نفع عاجل ، بل الى ان المتدينين لم يحسنوا حل ما فى الحياة من مشكلات !

وليتهم قنعوا بهذا القصور ، لقد زاد الطين بلة أنهم جعلوا من علاقة بعضهم بالبعض الآخر مشكلات قاسية دامية !

فكيف يفلحون مع هذه النقائض الغريبة ؟

وبين يدى العالم كله الآن مشكلة « اسرائيل » فهى دولة قامت على أساس دينى يستهدف جمع يهود العالم أجمع فى بقعة من الأرض ليست مجهلا من المجاهل ولا قفرا من القفار ، ولكنها بقعة عامرة بأهليها الأصلاء الذين اطمأنوا بها ، واستقروا فيها من دهور ..

ومع ذلك فان الضمير الدينى لدى « الصهيونيين » استباح لنفسه تشريد هؤلاء ، وتدمير حاضرهم ومستقبلهم . ! .

والضمير الدينى لدى « الاستعماريين » من أوروبيين وامريكيين حالف زميله على غيه ، وعاونه على ارتكاب جريمته ، وأمده بالسلاح ليفتك وبالمال ليقوى ويضرى !

فهل هذا التدين الأعوج أهل للحياة والبقاء ؟

أو ليس هذا العوج عذرا للماديين كى يسيئوا الظن بالدين كله ، ويحاولوا اقتلاعه من جذوره ؟

اننى أدين بالاسلام ، وأثق ثقة مطلقة فى وجود الله ، وصلاحية وحيه لهداية الخلق ، وقيادتهم الى الخير والرشد ..

وأرمق الصراع القديم بين شتى الشرائع السماوية ، فأشعر بالأسى والألم وأود لو تاحت فرص فى الحاضر أو المستقبل لتعاون مثمر بين أهل الكتاب كلهم ، ترقى به الانسانية ، وتقف فى وجه المادية العمياء والعدوان الغشوم ٠٠ !

وبديهى أنه لن يقوم هذا التعاون الا بعد استخفاء الأحقاد ، وتلاشى نبات السوء ، وانتهاء الرغبات المجنونة فى القضاء علينا وعلى ديننا ، وانقضاء هذه الجراة المستهجنة على حقوقنا الطبيعية فى الحياة والاستقرار ٠

أما مع اتفاق مجموعة قليلة أو كثيرة من الدول الصغرى والكبرى على اماتة فلسطين واحياء اسرائيل فهيهات أن يكون ذلك دلالة على خير ، أو أمارة على سلام ، فان المشاعر الكامنة وراء هذا الاتفاق لا تخفى علينا ، والضغائن التاريخية المتنفسة خلفه نذير شر مستطير ٠٠

ان انتشار المادية فى الأخلاق والثقافات يرجع ـ كما أومأت ـ الى سلوك المتدينين أكثر مما يرجع الى ترحيب الخاصة والعامة بالكفر والاباحة والتحلل ٠

وان اتباع موسى وعيسى ومحمد يستطيعون كتابة صفحة جديدة مضيئة فى تاريخ العالم ، لكن المداد الذى تكتب به هذه الصفحة لا يجوز أبدا أن يكون من دماء المضطهدين وعبرات اللاجئين !

أو بتعبير أصرح لا يجوز أن يكون من دماء المسلمين !

واذا لم يفهم الآخرون هذه الحقيقة فان الأديان سوف تستهلك نفسها فى صراع داخلى مشئوم ، وسوف ينفتح الطريق واسعا فسيحا أمام منازع الالحاد والرذيلة والكفر بالله واليوم الآخر ٠٠

ذلك ، ويخطىء كثير من الناس عندما يظن الأديان السماوية متباعدة الأصول متنافرة الاتجاه ، فان الله بعث أنبياءه على مر الزمان بدين واحد ٠٠

والحقائق التى اراد تعليمها للناس فى مجالات التربية النفسية والتعارف الاجتماعى متقاربة ان لم تكن متحدة ، والمرسلون على اختلاف أممهم اخوة ٠٠

وهذه القرابة الروحية من حقها أن تجمع لا أن تفرق ، وأن توقظ مشاعر التعاون والتعاطف لا مشاعر القطيعة والخصام ٠

وعند التأمل فى تعاليم الاسلام نجد عشرات الأدلة على صدق ما ذكرنا ٠

قال الله فى كتابه : « **وأعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل** »(١) ٠

والصفح عن المسىء ، ومقابلة الشر بالخير ، والقبيح بالجميل وهى تعاليم ابرز ما تكون فى خطبة عيسى عليه السلام وهو يعظ أتباعه فى الموعظة النبيلة التى جاء فيهــا ٠٠ « ومن لطمك على خدك الأيمن فادر له الأيسر » ٠

ان هذه الروح المتسامية فى سماحتها ، المطهرة من دنس الحقــد هى هى التى جعلت نبى الاسلام يقــول : « امرت أن أصل من قطعنى ، وأن أعطى من حرمنى ، وأن أعفو عمن ظلمنى » ٠

والمفروض أن هذا اللون من السلوك العالى مقصود به تدريب الانسان على فعل الخير ونشدان الكمــال المطلق ايثارا لمــا عند الله من مثوبـة ، واحرازا لرضاه الأعلى دون نظر الى ما يستحقه المعتــدى من قمع ، أو ما تفرضـــه العدالة من قصاص ٠

لكن عندما يستشرى الشر وتضيع الحقوق وتترنح الأفراد والجماعات تحت وطأة الظلم فلا بد من استعمال الشدة ٠٠٠

والمسيحية والاسلام فى ذلك سواء ٠٠

فعيسى صاحب الكلمات الرقيقــة السابقة يقول : « ما جئت لأحمــل سلاما بل سيفا » ٠

والقرآن الكريم يقــول : « **والذين اذا اصابهم البغى هم ينتصرون ٠ وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفــا واصلح فاجره على الله ، انه لا يحب الظالمين ٠ ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل** »(٢) ٠

أى لا حرج على أى مؤمن أن يقــاوم المعتــدى ويكسر شوكته ٠

والأديان الثلاثة توصى بحفظ العرض ، وضبط العلاقات الجنســية فى حدود الأسرة التى توثقت بكلمة الله ٠

والنهى عن الزنا أحد الوصايا العشر التى تواصى بها العهــد القــديم والجــديد ٠

والواقع أن الاسلام فى سبيل صيانة الأعراض والدماء والأموال أحيا الأحكام السماوية التى تناستها الأمم السابقة ، بل انه لام اليهود لأنهم

---

(١) النساء : ٣٦ .   (٢) الشورى : ٣٩ — ٤١ .

فالقرآن الكريم يؤكد أن الاسلام الذى جاء على لسان محمد صلى الله عليه وسلم يتفق فى أصوله وغاياته مع ما أوحى الله لأنبيائه الأقدمين ٠

قال تعالى : « **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** »(١)

ومعنى هذه الآية واضح ، فان العقائد الأساسية فى كل الديانات التى بلغها هؤلاء المرسلون واحدة ٠

والديانات الباقية الآن ، والتى يتبعها جمهور كثير من الناس هى اليهودية والمسيحية والاسلام ٠

وأتباع هذه الأديان الثلاثة يحترمون أبا الأنبياء ابراهيم ، ويعتبرونه جذر الشجرة التى تفرعت مع امتداد العصور ، وأنبتت موسى وعيسى ومحمدا ٠

وكان ينبغى أن يتفق الكل على نشر التوحيد ، وتعريف الأمم الجاهلة برب العالمين ولكنهم للأسف لم يتفقوا ٠

والقرآن الكريم فى الآية السابقة يوصى المسلمين بأن يتعاونوا مع غيرهم على نشر هداية السماء « ٠٠ **أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** ٠٠ » ٠

والواقع أنه مما يزرى بالضمير الدينى أن تنشب العداوة بين المتدينين على اختلاف مللهم ، وأن تتسع بينهم هوة الخلاف مع أنه جدير بهم أن يتعاملوا فيما بينهم بالود والعدل والرحمة ٠

والقرآن الكريم يذكر أن محمدا صلى الله عليه وسلم جاء مؤكدا لما قبله لا ناقضا له ، وليس هذا فى أصول الايمان وحدها ، بل فى مكارم الأخلاق ، وفروع العبادات التى لا ينضج التدين ويتم الكمال البشرى الا بها ٠

خذ مثلا هذه المجموعة من التعاليم التى وصى الله بها بنى اسرائيل على ألسنة أنبيائهم الكثيرين ٠٠ « **واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** »(٢) ٠

ان هذه التعاليم كلها هى نفسها التى أمر الاسلام بها ٠

فعبادة الله وحده ، والاحسان الى الوالدين والأقارب ، ورعاية الأيتام واعانة المساكين ، والانة القول لخلق الله كلهم ، آداب لابد للمؤمن منها

---

(١) الشورى : ١٣ .
(٢) البقرة : ٨٣ .

يريدون الخروج على تعـاليم التوراة ، وكان ينبغى ان ينفـذوا حكم الله فى هدوء مهمـا كان هذا الحكم صارما ٠

قال تعالى : « **وكيف يحكمونك وعنـــدهم التوراة فيهـا حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك** »(١) ٠

والقصة وردت فى يهودى اعتـدى على عرض امراة ، وكان لا بد من رجمه حسب احكـام التوراة ٠٠ ولكن اليهود تجاهلوا حكم كتابهم فامر نبى الاسلام باحترامه (٢) ٠

وحديث القرآن الكريم عن التوراة والانجيل يستدعى النظر والتنويه ، فهو يقول عن التوراة « **انا انزلنا التوراة فيهـا هـدى ونور ، يحكم بهـا النبيون الذين أسلموا للذين هادوا ٠٠** »(٣)

ويقول عن الانجيل « **وقفينـا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لمـا بين يديه من التوراة ، وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ٠٠** »(٤) ٠

ثم يقول الله جل شانه عن القرآن الكريم « **وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لمـا بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه** »(٥) ٠

ومعنى الهيمنة المذكورة أن القرآن نزل بعـد التوراة بنحو ثلاثين قرنا ، وهى فترة تطورت فيهـا البشرية تطورا يستدعى بعض التغيير فى الشرائع الفرعية التى تحكم العلاقات وتنظم الطوائف ، وتسير سياسـة الحكم والمـال وفق قواعـد لا تسمح بالفوضى والهوان والبأساء والضراء ٠

وذاك ما وسع الاسلام دائرة الكـلام فيه ، وأتى فيه بجـديد ، لا يناقض أصول الديانات السابقة بل يصون هذه الأصول أو لا يخدشها ٠

وليس من أصالة الرأى أن يطلب من الاسلام الجمود مع تطور الانسانية فان اللباس الذى يصلح لصبى صغير لا يصلح مطلقا لرجل كبير ٠

وعصرنا الحاضر يحتاج الى أن يسير حياته الاجتماعية :

أولا : على الايمان بالله وحده ، وهو ما تواصت به جميع الرسالات

---

(١) المـائدة : ٤٣ .

(٢) اغلب ما يباعد بين المسلمين واهل الكتاب الاولين ان هؤلاء لا يريدون تنفيذ ما جاء به موسى وعيسى على حين يتمسك المسلمون به ..

(٣) المـائدة : ٤٤ .

(٤) المـائدة : ٤٦ .

(٥) المـائدة : ٤٨ .

السماوية قال تعالى : « **وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون** »(١) ٠

ثانيا : على الاخلاص فى اقامة الصلاة وايتاء الزكاة ، وهو ما شرعه الله لكل الأمم على اختلاف الأزمنة قال الله تعـالى : « **وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفـاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة** » (٢) ٠

ومما لا شك فيه أن الصلاة شعيرة مهمة لتصفية النفس الانســانية ووصلها بالسماء ، وأن الزكاة فريضة لدعم التكـافل الاجتماعى واقــرار الأخــوة العامة بين البشر ٠

ثالثا : حراسة الفضيلة واشاعتها ، وكره الرذيلة ومحو جراثيمهــا وهذه هى حقيقة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر التى شاعت فى كل دين ، وكلف بهــا جمهور المؤمنين ٠

وقد خاصم عيسى عليه الســلام اليهود وندد بهم لأنهم ــ كما عبر القرآن « **كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون** »(٣) ٠

رابعا : معاملة البشر كافة بضمير رحيم وخلق فاضل ٠ وقد نــدد القرآن الكريم بأن بعض المتدينين لا يبالى بأساءة من ليسوا على دينــه ، واستباحة حقهم فقــال « **ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ، ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ٠ بلى من أوفى بعهــده واتقى فان الله يحب المتقين** »(٤) ٠

خامسا : اشاعة العدالة والرحمة والسلام فى الأرض ، وهذه تعــاليم شاعت فى الكتب السماوية كلها ، وينبغى أن تنسق جهود المؤمنين لنشرها ودعمهــا قال تعــالى مبينــا السر فى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم : « **وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهــدى ورحمة لقوم يؤمنون** »(٥) وقال : « **ما يقــال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك ، ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم** »(٦) ٠

ومن الحمق الزعم بأن الأديان نسخ متعددة من كتاب واحد ، واننا نبغى بهذا الاستعراض نفى ما بينهــا من فروق أو جمع أتباعها على وحدة فكرية ومذهبية مطلقــة ٠٠

---

(١) الانبياء : ٢٥ .
(٢) البينــة : ٥ .
(٣) المــائدة : ٧٩ .
(٤) آل عمران : ٧٥ ، ٧٦ .
(٥) النحل : ٦٤ .
(٦) فصلت : ٤٣ .

ان ذلك مستحيل بداهة ، ولكننا ننشد ابراز العوامل المشتركة التى تقارب ولا تباعد ، وترجح السلام على الخصام والألفة على الوحشة ، وتفسح مجالا للتعاون على البر والتقوى ؟!

انه مع ضيق الخلق ، وفساد الطوية وتفاهة التفكير — يمكن أن يتقاتل أبناء الدين الواحد ، وتتشعب بهم عشرات السبل فلا يلتقون ابدا ..

ومع سعة الخلق ، وشرف النفس ، وسلامة الرأى ، يمكن أن يتعاون أشياع رسالات مختلفة ، ويقدمون للانسانية خيرا كثيرا ، مع بقاء كل طرف منهم مستمسكا بدينه حريصا على تعاليمه ..

وأحب أن ألفت النظر الى نوع منكور من التلاقى الواقع فى بعض المجتمعات !

هناك تلاق بين أناس ينتسبون بالاسم فقط الى عقائدهم ، فتراهم منحلين عن أديانهم موضوعا وان انتموا اليها شكلا ، وما جمعتهم الا الشهوات والمآرب الدنيا .

هذا التجمع لا يدل على سماحة ، ولا يصح الاستشهاد به على انتهاء التعصب الدينى !!

انه شارة انحلال دينى عام ، وليس شارة تعاون مشكور .

الذى أبغيه أن يوفى كل ذى دين بحقوق دينه ، فلا ينسى ربه ولا لقاءه ولا الرحمة بعباده ، وينظر الى مخالفيه نظرة لا حقد فيها ولا تبرم ولا حيف ولا جفاء !! بل نظرة تقوم على البر والعدالة والاحسان ..

وعندى انه مما يعين على ذلك فى الظروف العالمية القائمة أن يجتمع مؤتمر مسكونى مسيحى آخر ، فيعطف على عرب فلسطين فى محنتهم ، ويمحو أثر المؤتمر المسكونى السابق الذى أبدى عاطفة مستغربة نحو اليهود فى فترة يهجمون فيها على بلادنا ويزعمون أنهم أولى بها منا ، ويريدون بناء وطن لهم على أنقاضنا ..

ان ذلك — لو تم — سيكون بداية اغلاق الطريق أمام المادية الزاحفة على كل شىء ، المستهينة بكل قيمة ، المحتقرة لرسالات السماء على سواء .

أما اذا بقى الاستعمار يجرر وراءه أحقاد العصور الخالية ، ويجرىء اليهود على احتلال أرضنا واغتصاب حقنا ، فان النار التى أشعلها ستحرقه قبل غيره ، وسيندم حين لا مكان لندم ..

اننى باسم الاسـلام اعرض سلاما شريفـا فهل يقبل هـذا العرض أم يرفض ؟

واعرف اننـا فى فترة من تاريخنـا لا نحسد عليهـا ٠٠

ولكننا بعون الله سوف نجتازها ، وسوف نحاسب من اعان على قتلنا ، ومن تركنا نحتفظ بحق الحياة ٠٠

اننـا لا نطلب من مؤتمر مسكونى جديد أن يسدى الينـا يدا ، بل ان يكف عنا الأذى ، ويمنع عدوان اتباع حاقدين ٠٠

اما الايعاز الى بعض الطوائف الجاحدة أن تعرقل الكفاح العربى وان تضرب المكافحة الفلسطينية فتلك قبيحة ينمو مع الزمن عارها ولن تنسى لأصحابها ٠٠

فهل نجـد سميعـا لهذا النداء ؟؟

* * *

التبشير الأمريكي يضغط على أندونيسيا

كان تصورى لمستقبل العـلاقة بين الاسلام والمسيحية واضحا ، قريبا ، ميسور القبول والتنفيذ ، يخضع لقـاعدة عادلة محترمة : أن نتعاون على ما اتفقنـا عليه ، ويعـذر بعضنا بعضا فيما اختلفنـا فيه ٠

ولم أتصيد هذه القـاعدة من أفق بعيـد ٠

فان الاسـلام الذى آثرته وأحببته ، يقبـل قيـام الزوجية بين رجل مسلم وامرأة من أهل الكتـاب ، يرعاها ، ويحنو عليها ، وتنشأ بينهمـا عواطف الود والرحمة ، مع بقـاء كل منهما على دينه !

فكيف بعـد ذلك تضيق أرض الله الواسعة بتجـاور دينين ، وائتلاف فريقين ؟

لكن هـذه المشـاعر التى نبعت من سماحة الاسلام لم تلق التجاوب المرتقب !

فان الطرف الآخر ـ خصوصا الأوروبيين والأمريكيين ـ كان سوداوى المزاج ، جياش الأحقاد ، لا يكن للاسلام وأتباعه قبولا ولا سلاما ٠٠ !
وعندما واتته القوة ليغزو أراضى المستضعفين وضع السيف موضع الندى ، ولم تواته فرصة للاجهاز على الأمة الجريح الا اهتبلها ٠ !

وتاريخ الاستعمار الغربى يقطر بالدم الحرام ، ويؤلف صفحات متخمة بالفساد والفوضى ٠

وقد أحس كثير من العقلاء أن هذا الاستعمار استغل المسيحية أسوأ استغلال ، وأنه فى سبيل نزواته الجائرة لم يتق الله ، ولم يرع حتى بقايا الوحى التى ينتمى اليهـا ٠٠

وقد ظهر ذلك فى العلاقات الداخلية بين المسيحيين الغربيين أنفسهم ، فان الكاثوليك افترسوا البروتستانت حيثما كانوا ، وسجلت الحـروب الدينية مآسى تقشعر منهـا الجلود ٠
كما بدا أن التفرقة العنصرية تفرض نفسها باسم الدين ، وتقسم أبناء آدم قسمة فاجرة تجعل الضعة قرين احدهما أبدا ، وان تساوى مع أخيه فى الوطن والدين !

فاذا كان ذلك مسلك القوم بازاء بعض منهم فماذا يتوقع من مسلكهم بازائنـا ؟

هل نتوقع الا العداوة الضارية والخصومة القاسية ؟

اقول ذلك ما انتهيت من مطـــالعة نداء حزين وجهــه مســـلمو أندونيسيا الى اخوانهم فى أرجــاء العـــالم كله ٠ ٠

انهم يشــكون من تحــالف تم بين الكنائس الكاثوليكية والكنــائس البروتستانتية يستهدف تنصير المسلمين بالدس والرشوة والختل ٠٠

وهذا التحالف يعتمد على سيل لا ينفد من المــال الأمريكى ، والدعاية الخــادعة ٠

وقــد مهــد لهذا الهجــوم الصليبى الجــديد أن اندونيسيا ظلت اكثر من ثلاثة قرون ترزح تحت وطأة الاستعمار الهولندى المتعصب الجائح ٠

وهو استعمار استنزف مواردها ، وعرق عظمها ، وبث المسبغة فى شرقهــا وغربهــا فاذا جاء الأمريكيون فى أعقــاب هذا النبل ففتحوا الملاجىء للأطفــال ، والمستشفيات للمرضى ، والمدارس لطــلاب العلــم ، واستعانوا بهــذه الوسائل على زلزلة الاســلام ومحو عقــائده فقــد يصلون الى شىء من النجــاح ٠٠

بل لقــد اعلنوا أنهم افلحوا فى تنصير الألوف من أبناء المسلمين (١) !

وكان الاسلام ــ فى استفاقته من الاستعمار الهولندى ــ قد بلى بزحف آخر نكا جراحه ، وزاد ضراءه ، وهو الزحف المــاركسى الذى يستأصــل الايمــان كله ٠

وقاوم المسلمون المتعبون الضربات التى تنهال عليهم من هنـــا ومن هنــاك ، ولا يزالون يدافعون عن دينهم وكيانهم ويومهم وغدهم ٠٠

ولكن التبشير الأمريكى الغادر ماض فى طريق الهجوم وكانما ظن أن الأمور قــد تمهـــدت له ، وأنه واصــل حتمــا الى القضاء على الاسلام والمسلمين ٠

وهذه الرغبة المجنونة فى الاتيـــان على دين ضخم ، له أتباع يفتــدونه بالنفس والمــال جعلت مسلمى أندونيسيا يتنادون لوقف الخطر الداهم ، وتنبيه المسلمين فى كل مكــان الى مصدره الآثم ٠٠

وعندما درسنا الأحوال فى أندونيسيا ، وتتبعنا مراحل هذا العراك الناشب وجــدنا أن الجنرال « سوهارتو » رئيس الدولة قــد تدخــل فى الموضوع ليقى البلاد شره ٠

---

(١) يشتهر أن الذين اعتنقوا النصرانية بهذه الوسائل بلغ عــدة ملايين ، وان المحنة التى وقع فيها الاندونوسيون اشد مما يوصف !!

و « سوهارتو » رجل مسلم ، يرأس دولة تعداد المسلمين فيها قريب من مائة مليون ·

ولكنه لم يتدخل فى القضية بهـذه الصفة !!

لقـد تدخل مقترحـا عقـد مؤتمر للأديان يحول دون وقوع نكبة قومية عامة !

وأهاب بالجبهـات المشتبكة فى الخـلاف أن تنهى التوتر باصدار بيان أو ميثـاق يرتضيه زعماء الأطراف !

وقال : ان الحكومة مهتمة بخطورة الموقف الناشىء عن رغبة الكاثوليك والبروتستانت فى التوسع على حساب غيرهم ، وأنه يجب على كل فريق ان يتسامح مع الآخر ، وألا يستهدف المتنفون لدين ما ، تحويل اتباع دين آخر اليهم ··

وقـد رفض زعمـاء النصارى بعـد انعقـاد المؤتمر أن يقبلوا التفاهم مع المسلمين ، واعلنوا أنهم لن يكفوا عن التبشير ·

والواقع أن روح التحـدى والاستهانة كانت مسيطرة عليهم ، بـل ان الوئام الذى نشر ظلاله بين المسلمين والمسيحيين فى بعض أقطار اندونيسيا كان يغيظ قادة الهجوم الصليبى الجديد ، وذلك ما يستشفه القارىء من كتبهم الذائعة ·

ففى كتاب « تبشيرنا فى أندونيسيا اليوم » تأليف الدكتور « و · ب سيجابات » تقرأ فى صفحة ٨٥ هذه العبارة « طالمـا تنعمت كنائس جزائر الملوك ونصاراها بروح من الألفـة والأخوة تربط بينهم وبين المسلمين ! لأنهم بالرغم من ذلك يعيشون معيشة محزنة لأن هذا الوئام يشل قواهم ، ويخـدع أنظـارهم ، فلا يؤدون واجبهم التبشيرى تجـاه اخوانهم المسلمين! فنأمل أن تتمكن البروتستانـت فى جزائر الملوك من التغلـب على جميـع المصاعب المرة التى لابد أن يلاقوها فى ميدان التبشير » !

والعبارة ناضحة بنبذ صداقة المسلمين ، ومحاولة فتنتهم عن دينهم ، والتحريض على تحمل كل ما ينشأ عن محـاولة التبشـير من صـعاب ومرارة !!

فكيف ينجح مؤتمر يدخله رجال الكنائس بهذه الروح الشريرة ؟

وقـد حاول السيد محمد ناصر وغيره من زعماء المسلمين أن يكفكفوا من هذه النزعة المتـحدية ، وان يلتقوا مع رجـال الكنائس على طريق الاعتدال والانصـاف ··

واندونيسيا تعانى مشكلات جمة ، فان الحـاكم السابق « سوكارنو » فتح أبوابهـا لجميع التيارات التى تزلزل الاسلام وتفتن اتباعه ·

ومكن للشرق والغرب على سواء من ترويج المبـادىء التى تصرف الأجيـال الناشئة عن دينهـا ، وتغريها بالفرار منه ! ··

فاذا وجـد صلابة من بعض الفئات تولى السيف العلاج ، وامتلأت المنـافى بالمجـاهدين ، والقبور بالشهداء ! ··

وقام سباق هائل بين الشيوعية والصليبية ، ايتهما ترث البلـد المنكوب وتستولى على حاضره ومستقبله ؟

والمسلمون حيـارى بعـد ما نجوا من الاستعمار الهولندى ليقعوا فى استعمار داخلى شر منه وانكى ·

وشاء الله الكبير أن تفشل الشيوعية فى الاستيلاء على مقاليد أندونيسيا وان يستنقذ المسلمون انفسهم منهـا بعـد مذابح ذهب فيهـا مئات الألوف·

وبقيت المسيحية فى ساحة تناثرت فيهـا الأشلاء ، وتشابكت فيهـا برك الدماء ··

بقيت لتصاول الاسلام ، وتحاول النيل منه مستعينة بالجاه الأمريكى والعون الأجنبى ··

ونحن لا نبتئس بهـذا الموقف ، فليس جديدا !

ولا نقلق من نتائجه فقـد جرب القـوم هـذا السلاح معنا فانقلب مفلولا ··

وقـد كنـا نريد أن تسير العلاقة بين الدينين فى نهج أصـــفى وارضى، ولكن غيرنا يصر ويأبى ، فماذا نصنع ؟

ما بد من الصمود لهذا الهجوم وقبـول مرارة الوضع الحاضر ، ذلك الوضع الذى يغرى خصومنا بالضرب وهم آمنون من الثأر ··

ولعل الغـد القريب أو البعيـد يأتى بالفرج المرقوب !

ونتساءل : ماذا كان مصير مؤتمر الأديان الذى اقترح الجنـــرال سوهارتو عقـده ، وانتظر من ورائه سـلاما بين المسيحية والاسـلام فى أندونيسيا ؟

لقـد كتب الحاج « مصفى بشير » رئيس تحرير مجلة القبلة رسالة الى الشيخ احمد حسن البـاقورى مدير جامعة الأزهر ينبئه فيها بمصير

ذلكم المؤتمر ، ويصف بعض ما لاقى المسلمون فيه من تجهم وحيف فيقول :

لقد أحبط النصارى من الكاثوليك والبروتستانت مؤتمر الأديان المنعقد فى ١٩٦٧/١١/٣٠ بجاكرتا لأنهم لم يتقبلوا مشروع الميثاق الذى عرضته الحكومة ولم يريدوا التنازل عن موقفهم المسىء ،وبدا أنهم لا يشعرون الا بحقوقهم الخاصة ، ويرفضون الاعتراف بحقوق غيرهم ٠

والغير هنا هم جمهرة السكان فى أندونيسيا المسلمة !! ٠٠

ويقول رئيس تحرير مجلة القبلة فى معرض الشكوى من مطالب تلك القلة المتحدية كلاما طويلا نجمله فى الحقائق الآتية :

(أ) يرفض الكاثوليك والبروتستانت أن تكون القوانين السائدة مستمدة من الشريعة الاسلامية ولو كان تطبيقها بعيدا عنهم ! وقد اعترضوا على الدكتور محمد ناصر وهو يقرر ضرورة تنفيذ الشريعة الاسلامية بالنسبة الى المسلمين الى جانب الاعتقاد فى اله واحد ٠

(ب) يحاول هؤلاء بناء كنائس فى المناطق الاسلامية الخالصة على أساس أن وضع الطابع المسيحى على الأرض تمهيد لتنصير أهلها مستقبلا ٠٠ وهذا التصرف واضح الاستثارة لمشاعر المسلمين ، وقد اعترضه اخواننا بشدة ٠

(ج) يشن التبشير الأمريكى حملات سفيهة على صاحب الرسالة الاسلامية ولا يفتأ يتناول شخصه الكريم بالاهانة والافتراء والتجريح ٠

والغريب أن المسيحيين لجأوا الى احباط المؤتمر بتقديم طلب غريب، فقد اقترحوا حضور ممثلين للأحزاب والمنظمات الغير الدينية لتشارك فى بحوثه ومقرراته ٠

ولا ندرى كيف يشارك البوذيون والشيوعيون ومن على شاكلتهم من الوثنيين والملاحدة فى مؤتمر لتصفية الخلافات بين المسلمين والنصارى !

وقد أبت الحكومة الأندونيسية الاصغاء الى هذا المقترح لأنه يزيد المسائل تعقدا ، ويضعف الآمال فى الوصول الى حل يقر الأمن فى البلاد ٠

واخيرا قال الجنرال « سيماتوبانج » ـ وهو أمريكى النزعة والوجهة ـ مهما اتفق عليه ممثلو الأطراف فى هذا المؤتمر فلن يكون اتفاقهم مقيدا لمجلس الكنائس الكاثوليكية والبروتستانتية ، ولن يلزمها العمل بمقتضاه لأن كلا منهما له استقلال تام وحرية كاملة ٠

وبهذا التهديد اصبح نقاش المؤتمر لغوا ، وجهده باطلا .!

وكانت الحجة البارزة لقادة التبشير الأمريكى انهم ينفذون أوامر الله وان التبشير جزء من حرية التدين ..

ونحن نقف هنا لنحسم هذه المخادعة الصغيرة ..

اننا نحن المسلمين أول من يقر حرية التدين على ظهر هذه الأرض !

واول من يرحب بالجدل المفتوح ، والحوار المطلق فى قضايا الدين كلها ، اصولا وفروعا .

واول من يكسر القيود ، ويزيح العوائق التى قد يضعها البعض على حرية العقل والضمير ..

بل نحن المسلمين نعد جو الحرية المطلق هو انسب الأجواء لنماء معتقداتنا ، ودخول الناس أفواجا فى ديننا .

ان الاستبداد الفكرى هو العدو الأول لنا ..

والبيئات التى تحرس الخطأ وراء أسوار من التقاليد والكهانة هى التى تستعصى علينا ..

ومن المضحك أن يقول رجال التبشير الغربى أنهم طلاب حرية دينية، وأن يتهموا مسلمى اندونيسيا بالتنكر لهذه الحرية أو الضغط عليها ..

ان وظيفة المبشرين معروفة ، لمسناها فى بلادنا ، وسمعنا أنباءها فى كل بلد نزلوه ..

ولو وصفناها بأنها سرقة العقائد ما عدونا الحقيقة .

لقد جاءت مبشرة أمريكية الى أسيوط ، واستطاعت أن تربى فى ملجئها مئات اللقطاء من أولاد المصريين ، ليشبوا على النصرانية ، فهل هذه هى الحرية المطلوبة ؟

وقامت المدارس الأجنبية بتعليم أبناء الزنوج فى افريقيا حتى نالوا أعلى الشهادات من جامعات الغرب ، ثم عادوا ليحكموا البلاد لحساب الاستعمار .

وفى ظل هذا الحكم ، وقبله ، وضعت عوائق هائلة حتى لا ينتشر التعليم بين المسلمين ، وحتى لا يرتفع مستواهم الثقافى فينصفوا انفسهم وبلادهم .. فهل هذه هى الحرية المطلوبة ؟

وفى البلاد التى يرتفع فيها المستوى الأدبى للمغلوب ، على الغالب !

وللمقهور ، على القاهر ! كارتيريا بالنسبة الى الحبشـــة ، ماذا صنع التبشــير ؟

انه يعتمد على السيف فى اخراس الألسنة ، وتمهيد الأرض بالسلاح لاستقبال دين جديد ، وترك ما تقدس وتعشق من دين ، فهل هذه هى الحرية المطلوبة ٠٠ ؟

ان الحرية التى يتحدث عنها أولئك المبشرون هى خلو المكان من الشرطة حتى يستطيع المعتدون اتمام جرائمهم فى اطمئنان ٠

فلا غرو اذا تنادى مسلمو أندونيسيا بالجهاد المقدس لوقف هذا الاعتداء المبيت على دينهم وبلادهم ٠

أو كما يقول الحاج مصفى بشير فى عبارات حماســية مشكورة : « انه بدافع العزم والحزم لنيل النصر أو الشهادة ، نلبى دعوة الله ، ونتحرك أفواجا بلا انقطاع لاقامة الدين على أساس متين ، مستمسكين بالعروة الوثقى فى اليسر والعسر ، باذلين الأنفس والأموال فى سبيل الله ، صامدين فى ميادين الكفاح الى آخر رمق حتى يحق الحق ويبطل الباطل » ٠

ومرة أخرى أسأل نفسى وغيرى : الا يمكن وضع حد لهذه الخصومات المتفجرة بين الاسلام والنصرانية ؟

لقد أعلنت مرارا عن رغبتنا نحن المسلمين فى ارساء العلاقات بين الدينين على قواعد معقولة ، تحقن الدماء وتفتح صـــفحة جـديدة فى تاريخ العالم ٠٠ !!

***

من خمس عشرة سنة تفضل السيد وزير الأوقاف الشيخ أحمد حسن الباقورى فأنابنى عنــه لحضــور المؤتمر المسيحى(١) الاسلامى المنعقـد فى الاسكندرية ٠

وكانت الفكرة التى تدارسناها وغلبت على نفوسنا أن هذا التلاقى خير للعــالم أجمع اذا ساده الاخلاص وصلحت فيه النيات ٠٠

وانه لكسب جميل كريم ان نحط عن كواهل الناس أحقــادا ظلت أعصارا ، وان تضع الحروب الدينية أوزارها ، ويتعاون المتدينون على انشاء عالم أدنى الى السلام وأبعــد عن الشحناء ٠٠

---

(١) فى كتابنا « كفاح دين » نبأ هذا المؤتمر ، وشىء من التفاصيل المبهمة .

اننـــا معشر المسلمين نؤمن بالوحدانية المطلقة ، واذا كان المسيحيون يجنحون الى التثليث فهم ينتمون به الى التوحيـد — كما يقولون — ٠

أى ينتهون الى أن للعـــالم ربا لا شك فى حياته ومجده ٠

وأن الناس صائرون اليه بعد الموت ومحاسبون أمامه ٠

وأن العباد فى هذه الدنيا يجب أن يتعاملوا على أسـس من الفضـــائل المرعية والحقوق المكفولة ٠

وأن الظلم مرتعه وخيم ، وأن مسالك الرذيلة لا تليق بعبـــاد الله الصالحين ، وأن ٠٠ وأن ٠٠ الخ ٠

اننا مدفوعون ولا أقول مخيرون الى أن نلقى الخير بخير أشمل ، وأن نرد التحية بأحسن منهـــا ٠

والتعاون المقترح بين المسيحيين والمسلمين فى نطـاق الانسانية الرحبة لن يمنع أحـد الفريقين من القيـام بواجباته الدينية الخاصة ٠٠

بهذه العواطف النقية ذهبت وتحدثت ٠٠

وقد استمعت الى الجـانب الآخر فوجدت كلاما لا بأس به ٠

ولكن الصخرة التى اصطدم بها هذا المؤتمر وتحطم عليها ، والتى سوف تصطدم بهـا جميع المؤتمرات المتشابهة وتتفانى عندها هى السياسة الصليبية التى تهيمن على أفئدة الغربيين وعقولهم ٠

فهم يريدون سلاما يخزينـــا ، ويزرى بديننـــا ، ويحط من قدرنا ٠٠!

انهم بطريقة مستهجنة سمجة يريدون تهويد فلسـطين ، وتشريـد أهلهـا ، ولا يشعرون بحيـاء من المصارحة بهذه الجريمة القذرة ٠٠

ثم هم فى افريقيا — حيث يسود الاسلام — يقيمون حكومات ليست صورة حقيقية ولا مقاربة للشعوب المحكومة ، بل حكومات مطلوب منهـا أن تمحو الاسلام وأن تتجاهل الكثرة التى تعتنقه ، وأن تحارب لغتـه وتقاليده وجامعته !!

فاذا اطمأنت الى هذا الشكل من الحكومات ، منحته الاســـتقلال ، وأعلنت الجلاء ، بعد ما ضمنت ذيلا لها فى المنظمات العالمية الكبرى ٠٠ !

وهذه السياسة لا تلتقى مع الآخرين على مثل رفيعة تستمد وجاهتها من طبيعتها الذيرة كلا ، أنها تعتمـد على القـوة ، وما تغرى به القوة من كبرياء وطغيـان وما تخلفه من ضغائن ومظـالم ٠

ولذلك نرى جماهير الافريقيين فى جنــوب القارة ووسطها يفتك بهم المستوطنون البيض ، والضمير الغربى صامت ٠٠

ومعنى هذا اننــا نحن المسلمين لا نتعامل مع مسيحيين يحسنون التدين والتقــوى حتى وفق معتقداتهم نفسها ، بل نتعامل مع ناس قرروا أن يدوسوا مبادئهم ثم جاءوا تحت لواء المسيحية يريدون أن تنخلع على ديننــا ، ونقبل الدنية فى شئوننــا كلهــا ٠٠ !!

فهل يقبــل عاقل الاستسلام لهؤلاء ٠ ؟

اننــا مضطرون لمقاتلتهم بكل سلاح ورد طغواهم بكل وسيلة ٠

وبقــاء الضغائن القديمة يعود وزرها عليهم لا علينــا ٠٠

ولألفت النظر هنا الى امور ذات بال فى الأحداث الأخيرة ٠

ان المذاهب المــادية تطوى الطريق الى غايتها البعيدة بسرعة مذهلة ، واذا كانت العقــائد لم تزل بعــد ، فان ما يرتبط بهــا من عبادات وتقــاليد يتهاوى شيئا فشيئا ٠

ودور العقــائد نفسها سيجىء فى نهــاية المطاف ٠

والغريب ان الدول المسيحية تؤثر أن ينفسح الطريق أمام الشيوعية ولا تسمح للاسلام بحياة !!

وحتى يكون كلامى مقترنا بادلته اذكر هذه الحقائق :

عندما كافح العرب الاستعمار البريطانى جنوبى اليمن ، وفرضــت الظروف على الانجليز أن يرحلوا ، آثر المستعمرون الراحلون ان يســلموا البلاد الى الجبهة القومية ، وهم يعلمون ميولها اليسارية المفرقة ، وابوا ان يسلموها لجبهة التحرير الموالية لمصر ٠

وعشية الرحيل المرسوم شن القوميون الحمر غارة على رجال الجبهة واهليهم وبيوتهم بلغ ضحاياها مئات القتلى فى عدن من الأطفال والنساء والرجال ٠

حتى تعب الناس من تشييع الجنائز واستخراج الجثث الهالكة تحت الأنقــاض ٠

هكذا خرج الانجليز بعدما جعلوا الشيوعية ترثهم لا الاسلام !!

وفى الهند ، عندما استعمرها الانجليز ، نظر الغزاة فوجــدوا تحت

وطاتهم مسلمين وهنادك ، فقرروا دون تردد أن يرجحوا كفة الوثنية على الاســـلام ٠

يقول السيد « سجار حيدر » سفير باكستان فى القاهرة : « ان اضابير التاريخ تشهد باعمال الوحشية والقسوة التى تعرض لها المسلمون على ايدى البريطانيين اذ كانوا يشنقون النـاس بعد محاكمات سريعة ، ويطلقون عليهم النار لأسباب تافهة ، ويسلطون عليهم ضغوطا سياسية واقتصادية مرهقة ٠

وقد استهدفت السياسة البريطانية أن تجعل المسلمين تحت تصرفها المطلق ، فلم يمض وقت طويل حتى ألفى المسلمون أنفسهم مجردين لا من السلطة والقوة وحسب ، بل مجردين من ثرواتهم وما ملكت أيديهم ٠٠ !!

ولم تعد اللغة الفارسية لغة رسمية للبلاد ، بل أهمل شأنها ـ لأنها تمثل وعاء الثقافة الاسلامية هناك ـ وأميت العمل بالقانون الجنـائى الاسلامى ، وحرفت الشريعة الاسلامية ، وأنكر على أى مسلم أن يشـارك فى حكم الهند ٠٠ !! » ٠

ووصف الشــاعر محمد اقبال هذه الحـال فقال : « لقـد اعتبر البريطانيون المسلم متسولا » ٠٠

ومضى الانجليز فى هذه الخطة قرنا بعد قرن ، حتى وقر فى نفوس المسلمين الهنود أن الاستعمار البريطانى يترصد للاسلام وأمتـه فى كل مكان ، ويحاول الايقاع بهم حيثما وجدوا ٠

وقد لخص كاتبان هما « ادوارد طومسون » و « ج ٠ ت ٠ جارات » الوضع كما يأتى :

لقد اضافت السياسة الانجليزية خلال السنوات التى سبقت الحرب العالمية الأولى الكثير الى تبرم المسلمين ، فقد التهمت الدول الأوروبية ، الدول المحمدية ، واحدة تلو أخرى ٠

وكان البريطانيون اما مشاركين مشاركة مباشرة كما حدث فى مراكش وفارس ، واما موافقين نفسيا كما حدث فى طرابلس ٠٠

وقـد عـدت حروب البلقـان التى نشبت ١٩١٢ ـ ١٩١٣ جزءا من هجوم عام شنه الأوروبيون على الاسلام ٠٠ الخ » ٠

وظاهر من تاريخ الانجليز فى الهند أنهم خـذلوا الاســلام وناصروا الوثنيــة ٠

أما فى فلسطين حيث نشب النزاع بين الاسلام واليهودية فان دور

انجلترا قد تحدد من غير موازنة ، فقد انحازت بكل ما تملك من دهاء وسلاح الى اليهودية ضد الاسلام والعرب ..

وانجلترا مثل صادق لسائر دول الغرب الصليبى ، فان هذه الدول على استعداد مطلق لمحاربة الاسلام ومساندة أى خصم له ..

والعجيب أن المسلمين اذا تفطنوا لهذه الحقيقة واخذوا لها حذرهم ، قيل عنهم بوقاحة : انهم متعصبون .

ولا يحسبن القارىء أن هذا اللدد فى الخصام استجد فى العصور المتأخرة لظروف طارئة ، ان العصور الوسيطة امتلأت بآثار هذا التعصب العنيف .

ومن المؤرخين من يرجع هجوم التتار على العالم الاسلامى الى تحريض الصليبيين لأولئك الهمج ومعاونتهم لهم فى تدمير الاسلام حكومات وشعوبا .. (١) .

وعلى أية حال فان ما نزل بالمسلمين من كروب واهوال على أيدى أولئك المغيرين يعد من الأحداث الفريدة فى الدهر ، لكن الذى يثير الدهشة حقا شعور الشماتة والتشفى الذى أظهره النصارى المقيمون بين العرب وهم يرون اخوانهم الموحدين يهانون ويبادون .. !!

يقول ابن كثير فى الجزء الثالث عشر من كتابه « البداية والنهاية » : أرسل هولاكو — وهو نازل على حلب — جيشا مع أمير من كبار رجال دولته يسمى « كتبغا نوين » يريد دمشق ، فبلغها الجيش الزاحف سنة ٦٥٨ هـ آخر صفر ، وكان هولاكو قد كتب أمانا لأهل البلد ، قرىء بالميدان الأخضر ، وشاع بين الناس خبره .

الا أن الناس كانوا على وجل من أن يغدر بهم ، فكم من أمان بذله التتار ثم خاسوا فيه !

ووقع المحذور ، فما هى الا ليالى حتى استحر القتل فى وجوه البلد ، وأخذ الخراب يسرى فى أرجائها ، ولم يدع التتار مئذنة الا هدموها ، ولا برجا الا خربوه ..

ثم ولى الفاتحون أحد قوادهم حاكما على دمشق بعد أن دهاها ما دهاها ، وكان اسم الحاكم التتارى « ابل سيان » يقول ابن كثير : وكان

---

(١) أثبت المؤرخ الاسلامى الكبير الأستاذ محمد على الغتيت هذه القضية بوثائق حاسمة فى مؤلفه « من الحروب الصليبية الى حرب السويس » .

لعنه الله معظما لدين النصـــارى ، فاجتمع عليه أســـاقفتهم وقسوسهم فعظمهم جدا ، وزار كنائسهم ، وصارت لهم به دولة وصولة ٠٠

بل ان طائفة من النصارى ذهبوا الى هولاكو حاملين معهم الهدايا والتحف ، وقدموا من عنده ومعهم أمان لطائفتهم ٠٠ !

ودخل الوفد العائد من باب « توما » وهم ينادون بشعارهم ٠ ٠

ومعهم أوان فيها خمر ، وقماقم ملآنة خمرا يرشون منها على وجوه الناس وثيابهم ! ويأمرون كل من يجتازونه فى الأزقة والأسواق أن يقــوم لصلبانهم !

ودخلوا من درب الحجر ، فوقفوا عند رباط الشيخ أبى البيان ورشــوا عنده خمرا وكذلك على باب مسجد درب الحجر الصغير والكبير !!

واجتازوا السوق حتى وصلوا لدرب الريحان أو قريبا منه ، فوقف خطيبهم فوق دكة دكان فى عطفة السوق فمدح دين النصارى وذم دين الاسلام وأهله ٠٠ فانا لله وانا اليه راجعون ٠٠ » !!

ثم يقول ابن كثير : وكان فى نيتهم لو طالت مدة التتار أن يخربوا كثيرا من المساجد وغيرها ٠٠

ولمـا وقع هذا اجتمع قضاة المسلمين والفقهاء والشهود ، فدخلوا القلعة يشكون هذه الحال الى القائد « ابل سيان » فاهينوا وطردوا وقدم كلام رؤساء النصارى عليهم ٠٠ !! » ٠

لقد عوملوا على المبدأ الاستعمارى المشهور : الويل للمغلوب ٠

وكما قلت : ليس عجيبا ان يفتك الوثنيون بالموحدين على أبشــع الصور ، وانما العجب أن يسهم النصارى فى ذلك ، أو يشمتوا ويفرحوا من بعيد !!

ولقد عاشوا أعصارا مع المسلمين آمنين فى ذمتهم ظافرين بدون من الحياة أهدأ وانعم مما ظفر به البروتستانت فى جوار الكاثوليك ٠

أجل ، ان نصارى الشرق فى جوار المسلمين كانوا أســـعد حالا من اخوانهم فى اوروبا نفسها ٠

فلم كل هذا الغل والرضا بمصائب المسلمين ؟

واليوم تعمل الحراب الاسرائيلية فى احشاء العروبة والاسلام ، فمن الذى يمسك بالحربة ويحركها ؟ الاستعمار العالمى ٠

اننى استعرض الآلام القديمة والجديدة ثم اذكر قول الشــاعر :

كل خليــــل كنت خاللتـــــه لا ترك الله له واضحة ·· !!
كلهـــم أروغ مـــن ثعـلب ما أشبه الليلة بالبارحة !!

ومع كل ما حوى التاريخ من سخائم تحمر أو تصفر لها وجوه المعتدين فنحن مستعدون أن ننسى ، وأن نفتح مع القوم صفحة جديدة لعلاقات يسودها العدل والبر ··

فهـل يفعلون ؟

أغلب الظن أن أضغان القوم علينا لن تبلى ··

اننا نحن المسلمين محكومون فى نظرتنا الى اليهود والنصارى بأمرين يوجبان السماحة والاعتدال :

أولهمـا : أننا مصدقون بالرسالات الأولى ومكرمون لأنبيائها ·

والآخر : أننا نحترم الفكر الانسانى ، ونقيم الايمان على حرية الارادة ونعطى مخالفينـــا فى الرأى ، الحقوق التى لنـــا ، ولا نلزمهم الا بالواجبات التى علينـــا ··

وقد توارثت أجيال المسلمين هذه المعانى حتى أصبحت تقاليد مقررة فى مجتمعاتهم السابقة واللاحقة ··

الا أن أهل الكتاب ، أو نفرا كبيرا منهم ، يستكثر علينـــا حق الحياة ، ولا يبادلنـــا المشاعر الحسنة التى نكنهـــا لهم ·

ومع أن هذه الحقيقة المريرة برزت بوجهها الكالح على امتداد العصور ، فان طيبة قلبنا تحملنـــا على النسيان والتغاضى ·· !

بيد أننا نأبى أن تتحول طيبتنا الى غفلة ، وسماحتنا الى حماقة ··

ان الاستعمار الحديث واضح الرغبة فى صرفنـــا عن ديننـــا ، وتحقير ايماننـــا ظاهرا وباطنـــا ·

وقد مزق الحجب عن قصده ، وشرع – سياسيا وعسكريا – يكيـــد لنـــا ويجهز علينـــا ··

وهو اليوم يقـــوم بجهـــد مزدوج ·· انه يوسع حمـــلات التبشير ويدعمهـــا بكل أسباب النجـــاح ·

ثم هو يحـــاول أن يستغل نصارى الشرق ليطعنوا المسلمين فى ظهورهم وليوهنوا صفوفهم وهم يردون العدوان عن انفسهم وبلادهم ··

ونحن نرمق هذه الجهود بعيون مفتوحة ، وقلوب مجروحة ٠

ان الله لن يتخى عنا ، فنحن عباده الأوابون اليه ، المستعينون به ٠٠

ونظن نصارى الشرق أعقل من أن يستجيبوا لتلك الدعوات الخائنة ، انهم لن يعاونوا الاستعمار فى الحرب التى تدور الآن بيننا وبينه ٠٠ انهم لن يخذلوا الفدائيين الذين يقاومون الصهيونية ٠٠ !! انهم لن يفرطوا فى حق المواطنة ، ولن ينسوا الجوار الشريف الذى جمعنا زمانا طويلا ٠٠

وأعلم أن البعض وقع فى هذا الشرك ، وشرع ينال منا ٠٠

لقد اطلعت على كتب شتى ، تتناول ديننا ، ونبينا ، وتاريخنا بأساليب دنيئة ولكننا سنتغلب على هذه الجراح ونسير ٠٠

واذا كنت أثبت هنا كلمات تنضح بالسموم ضدنا فلكى أقول للعقلاء : ان هذا لا يليق ٠٠ !!

جاء فى كتاب « الخريدة(١) النفيسة فى تاريخ الكنيسة » ما يأتى وصفا للاسلام ورسوله وتاريخه ٠

والكتاب مطبوع فى القاهرة عام ١٩٦٤ (بمطبعة قاصد خير) بالفجالة ٠

والسطور التى نقتطفها من الجزء الثانى ص ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ٠٠

قال المؤلف : « ان محمدا صاحب الشريعة الاسلامية ، ومشترعها ، ولد فى شبه جزيرة العرب بالحجاز ، بمدينة مكة من قبيلة قريش سنه ٥٦٩ ٠

وقد تيتم من والديه وهو فى سن الخامسة من عمره ٠٠ فرباه عمه أبو طالب ، وعلمه التجارة والأسفار ٠٠ وأول أسفاره كان وهو فى سن الرابعة عشرة ٠٠ سافر مع نفر من قبيلته الى الشام ، ولما رجع أخذته أرملة غنية تدعى خديجة ٠٠ فصار يتجر لها ثم تزوج بها ٠٠

وكان ذكاؤه الطبيعى مفرطا ، وأفكاره وقادة ، وفى أثناء تردده الى سوريا وفلسطين عاشر كثيرين من النصارى واليهود ، وخالط عامتهم وخاصتهم ، وسمع تعاليم كثيرة لهم ، بعضها من الكتاب المقدس ، وبعضها خرافات كانت تلهج بها العامة ، فكان يعلق ذلك فى ذاكرته ومذكراته (!!) ٠

---

(١) نقلنا هذه النصوص عن النسخة المحفوظة بدار الكتب فى القاهرة رقم ٤٦٤٤ ولهذا الكتاب مكانة شبه رسمية برغم ما فيه من اسفاف !!

ولما بلغ سنه الأربعين سنة ، كان حفظ شيئا كثيرا من تلك التعاليم الصحيحة والكاذبة ومزجها بتصوراته (١) (!!) ٠

ولعدم وقوفه على مصادر التعاليم الصحيحة ٠٠ !! — وهو الكتاب المقدس — ٠٠ لما أراد أن يدونها ٠٠ زاد فيها ونقص ٠٠ وغير وبدل ٠٠ كما يعلم ذلك من قرأ حوادث الكتاب المقدس المسرودة فى القرآن ٠٠ (!!)

ومن ثم قصد أن يظهر بمظهر نبى أمام العرب ٠٠ (!!) لا سيما عرب قريش وكانوا عبدة أصنام ، فاستعظموا تعاليمه ، وجزعوا منه ، واقترحوا عليه أن يؤيده بأعجوبة سماوية ٠٠ فعظم عليه الاقتراح ، ولم يجد مناصا منه سوى الاعتذار التافه (!) ، والاحتجاج الفارغ بعدم ايمان السالفين بالعجائب (٢) ٠٠ (!!) وأن الله أرسله وزوده بالوحى فقط لارشاد الناس وهدايتهم (سورة الأنعام آية ٣٧ ، والأعراف آية ٢٠٢ والرعد آية ٨ ، وبنى اسرائيل آية ٦٢ ، والعنكبوت آية ٤٩) ٠

وكان يدعو الناس الى التسليم بدعوته وقبولها فى أول أمره بالحسنى والرفق ، واللين والرضا ، ويتظاهر بعدم اكراه أحد والزامه قبول الاسلام ٠٠ وقد وردت بهذا الشأن نصوص كثيرة فى القرآن لا محل لايرادها ٠٠ (راجع سورة البقرة آية ٢٥٧ ، وآل عمران آية ١٩ ، والأنعام آية ٦٦ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ويونس آية ٩٩ ، ١٠٠ ، والأحزاب ٤٧ ، والنمل ١٢٦ ، وبنى اسرائيل ١٠٦ ، والزمر آية ٤٢) ٠

ويظهر أنه كان مراعيا للظروف فقط (!!) ٠٠ وخاصة ظروفه (!!) ٠٠ فتظاهره بدعوته الناس الى قبول تعاليمه غير مكرهين كان فى حال ضعفه ٠٠ (!!) ٠

---

(١) المستشرقون والمبشرون من أعداء محمد يرددون تهمة واحدة ليست جديدة ، فقد سبقهم اليها الوثنيون من اربعة عشر قرنا ، وذكر القرآن الكريم هذه التهمة فى غير موضع « ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر .. » « وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا» .. «قل انزله الذى يعلم السر فى السموات والارض انه كان غفورا رحيما » واتهام محمد بالتزوير ، كاتهام مريم بالزنا ، كاتهام غيره من الانبياء بالادعاء كلام كشفنا عن تهافته فى كتبنا الاخرى ، وابنا ما فيه من فراغ ..

(٢) القرآن هو المعجزة الكبرى لمحمد ، وقد وقعت له كما وقعت لغيره من الرسل خوارق كثيرة ولكن الاسلام — لعمومه وخلوده — يمنح الخوارق المادية مكانة ثانوية ، ويجعل الايمان منوطا بالعقل المفكر قبل اى شىء .

فلما اشتد ازره انقلب (١) الى العكس كما يعلم من نصوص اخرى ، عدّس التى اشرنا اليها ٠٠ (راجع البقرة آية ١٨٨ ، والتوبة آية ٥ ، ٢٨ ، ٧١ . ومحمد آية ٤ ، والنساء آية ٨٣ ، ٨٨) ٠

وكذلك راعى فى أول الأمر خاطر اليهود ليكونوا أعوانا له ، وجعل وجهة المصلين بيت المقدس ، فلما قويت شوكته نقض هذا الأمر ، وجعل وجهة المصلين الكعبة فى مكة ، وهى معبد (٢) أصنام قديم لعرب قريش ، لا يزال فيه حجر أسود يدعى العرب انه نزل من الجنة ٠

وطلب محمد من كبار قريش أن يزيلوا الأصنام من الكعبة فتوقفوا ، والتمس منه نفر أن يكرم معبوداتهم لكيلا ينفر الناس من دعوته فاكرمها ومدحها ٠٠ ! بقوله ٠٠ « أفرأيتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ، تلك الغرانيق العلى ٠٠ وان شفاعتهن لترتجى » ٠

وقد ورد ذلك فى سورة النجم ولكن العبارة الأخيرة حذفها جامعو القرآن ، لأنهم رأوا انها محطة بمنزلة محمد ٠

ولكن المفسرين اثبتوها ، واثبتوا نسبتها لمحمد واعتذروا عنه ٠ ! وأشهرهم ابن عباس ٠

وقد احس محمد بغلطته ، وعدل عنها ، فنقم عليه عبدة الأصنام وقصدوا ايذاءه ، وضمروا الشر له ، فلما انكشف له سوء مقصدهم ، هجر مكة وهرب الى المدينة ٠٠ (!!) وكان ذلك سنة ٦٢٢ ٠٠ ومن سنة

---

(١) هذا أفك مبين ، وقد فضحنا هذه الفرية فى الرد على « جولدزيهر » المستشرق المجرى اليهودى ، والبحث موجود بكتابنا « دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين » وفيه كذلك رد على مفتريات هذا المؤرخ الكنسى وغيره من الباحثين عن العيوب ليرموا بها الاسلام .. وهيهات !!

(٢) الكعبة هى المسجد الحرام الذى بناه أبو الانبياء ابراهيم لعبادة الله وحده ، وقد اقحم عليه الوثنيون اصنامهم حتى جاء محمد فهدمها صنما صنما وهو يقرأ قول الله : « وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » . وحملة القرآن الكريم على الاصنام ليس لها نظير فى كتاب أرضى أو سماوى ونحن نتحدى فكيف يزعم هذا المؤلف الكذوب ان محمدا مدح الاصنام يوما ما .. ولكن ميدان الصدق اذا ضاق بالمفترين وجدوا فى ميدان الاختلاق ما يشبع احقادهم ..

حروبه (!!) يبدأ بتاريخ الاسلام ، واستمر بعد ذلك احدى عشر سنة (١) كان يشن فى اثنائها الغـارات على القبـائل ، وينهبهم (!!) ويسـلب امتعة القوافل (!!) وينكل بالمقاومين له حتى قوى أمره ٠٠ » (!!) ٠

ذلك ما يكتب عنا فى بلادنا !! وهو واضح الدلالة فى اهانة مقدساتنا واستباحة حرماتنا ، وارخاص كل صلة ، وكشف القنـاع عن شر مستطير ٠

واحب ان اتجاوز هذا اللغو الهابط ٠٠ وغاية ما أنبه اليه المسلمين ، ان الاستعمار طامع فى اجتياح دينهم طمعه فى اجتياح بلادهم ، وسرقـة خيراتهم ٠٠ !

وأن الأمر يحتاج الى يقظة مضاعفة ٠٠

وكلمة هامسة الى مواطنينا من أهل الكتاب : ان يضربوا على أيدى سفهائهم ، فلا يزيدوا الطين بلة ٠٠ !! ولا يحملوا القلة المدللة على جحد النعمة ومعاونة الأعداء ٠٠

اننـا نحن المسلمين نعـامل مخالفينا فى الدين معـاملة لا نظير لها نبلا وسماحة ولم يحـدث أن ظفر بمثلهـا المختلفون من أهل الملل الأخرى حين عايش بعضهم بعضا أو عامله ٠

وقد كنت أريـد أن اطوى هذه المثالب ، وأتغاضى عن ذكرها ، لولا أن جهـات مسئولة هى التى أسهمت فى طبعه ونشره ، هكذا يقول مؤلفه فى نهاية الجزء الثانى صفحة ٥٩١ ٠

وعبارته بتمامهـا : « تم بعون الله طبع هذا الكتاب النفيس فى يوم ٣٠ من ابيب سنة ١٦٨٠ للشهداء ، الموافق ٦ من أغسطس سنة ١٩٦٤ للميلاد فى عهـد غبطـة البابا المعظم الأنبا « كيرلس » السادس حفظه الله ٠

ولولا اهتمامه بنا ، ومساعدته ، وتشجيعنا ببركاته وصلواته المقبولة ما امكننـا أن نقـوم بهذه المهمة ، نسأل الله أن يحفظه لنا فخرا ، وللرهبنة والكنيسة فخرا » ٠٠

ونحن نأسف لهذا الخطأ فى جنبنا ، بل لهذه الخطيئة ، ونوصى اخواننا المسلمين ان ينسوها ، ونوصى اخواننـا المسيحيين الا يكرروها ! ٠

* * *

---

(١) بهـذه الكلمات الهازلة يصف الكاتب اشرف جهاد قام به رسول ! فاقر به التوحيد المضطهد ، وثبت الحق المطارد ، وقمع طواغيت الشرك وهى تحاول ان تطفىء نور الله ، وظاهر أن الرجل يكذب ويرخى العنان لكراهية عمياء ضـد الاسلام ونبيـه ، وما درى الاحمق ان الاسلام يوم يطوى فلن يقوم مكانه دين ، ولن يغنى غناءه ايمـان فى اقناع العقـل واراحة الضمير ..

التبشير والاستعمار وآلام أخرى

يكـاد المراقبون والنقـاد يجمعـون على أن الأوروبيين والأمريكيين ليسوا مولعين بالتدين ، ولا ميالين الى التقـوى ، وان صلتهم بالله لاتتجاوز الشكل الى الموضوع ، وأن احتفاءهم بالمناسبات الدينية يقوم على تحويل أيام الآحاد ومختلف الأعياد الى فرص للاستجمام وشباك للهـو والمـرح بريئا أو غير برىء ٠

والأوروبيون والأمريكيون ـ اجمالا ـ يجنون ثمرات تقـدم علمى رائع رفه معايشهم ، ونعم حضارتهم ، وربما استطاع هذا التقدم أن يلطف مسالكهم ويهذب غرائزهم الا أن بيئات كبيرة فى كلتا القارتين لم يرفع العلم الانسانى مستواها الا فى الكلمات والملابس ٠٠ !

أما ما وراء ذلك فهناك القتـل ، والخطف ، والاغتصاب ، والفوضى الجنسية ، والكبرياء العنصرية ، وعبادة الحياة الدنيا ، والتجهم أو الانكار لمـا وراءها ٠٠

ومع هذا السلوك الهابط فان الأوروبيين والأمريكيين يهتمون بالتبشير ويرصدون لرجاله وأغراضه أموالا طائلة ، ويتابعون نشاطه ونتاجه بيقظة!

ومع أن الحكومات فى كلتا القارتين لا تبالى أن يؤمن أبناؤها أو يلحدوا ٠٠ الا أنها تولى الدين فى افريقيا وآسيا قدرا ملحوظا من رعايتهـــا ، وتتوسل به الى تذليل الصعاب ، وحطم الخصوم ٠

ولننظر الى فلسطين فى ظل « الانتداب البريطانى » لنرى آثار هـذا الاتجـاه فى تحقيق الأغراض الاستعمارية بين سكان هذا القطر المحروب ٠٠

كان تسعة أعشار الفلسطينيين مسلمين عربا فكيف يمكن تذويب عروبتهم واسلامهم معـا ؟ وكيف يمكن خلق الظـروف التى تتمخض عن قيـام « اسرائيل » كما وعدت بذلك بريطانيا ٠٠ ؟ !

لن أتعرض هنـا للأساليب الاقتصـادية والعسـكرية على شـناعتها ووحشيتها ، وانما أتعرض للنواحى الدينية وحسب ٠

كان بفلسطين معهد لتخريج الدعاة المسلمين يسمى « الكلية الصلاحية » أمر الانتداب البريطـانى بالاجهـاز عليه عشية باشر الحكم فى البلاد ٠

وقـد نشرت احدى الصحف تاريخا موجزا لهـذه الكليـة جاء به : « كلية صلاح الدين الأيوبى » ٠

« كانت تقوم فى الناحية الشمالية الشرقية على بعد عشرات الأمتـار

من الحرم الشريف فى المكان المعروف بدير القديسة حنا ويقال أن هذا المكان جعل مدرسة اسلامية قبل صلاح الدين الأيوبى ٠

ولكن اسمها قد التصق بصلاح الدين حينما جعل منها مدرسة للفقه الشافعى بطلب من فقهاء الشافعية ومر عليها زمن تقلبت فيه بين يد النصارى والمسلمين ٠

حتى كانت سنة ١٩١٤ م (١٣٣٣ هـ) ٠ وقام على بلاد الشام القائد التركى « جمال باشا » حيث أعادها مدرسة دينية اسلامية لاعداد مبشرين للعالم الاسلامى وبالأخص للهند والصين ٠ وسماها « كلية صلاح الدين الايوبى » وعرفت بين الناس بالكلية الصلاحية كما درس بها علماء من مختلف البلاد فى ذلك الوقت من أمثال : محمد اسعاف النشاشيبى ، وجودت الهاشمى ، وعبد القادر المغربى السورى الذى كان فيما بعد نائب رئيس المجمع العلمى العربى بدمشق ، ثم عبد العزيز جاويش ، ورستم حيدر ، وجميل النيال ، وعبد الرحمن سلام ٠٠ الخ ٠ وكان شيخ الاسلام فى الآستانة يحول مرتبات هذه المدرسة من تركيا بوساطة متصرف القدس ٠ وبدخول الجيش الانجليزى القدس فى ١٩١٧/١٢/٨م اعيدت هذه المدرسة الى يد الآباء البيض الفرنسيين وهى اليوم مدرسة اكليريكية دينية للروم الكاثوليك » ٠

والواقع أن هذا التاريخ مدخول ، فالمدرسة كانت تقوم بتعليم الفقه الاسلامى ثم حولها الترك الى كلية للدعاة تخدم الاسلام فى الداخل والخارج ٠٠ فلما ملك الانجليز الأمر حولوها الى كلية لتخريج المبشرين المسيحيين ، وسلموها الى جماعة البيض الفرنسية وهى جماعة لها دور هائل فى محاولة تنصير المغرب العربى أيام الاحتلال الفرنسى ٠

والتعبير بأنها « اعيدت » للفرنسيين يتمشى مع الفكر التبشيرى الذى يرى أن آسيا الوسطى ومصر والشمال الافريقى كله كانت مستعمرات رومانية ، ويجب أن تعود كما كانت وقد بذل الاحتلال البريطانى لمصر جهودا شاقة لابعاد الامة عن دينها ، وعن المناسبات التاريخية التى تربطها به ٠

نشرت جريدة الأخبار تحت عنوان « احتج الانجليز على الاحتفال بعيد الهجرة فى اذاعة القاهرة منذ ٤٠ عاما » قالت : احتفل العالم الاسلامى امس بعيد الهجرة ، وهو بداية العام الجديد منذ أمر عمر بن الخطاب بجعل الهجرة اساس للتقويم الاسلامى ٠ وقد احتفت به الاذاعة المصرية لأول مرة سنة ١٩٣٤ ميلادية بقرار من « مدحت عاصم » أول مدير للاذاعة المصرية بعد ان اصبحت حكومية ـ وكانت من قبل تشرف عليها مؤسسات اهلية ـ وأمر المدير المصرى أن يبدأ الاحتفال بصلاة الفجر ٠٠ !

وعد ذلك حدثا غريبا ، وواجه المدير المصرى معارضة شـديدة من الانجليز المشرفين على الاذاعة ٠٠ !

وكانت الحجة المعلنة أن الاداريين والفنيين سوف يسهرون الى الثانية صباحا ، ورد عليهم السيد مدحت عاصم بأن هؤلاء يسهرون فى راس السنة الميلادية حتى مطلع الفجر ، وبعده الى الصباح ، واذن فلابد ــ بالقياس ــ من الاحتفـال بالسنة الهجرية وسكت المعترضون كارهين فان الاحتفـال بالسنة الميلادية لذيذ أما الاحتفال بذكـرى الهجرة فشىء ممجوج أو لعله شىء رجعى ٠٠ !!

المهم أن الانجليز بعـد أن الغوا الكلية الصلاحية ، واطمانوا الى أنه لن يكون للاسلام دعاة مرشدون فى فلسطين راوا أن يستجلبوا الى الأرض المستباحة مللا أخرى تثير الفوضى الدينية فيهـا ، وتبلبل الأفكـار ، وتكثر الظروف المهيئة لقيـام اسرائيل ٠٠ وهم من قبـل شجعوا البهـائية ، واحتضنوا طاغيتها الداعية عباس عبد البهاء ، ورفعوا منزلته ماديا وأدبيا ، فجعلوا « عكا » كعبة البهائيين المبثوثين فى بقاع شتى ، وربطوهم بفلسطين روحيـا ووثقوا الصلات بين المحـافل البهائية ودعاة الصهيونية ، حتى تخدم احداهما الأخرى ويتظاهران جميعا على الاسلام ٠

بيد أن ذلك لا يكفى فلا بد من استقدام القـاديانية الى فلسطين هى الأخـرى كى تشارك فى صنع الشتات الاسلامى وتمهد للوجـود اليهودى ٠

وغلام أحمد منذ نشأ فى الهند كان صوت سادته ومنفذ ارادتهم ، وأذكر أنى لمـا زرت « أوغندا » منـذ عامين وجدت مسـجدا للقاديانية فى أعظم ميادين العاصمة ٠٠

وشاء الله أن ينقرض هؤلاء السماسرة من « أوغندا » بعد أن انقطـع الاستعمار الانجليزى منهـا ٠٠

لكنهم فى فلسطين بقوا بعد أن تركت لليهود يبنون بها دولتهم التى رفع الانجليز قواعدها ٠٠ والمجلة التى نقلنـا عنها خبر الكلية الصلاحية البائسة تذكر النشاط القاديانى داخل اسرائيل وكأنه ولد ونما بطريقـة طبيعية ، فهى تسوق القصة على هذا النحو :

« لقـد كان الأستاذ المولوى جلال الدين شمس أول مبشر أوفـد من قبل الخليفة الثانى للجماعة الأحمدية الى بلدان الشرق الأوسط ٠ وذلك فى أواخر العشرينات من هذا القرن ٠ وكان قد مهد لهذه الحملة حضرة المولوى زين العابدين أستاذ تاريخ الأديان فى كلية صلاح الدين الأيوبى فى القدس ٠ وقد بدأ عمله فى دمشق الشام الى أن اضطر الى الانتقال لمدينة حيفا بفلسطين

بسبب المعارضة الشديدة التى لقيهـا من علمـاء المسلمين هناك وبناء على طلب من الحكومة الفرنسية آنذاك ٠

وفى حيفـا اسس جماعة وبشر بدعوة المهـدى زمنـا ما حتى تسنى له الاتصال باهل قرية الكبابير الواقعة على جبل الكرمل والمجـاورة لحيفـا فقبـل معظم سكانها الأحمـديـة واقـام بهـا مركزا تبشيريا سنة ١٩٢٩ م وفى السنة التالية بنى المسجد الموجود حاليـا ثم اضيفت اليه دار التبليغ ، وانشئت سنة ١٩٣٤ م المطبعـة الأحمدية وبدأ المركز يصدر مجلة (البشرى) وهى المجلة الأحمدية الوحيـدة فى بلاد الشرق الأوسط التى لا زالت تصدر باسرائيل كمـا بوشر فى الحـال بفتح مدرسة ابتدائية لتعليم البنين والبنات وكذلك مدرسة ليلية لتعليم الكبـار ٠

وقـد تطورت المدرسة مع الزمن الى ان اصبحت اليوم تضم ثمـانية صفوف ابتدائية وروضة اطفـال ولهـا بناية انيقة وقاعة جميلة ٠

والمدرسة الأحمدية فى الكبابير هى ايضا المدرسة الاسلامية الوحيـدة فى البلاد التى تدار بصورة مستقلة عن جهـاز التعليم الحكومى ٠

لقـد كان المركز فى الكبابير حتى قيام دولة اسرائيل يشرف على الأعمال التبشيرية الأحمدية فى جميع بلدان الشرق الأوسط ٠ وكانت الكبـابير نقطة انتقال للمبشرين القاصدين من الشرق الى الغرب أو العائدين من الغرب الى الشرق ٠

لكن نشاطه انحصر بعد سنة ١٩٤٨ م فى اسرائيل وحدها ٠٠

وبعـد حرب الأيام الستة سنة ١٩٦٧ م امتـد نشـاط الجمـاعة الى الضفة الغربية والى قطاع غزة ، وللاحمدية اليوم عدد غير قليل من الأتباع فى هذه المنـاطق ٠

ولابد من التنويه الى ان الجماعة الأحمدية فى اسرائيل تمارس نشاطها بحرية ولهـا مكانة محترمة لدى الأوساط الرسـمية والشـعبية فى هـذا البلـد ٠

ويشرف على المركز اليوم الأستاذ بشير الدين عبيد الله تساعده هيئة ادارية ينتخبهـا افراد الجمـاعة المحلية ٠ وكذلك جمعية خدام الأحمـدية للشباب ولجنة اماء الله للنساء يقمن كل يوم بواجباتهن نحو الجمـاعة تحت رعاية المبشر ٠

وفى الكبابير اليوم نحو ثمانمائة احمدى يكونون الغالبية الساحقة من سكان القرية ٠٠ والمعروف أن كلتـا النحلتين المبتدعتين ، البهـائيه

والقاديانية ، تخدم الاستعمار العالمى وتشد أزره فى ضرب الاسلام والعدوان على أمته ، وهى لون آخر من التبشير يتفق فى الغاية ويختلف فى المنهج .

وليس كل مدد يصل الى المبشرين من الشعوب الأوروبية والأمريكية يتسم بالعدوان ، ويتعمد مقدمه النيل منا والعدوان علينا .. ففى الدهماء عدد كبير من السذج والقاصرين يحسب أنه يرضى الله بما يبذل من مال .. وربما عذر حكومته وهى تباشر أحط وسائل الفتنة والسرقة للعقائد والمقدسات ..

على أن الحكومات الاستعمارية عقدت صلحا دائما بين ضميرها وهواها ، واقتنعت به نفسها ورعاياها ، واستمرأت بمقتضاه تسخير الدين فى تحقيق ما تسعى وراءه من أطماع ..

والتبشير يتطلب أمرين متكاملين :

أولهما : العنوان الذى يستر خبيئته ويجعل له — فى الظاهر — وظيفة أخرى ثقافية أو اجتماعية أو طبية .. الخ يمضى تحت شعارها الى هدفه .

والثانى : — وهو فى نظرنا شديد الخطورة — تكوين الظروف التى تشغل الشعوب بحوار مفتعل ، أو قضايا وهمية ، أو مسالك محيرة تتبدد فيها الطاقة ، وتتشعب الآراء والأهواء .

ان هذه الظروف المصنوعة تشبه سحب الدخان التى تتحرك خلفها الجيوش الزاحفة ، فلا يوضع أمامها عائق ولا يوقفها استعداد أو حذر .

وما أشك فى أن التبشير العالمى ، جند أقلاما كثيرة فى الأمة العربية والاسلامية :

* تشن حربا من الصمت مثلا على كتب جيدة نافعة لتقدم أخرى ضارة تافهة ..

* أو تطفىء شعلة من الحق فى مكانها قبلما تتحول الى سراج وهاج لو تركت للنمو الطبيعى ..

* أو تخلق سرابا من المناهج تحدو اليه الوف الشباب ليلهثوا فى طلبه ثم يعودوا بخفى حنين .

* أو تسوى بين اليقينيات والأوهام لتهدم مكانة الأولى وما ينبغى لها من قداسة أو تتدخل فى الجبهة المناوئة لها كى تساعد على جعل قيادتها معتلة مزيلة ..

المهم احداث شتات وبعثرة فى الوقت الذى يجد فيه رجال التبشير للقيام بدورهم كاملا والميدان خال من الحراس ، او الحراس مشغولون فيه بغيرهم ٠

وقد وصل الذين يعملون فى خدمة الأغراض التبشيرية الى اعداد رهيبة ، وننقل هنا ما ذكرته مجلة دعوة الحق التى تصدرها وزارة الأوقاف المغربية فى عددها الاخير قالت :

نشرت دائرة معارف الكنيسة (انسكلوبيديا) الأرقام التالية عن النشاط الكنسى :

١ – لدى الكنيسة الكاثوليكية ٢٥٠ر٠٠٠ الف متفرغ فى العالم (مبشرين) بينما يبلغ مجموع العاملين لخدمة الكنيسة الكاثوليكية ١ر٦٠٠ر٠٠٠ مليون وستمائة الف نسمة ٠

٢ – خلال ربع قرن من عام ١٩٢٥ الى ١٩٥٢ حول المبشرين ١٣ر٠٠٠ر٠٠٠ ثلاثة عشر مليون شخص الى الكاثوليكية بمعدل نصف مليون سنويا ٠

٣ – لدى الكنيسة البروتستانتية ٤٣ر٠٠٠ ثلاثة واربعون الف متفرغ (مبشرين) يديرون ١٦٠٠ الفا وستمائة مركز ومستشفى فى العالم لأغراض التبشير ٠

وقد زاد عدد البروتستانت فى ربع القرن من عام ١٩٢٥ الى ١٩٥٢ حوالى ٣٠ر٠٠٠ر٠٠٠ ثلاثين مليونا والجدير بالغرابة ان هذا النشاط الباهر يتم فى صمت ، وان صحفنا البارعة الذكية متواصية على كتمانه ، زاهدة فى الاشارة اليه ٠

وتلتحق بحرب التبشير حرب الاسكان والتهجير ، وقد تمت – بتآمر عالمى – جريمة محو الوجود العربى فى فلسطين ، وتسليم الأرض الى المستوطنين اليهود المجلوبين من أطراف الدنيا ٠٠

وقد ذكرنا فى بعض كتبنا :

كيف أخذت انجلترا جزيرة قبرص من تركيا ، وكانت اسلامية خالصة طوال ثلاثة عشر قرنا فاستقدمت اليها المستوطنين اليونانيين حتى كادت تذهب بصبغتها الاولى ٠٠ وتقوم الآن حركة لضمها الى اليونان ، التى لم تعرف هذه الجزيرة من بدء التاريخ ٠٠ !!

وفى ظلام الغفلة والصمت تحاول عناصر معينة شراء اراضى ذات قيمة تاريخية او عسكرية ثم تحشد اتباعها فيها ليظهروا بغتة بمطالب شاذة يحميها القانون ٠٠ !!

ولا أدرى الى متى يبقى العرب والمسلمون ذاهلين عن مصيرهم مع تلك المؤامرات المدروسة التى تفاجئهم بين حين وحين ··

ولا أحس غضاضة من التنبيه الى قضية تحديد النسل ·· ان أعداء الاسلام يعرفون النتائج المادية والمعنوية التى تترتب على الكثرة العددية للأمة الاسلامية ، ومن ثم يجتهدون فى اقناع المسلمين — وحدهم — بجدوى قلة النسل ، وأقول مؤكدا — وحدهم — لأن رؤساء الأديان الأخرى أجمعوا أمرهم على تكثير نسلهم ··

ومن المفيد ان أذكر أن المسلمين فى الأقطار الشيوعية بعد ذبول معروف الأسباب أخذوا يكثرون ·

لعل هذه الكثرة مصداق المثل السائر « بقية السيف أنمى » ·· !!

وقد قرأت دراسة علمية دقيقة نشرتها مجلة (دعوة الحق) فى هذا الموضوع ختمته بهذه الحقائق « بعد انحسار دام نصف قرن على الأقل أخذ المسلمون يتزايدون ، تزايدا طبيعيا كبيرا فى المناطق التى درسناها وبهذا زادت نسبتهم فى السنين الأخيرة فى البلاد الشيوعية الأربع (الاتحاد السوفييتى ، يوغسلافيا ، البانيا ، بلغاريا) ، التى سبقت دراستها ··

* فمن بين كل الف سوفييتى كان ١١٣ مسلما سنة ١٩٣٩ فصار ١٣٦ مسلما سنة ١٩٧١ ·

* ومن بين كل يوغسلافى كان ١١٢ مسلما سنة ١٩٣١ فصار ١٥١ مسلما سنة ١٩٧١ ·

* ومن بين كل الف البانى كان ٦٨٦ مسلما سنة ١٩٣٠ فصار ٧٠٧ مسلما سنة ١٩٦٩ ·

* ومن بين كل الف بلغارى كان ١٣٣ مسلما سنة ١٩٤٩ فصار ١٧٠ مسلما سنة ١٩٧١ ·

وهذا هو نفس الوضع فى معظم بلاد العالم حيث يتزايد المسلمون أكثر من غيرهم وهذا يكشف هدف الدعايات الخبيثة لتحديد النسل بين المسلمين ·

فواجب كل مسلم من جهة الوقوف ضد هذه الدعايات ومن جهة أخرى العمل على تحسين وضع المسلمين المادى والمعنوى »

ونحن نضع بين أيدى قرائنا هذه المعلومات ليدركوا الكثير مما يغيب عمدا عن العيون ·

* * *

عدوان الى آخر رمق

أشارت صحف القاهرة الى مرحلة جديدة من مراحل العـدوان على أرض العروبة والاسلام ٠

والمرحلة التى يتم انفاذها فى صمت ، والتى تعـرض انباؤها تحت عنوان خادع ، تقـوم على اسكان خمسين الف يهودى فى بـلاد الحبشة فى منطقة « غوندار » التى تقع على الحدود السودانية الحبشية !

وقد عرض حكـام الحبشة خمسين الف فـدان يمكن اسـتصلاحها لتكون نواة المهجر الجـديد ٠

وربما سأل القـارىء : لمـاذا يأخذ هؤلاء اليهود طريقهم الى اسرائيل بدل الحبشة ؟

والجـواب : ان هؤلاء اليهود من الدرجة الثـانية ، ويطلق عليهـم « الفلاشا » ، وفى نسبهم الى اليهودية غموض ، وكانوا يعيشـون فى الشرق الافريقى معيشة ظاهرة التخلف ، ويرتزقون من بعض الحرف البدائية ٠٠

حتى نظم الغرب العلاقات بين الحبشة واسرائيل من النواحى الروحية والاقتصادية والسياسية فأخذ وضع « الفلاشا » يتحسن ، والتحق عـدد منهم بوحدات الشرطة ، وفرق الجيش الأثيوبى ، وصعدوا فى مـدارج الترقى حتى أصبح لهم عضو فى مجلس الوزراء !!

وقد تولت اسرائيل انشاء مدارس فى منطقة « غوندار » يتربى فيهـا الفلاشيون على يد معلمين اسرائيليين ٠ كما استقدمت بعثـات منهم الى أرض اسرائيل (!) لتدريبهم التدريب الذى يحقق الأغراض المرجوة فى مستقبل ليس ببعيـد !!

ولعل مما يحقق زيادة التقارب والالتحام بين اسرائيل وأثيوبيـا أن توضع الخطط الصارمة كى ينكمش نشاط الكثرة الاسلامية التائهـة فى الحبشة ، فلا يسمع لهـا صوت ، بل لا يحس لهـا وجود ٠٠ !!

وذلك حتى تجد امدادا لا مقطوعة ولا ممنوعة من الدعم الأثيوبى لاقتصادها ، ومن ثم تستطيع أن تمزق العرب ، وتضرى عليهم ٠

ويوم تلفظ العروبة أنفاسها فان شمس الاسلام ستجنح الى الغروب ٠

وهذا هو ما يستهدفه الاستعمار الناشط وراء سياسة « أثيوبيـا » وهيـام اسرائيل ٠٠ !!

وخطة توطين بعض اليهود فى الحبشة التى شرحتها جريـدة « جويش

كرونيكل » اليهودية ، والتى تعمل لهـا الوكالة اليهودية من بضع سنين ليست فى نظرنا أمرا ذا بال !!

واحسبنى قريبـا من الصدق اذا قلت : ان هذا أخف الطعنات التى وجههـا الاستعمار الينـا • فان الدم الاسلامى النازف بغـزارة فى الشرق الافريقى يكشف عن مأساة فاجعة تقع وراء أسوار من السكون المفتعل ، واخشى ألا نصحو حتى تكون الضحية قـد طواها العـدم •

والضحية هنا شعب مسلم كبير هو شعب « أرتيريا » •

ان مسلمى أرتيريا يقاتلون قتال المستميت منذ ربع قرن ليظفروا بحريتهم الدينية واستقلالهم السياسى ، ضد استعمار باطش ، أعمـاه الحقـد ، وأغرته السلطة ••

ومع فداحة الخسائر التى نزلت بهم فهم لم يضعوا السـلاح ولم يستسلموا لليأس ، وجبهة تحرير أرتيريا تعمل بايمان ومصابرة لاستبقاء الاسلام والعروبة على أرض الأجداد ، وتقـاوم سلطان أثيوبيا وهو يهجم بالسلاح الأمريكى لمحو هذا كله •• !!

ان جبهة تحرير ارتيريا تقوم بالعمل التاريخى الضخم التى قامت به من قبـل جبهة تحرير الجزائر ، والذى تقـوم به الآن جبهة تحـرير فلسطين !

ويظهر أنهـا تلقى من أعداء الاسلام فى ميدانها الصعب مواجهة أعتى وعدوانا أعنف ، لأنهم يخشون أن يكون مصيرهم مصير أغلب المستعمرين فى البلاد التى استردت حريتها ••

ان هذا التوجس يجعل الجيش الأثيوبى غاشما فى سطوه ، طاغيا فى عدوه ! وهاك نموذجا لمـا يقع هنالك من مصـائب طامة ذكرهـا الصـحافى السويدى « لارزبرو » رئيس تحرير مجلة « كانلوسنبوستن » وزميله « برتل روبن » عضو البرلمـان السويدى – وكانا فى زيارة خاصة لأرتيريا – :

« فى يوم عاصف تدلت فيه اثنتان وعشرون جثة من جثث الثـوار على أعواد المشانق فى مدينة كرن ، احدى مدن أرتيريا الرئيسية •

وفى الوقت نفسه كانت تتدلى سبع عشرة جثة أخرى بمدينة قنـدع الواقعة بين أسمرة العاصمة ، ومصوع الميناء » •

يا حزناه على أمة الاسلام ، ما أرخص دمها ، وأهون أحرارها •• ! تسعة وتسعون بطـلا من رجالات الله تتأرجح جثثهم فى مهاب الرياح دفعـة واحـدة على هذا النحو الرهيب !!

نكالا باتباع محمد ، وترويعا لطلاب الجهاد ، واذلالا لأحرار الناس ؛
معرض للردى تتمثل فيه كل ضغائن البشرية الخسيسة على الدين الذى رفع قدر الانسان ٠

وتبرز من خلاله الأحقاد التى ورثها المستعمرون الجدد عن الصليبيين الأقدمين ٠

تلك الأحقاد التى لا يخف مع الزمن سوادها ، والتى تحيرنا نحن كيف نطفئها ونستريح من نارها ودخانها ٠٠

ان الكثرة المسلمة فى ارتيريا كأختها المسحوقة داخل الحبشة تتعرض لحرب ابادة حقيقية ٠

وقد بدأت محنة هذ القطر التعيس منذ قضت هيئة الأمم المتحدة بضمه الى اثيوبيا رغم أنفه ، ومع أن هذا الضم اخذ أول الأمر صورة اتحاد « فيدرالى » الا انه سرعان ما تحول الى اذابة للقطر المستضعف ، وافناء لشخصيته ، ولغته ، ودينه ، وتاريخه ، ومستقبله !!

وبديهى أن يقاوم مسلمو أرتيريا كما قاوم اخوانهم فى الجزائر وفلسطين من قبل ، وهنا جن جنون المعتدين وحاولوا بوحشية هائلة أن ينتهوا من الثورة الأبية فاجتاحوا عشرات القرى يحصدون من فيها وما فيها بالرصاص والقنابل ٠٠

غير أن الأبطال المجهولين نظموا صفوفهم فى جبهة تحرير شجاعة مثابرة ، قاتلت الجيش الأثيوبى واذلته فى معارك شتى ٠٠

وفى العام الماضى فر القرويون الأرتيريون أمام حملة لنتقام حبشية شديدة شنها عليهم الجيش الذى سلحه الامريكيون تسليحا جيدا ، واجتاز هؤلاء البائسون حدود السودان فى حال منكرة ، فقد أحرقت قراهم ومزارعهم ومواشيهم ، واستبيحت حرماتهم ، وتعقبتهم الغارات الملحة تبغى القضاء عليهم ، وتناثر موتاهم دون دفن لتأكلها الوحوش !!

وقال شاهد عيان يصف هؤلاء اللاجئين : لقد كانوا هياكل بشرية ، وكان الجوع والعطش قد برحا بهم وهدا كيانهم ٠
على أن جبهة تحرير ارتيريا مضت على درب الجهاد الطويل المضى ٠

وقد عرفت رئيسها المؤمن المصابر الجلد الأستاذ ادريس آدم رئيس مجلس النواب السابق ٠ كما قابلت الكثير من فتيان البلد الثائر على الضيم ، وتفرست فى ملامحهم عزيمة الجهاد حتى لقاء الله ٠٠
الا أن هناك حقيقة أحب أن أثبتها فى هذه الكلمة العجلى ٠٠

ان الأعداء القابعين وراء البحـار يعملون على تهويد فلسطين هم هم الأعداء الذين يعملون على تنصير أرتيريا ، وان اختلفت اساليب الجريمة وأدوات التنفيذ ..

والغرض الظـاهر الباطن لدى هؤلاء اصابة الاسلام فى صميمه ، وتمزيق امته شذر مذر ٠

فما الذى يجعل العرب شديدى الجؤار لمحنـة فلسطين ، منكرى الصمت بازاء مسلمى ارتيريا ؟؟

ان الجامعة العربية لم تكترث عندما سلب هؤلاء المسلمون اسـتقلالهم وسلموا الى الحبشة لتسترق اعناقهم ، وكان فى مقـدورها أن تقـاوم وترفض ٠

لكن الجامعة العربية ــ ونقولها كاسفى البال ــ لا تهتم بامر المسلمين ولا تشتغل بقضاياهم ، وهى ــ اذ تستصرخ الضمير العالمى لأهل فلسطين ــ تفعل ذلك اعلانا لأخوة جنس وحسب ! ٠

والجامعة العربية اذ تؤثر هذا المسلك تخون دينها وتاريخها وتنفصل عن الأمة العربية ذاتها فلا تترجم عن مشاعرها ولا عن أمانيها ..

بل ان الجامعة العربية تخون قوميتها المزعومة بتجاهلها قضـية ارتيريا ، فان الشعب المسلم المضطهد هناك ، يتكون من قبائل عربية الدم واللغة مثل الألوف المؤلفـة من سكان وادى النيل ٠ !

ولا ندرى كيف تناسى السياسيون الجبناء هذه الحقيقة عندما صمتوا صمت القبور على وأد اخوانهم للعرب ؟

والجامعة العربية اذ تتجهم للاسلام تغرق فى مسلك مدنى انتهى أمده وانكشفت حقيقته فان اليهود لا يستحون من الانتسـاب الى ابيهـم اسرائيل اذا استحى العرب من الانتساب الى ابيهم محمد !!

والأمريكيون لا يستحون من عرض الانجيل وتأييد بعثاته اذا استحى العرب من عرض القرآن وبلاغ رسالاته ٠

فالى متى تنفض الجامعة العربية يديها من قضايا الشعوب الاسلامية المـاكولة فى افريقيا وغيرها ؟

بل الى متى تعـد قضية فلسطين عربية خالصة وهى اليوم نهب عدوان دينى سافر يؤازره حقد تاريخى قديم ؟؟

ان العرب اذا خانوا الاسلام فلن يفيـدوا من ارتدادهم الا الضـياع

والمرة وسيحيق بهم قوله تعالى « **أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ، فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون** »(١) ٠

ان هذه الميوعة باسم السياسة انتهت بالقضاء على العروبة فى ارتيريا ، فان السلطات الاثيوبية شنت حملات شعواء على اللغة العربية ـ وهى لغة البلاد الرسمية وفق المادة ٣٨ من دستور ارتيريا ـ وبدأت هذه الحملات باهمال الطلبات والعرائض المكتوبة بهذه اللغة ، ثم بازالة اللافتات العربية ٠٠

واستطاعت أخيرا ان تمنع تدريسها فى شتى مراحل التعليم الرسمى منه والشعبى ، عندما عزز الاثيوبيون سيطرتهم السياسية سنة ١٩٥٦ ٠

وقد أحرقت الكتب العربية التى استوردها وزير المعارف الأرتيرى من القاهرة ٠

أما خريجو الجامعات العربية فيمنحون نصف مرتب خريجى الجامعات الأخرى حتى تموت رغبة الشباب فى كل دراسة عربية ٠

وفى سنة ١٩٦٣ منعت الحبشة تدريس الاسلام الا باللغة الأمهرية لأنها تعلم أنه لا يوجد كتاب واحد عن الاسلام بهذه اللغة ٠

وهكذا قضت الحبشة بجرة قلم على مستقبل دين وشعب ، والعرب ينظرون واجمين ٠

ومعروف أن للأمريكيين قواعد كبيرة فى ارجاء البلاد ، تحرس الاستعمار الدينى والسياسى فى هذه البقاع المنكوبة ، وقد ذكرت جبهة للثوار انها فى بعض الاشتباكات مع الأحباش اسقطت طائرة هليوكوبتر امريكية كانت تساعد المعتدين !

ونحن لا نستغرب هذا المسلك ، وانما نستغرب ان يتراخى عرب الشمال الافريقى فى خدمة دينهم ومساعدة أخوتهم ، فى الوقت الذى ألف فيه الاستعمار مجموعات من الحكومات الحاقدة تطارد الاسلام وتتعقب أنصاره !!

ان جبهة تحرير ارتيريا تلقى فنونا من الصد والتهرب من اناس يخونون قوميتهم وعقيدتهم على سواء ٠ !!

* * *

---

(١) البقرة : ٨٦ .

لو أن استمساك المسلمين بدينهم ضرب من التقليـد الجهـول . او التعصب الذميم ، لكنت أول الناقمين عليه والمحاربين له ! ولكن المسلمين المتشبثين بدينهم فى وجه ضغوط هائلة ، ومكايد ظاهرة وباطنة ، يفعلون ذلك عن وعى سليم واقتناع كريم ..

ولو أن دعاة التحلل ونبذ المـاضى ، أو التطور والانطلاق مع المستقبل ـ كما يقولون ـ يؤثرون هذه الوجهة بعـد مقارنة ودراسـة ، وحـوار مفتوح ، ونقاش نزيه ، لأكننا لهم شيئا من الحرمة ، وعذرناهم عندما يخالفوننـا فى رأى !!

ولكن هؤلاء يريدون بالختل حينا ، وبالعصا حينا آخر ، ان يصرفوا الجماهير عن غايتها ، ويفتنوها عن عقيدتها .. !

فاذا عز عليهم بلوغ مآربهم وجدت أعداء الرأى الحر يصفون غيرهم بالجمود !

ووجدت أذناب التيارات الدخيلة يرمون سواهم بالتقليد ! ووجـدت عملاء النحل الفاسدة ، قديمة كانت أو محدثة ، يتهمون رجال الاسـلام بالتخلف .. !!

ومع أن الاسلام منذ بدأ الى يوم الناس هـذا ، دعوة الى الحيـاة والابتكار ، والى الفكر الذكى والنشاط الموصول . فقـد انقلبت صـورته فى أذهـان هـؤلاء ، وأصبح وحـده ، دون سـائر الملل والمذاهب سبب التوقف ، وأصبح دعاته حصن الرجعية ، وآفة المجتمع ، وغير ذلك من النعوت التى يخترعها سماسرة الغزو الثقافى .

لقد تقدمت اليابان منذ اكثر من قرن ، ولم يجد رجالها حرجا من الانتفاع بالعلم العصرى فى مجاليه النظرى والتطبيقى دون أن يعلنوا حربا على ماضيهم ، ودون أن يشتبكوا مع الشعب فى حرب ضروس ليصرفوه عن ديانته الوثنية .

وتقدمت الولايات المتحدة فى ميدان الارتقاء العام مع حرصها البالغ على حمـاية شتى المذاهب الكنسية ، بل على نشرها هنا وهناك !!

ولقد قرأت وصفا لتكفين الرئيس كنيدى بعد مقتله نشرته مجلة المختار فى يناير سنة ١٩٦٤ ، وهو وصف ينضح بمكانة النصرانية وتقاليدها واطباق الرسميين والشعبيين على احترامها . جاءت فى الوصـف المـذكور هذه العبارة :

« فى الساعة الثانية عشرة والدقيقة السابعة والخمسين بعد الظهر ، أى بعد سبع وعشرين دقيقة من اغتيال « كنيدى » استدعى اثنـان من القسس الكاثوليك فى « دالاس » هما الأب « أوسكار هوبر » والأب « تومسون جيمس » ليكونا الى جوار الرئيس ·

وسحب الأب هوبر الغطاء عن وجه الرئيس ثم غمس سبابته فى « الزيت المقدس » ، ورسم علامة صليب صغيرة على جبهة كنيدى ، وقال باللاتينية : اننى اغفر لك كل لوم وخطايا باسم الأب والابن والروح القدس آمين !! واذا كنت حيا فليغفر الله بهذا الزيت المقدس كل خطاياك ·· !! »

هذه التقاليد المسيحية فى أمريكا لم تعلن عليها حرب شعواء حتى تستطيع الشعوب التقدم ، وتساير موكب الزمن الزاحف كما يهدف بيننا بعض من لا وزن لهم من حملة الأقلام المرموقة !!

لقد بقيت هذه التقاليد وحدها ، ومضى الأمريكيون فى طريقهم يغزون الفضاء حينا ، ويمدون بعثات التبشير بالعون المادى والأدبى حينا آخر ·

ولنترك اليابان والولايات المتحدة ولننظر الى اسرائيل ، عدونا اللدود ! ·

ان قيام هذه الدولة على الدين حقيقة أوضح من فلق الصبح ·

والألوف المؤلفة من اليهود الذين يقيمون فى أمريكا يمدونها بما فى طاقتهم من جهد لتنهض وترسخ ··

وهم يدفعون السياسة الأمريكية دفعا الى هذا المجرى المكشوف مستجيبين بذلك لنداء الأخوة الدينية اليهودية ، ومستغلين العداء التاريخى نحو الاسلام وأمته من مواريث الصليبية القديمة ·

ومع هذه الحقائق الملموسة ، فان العصابة المتاجرة بالقلم فى بلادنا تنكر أن يكون للدين أثر فى الجبهة المعادية لنا ! لماذا ؟؟

حتى تخفت الأصوات التى تطلب احياء الاسلام بين العرب ·· !

حتى تكون الحرب ذات طابع دينى هناك وذات طابع مدنى هنا ·· !

ان تمويت الاسلام هدف مقصود لذاته ، ولو كان فى ضياعه ضياع العرب ، وفشل قضاياهم ، وتمزيق شملهم ، واضمحلال أمرهم الى الأبد !!

وانا اعلم كما يعلم غيرى أن هناك يهودا لا يتجاوبون مع اسرائيل ، فما دلالة هذا ؟ هل اذا كره بعض الانجليز الاستعمار وصفنا الشعب الانجليزى

بأنه برىء من الاستعمار ، وانه لا يحمل تبعات حروبه الدنسة فى افريقيا وآسيا وغيرهما بضعة قرون ؟

اننا لم نصف كل يهودى على ظهر الأرض بانه معتد على العـرب ، ولكننا نصف الجمهرة الساحقة من اليهود بانها من وراء قيام اسرائيل على انقاضنا بدافع دينى أعلنه ساستهم وقادتهم ٠

فلم المماراة فى هذه الحقائق الصلبة ؟

بيـد أن الذين يبغون ابعاد الاسلام عن ميدان الكفـاح ، بل ابعـاده عن أسباب الحياة او ابعاد أسباب الحياة عنه يمضون فى طريقهم مكابرين معـاندين ٠

فعندما خطب رئيس الدولة فى عيد القاهرة الألفى ، وارتقب « كيف تستطيع شعوبنا ان توفق بين الأصالة وهى التاريخ ، وبين التجديد وهو المستقبل » قلنا – نحن المؤمنين من ابناء هذا الوادى – ان هذه عبارة تدعو الى التفاؤل ، انها توحى بأن نبنى على قواعدنا ، وأن نندفع مع تيارنا ، وان نتجاوب مع طبائعنا العربية المسلمة ٠

فالأصالة فى حياة أمة هى صـورتها الروحية ، وصبغتهـا الفكرية والخلقية ، وملكاتها فى توجيه الحياة وفق عقيدتها وشريعتها ٠

واذا كان لنا نحن العرب تاريخ لامع وحضارة مشهودة فمرد ذلك اجمع الى الاسلام وحده ٠

وتستطيع الأمة الذكية أن توائم بين جذورها فى المـاضى وحركتها الى المستقبل ٠٠

واذا سهل ذلك على أمم ذات تواريخ تافهة أو أديان شائهة ، فكيف يصعب على أمم أساسها الاسلام باعث الحياة فى الرفات الهامد ، وموقـد الشرر فى الحجر الجامد ؟؟

الا ان جريدة الأهرام طلعت علينا بحديث للمستشرق جاك بيرك ، يفسر فيه الأصالة تفسيرا مقلوبا ، ويردها الى عناصر مادية وآلية ٠٠ ويرتاب فى قيمة الأخلاقيات والأدبيات والجماليات من حيث هى المعالم الأولى للأصالة ٠٠ !!

ويرى هذا المستشرق اللبيب أن بناء السد العالى دلالة بارزة على الحضارة المصرية « الأصيلة » ٠ ثم يمضى فى حديث موغل فى التضليل واللف الى ان يكشف عن نفسه أخيرا ، أو يكشف عن الهدف الذى استقدمته من أجله جريدة الأهرام فيقول تحت عنوان « ليست الأصالة

هى العودة الى الماضى » : « لقد ولى الى الأبد بمحاسنه وعيوبه كل ما سبق الثورة الصناعية المعاصرة التى اجتاحت وما تزال تجتاح كل انحاء العالم وكل صفات الحياة الانسانية ، فردية كانت أم جماعية ٠٠ والأصالة اليوم أن نكشف ذواتنا وان نهيئها للانسجام مع عالم هذه الثورة الصناعية المكتسحة ، وما هو ابعد منها » ٠

ولا يحتاج المرء الى جهد قليل او كثير ليشعر بان القصد من هذا الحديث منع العرب من التفكير فى دينهم ، والامتداد مع أصولهم السماوية ومثلهم النفسية والاجتماعية ٠

ان الوف الحيل تختلق اختلاقا لجعل امتنا تحيا بعيدة عن ينابيعها الروحية حتى لو أحرقها الجفاف ، واضنتها الحيرة ٠٠ بل حتى لو تهددتها الهزيمة وأحدق بها العدو ، فلحساب من هذا كله ؟؟

أما الثورة الصناعية التى أشار اليها هذا المستشرق فهى حصيلة الارتقاء العلمى الذى ساهمت فيه شتى الأجناس والحضارات ، والأمم الكبرى تستغل تفوقها الصناعى فى دعم فلسفاتها الفكرية ومذاهبها الاجتماعية ٠

أى أن هذا التقدم الصناعى وسيلة لخدمة الأهداف الانسانية للأمم ، كما تراها كل أمة ، فالجهاز الصناعى الهائل فى أمريكا يخدم المنهج الراسمالى الذى آثره أصحابه ٠

ومثيله فى روسيا يخدم المنهج الاشتراكى المضاد فكيف تتحول الوسيلة الى هدف كما يريد خداعنا هذا المستشرق ؟

ان الأصالة ترجع ابتداء الى أسلوب الحياة الذى نريده لأنفسنا ، وهذا الأسلوب لا ينفك عن أركان ديننا وأصول حضارتنا وتاريخنا ٠٠

وكما يستغل اليهود وغيرهم التفوق العلمى والعملى فى اعزاز جانبهم وفرض انفسهم يجب أن يعمل العرب وأن يربطوا ماضيهم بحاضرهم !!

افهذه مشكلة معقدة ومعادلة صعبة كما يصور بعض الكتبة ؟

هل ارتباط كل أمة بدينها سائغ مقبول أما ارتباطنا باسلامنا فمشكلة المشاكل ؟

ان العودة الى الماضى فى حياتنا نحن العرب معناها استبقاء الرسالة التى تملأ القلوب الفارغة وتنظم الصفوف المعوجة وتقمع الأهواء الفاسدة وتجعل البشر عبادا لله صالحين وخلفاء على ارضه مكرمين ٠

ان العودة الى الماضى تعنى أن نستصحب الوحى الالهى فى مسيرنا ،

ومستبقى هداه على طريقنا ، أفذلك ما تحرج به صدور وتغتاظ منه أقوام ؟

لماذا ارتفع هذا الحرج فى المجالات المالية لما عاد اليهود الى ماضيهم واقاموا باسمه دولتهم ؟؟

لماذا لم تتجه جهود الغرب التبشيرية الى اليابان الوثنية ، واستماتت فى ضرب الاسلام وحده والتنكيل بأتباع محمد ؟

سيقول سماسرة الغزو الاستعمارى للعرب : ان العودة الى الماضى تعنى ان نعود الى ركوب الابل ٠

ونتجاوز هذا الهزل لنقول لأصحابه : بل نريد من هذه العودة أن نهذب حيوانيتكم التى طفحت ، وجعلتنا اضحوكة الناس ٠٠

ففى هذه الأيام واليهود جاثمون على صدرنا ممسكون بخناقنا تنشر جريدة الأهرام هذا الاعلان عن رواية جنسية تعرض فى سينمات القاهرة ، فتصف كيف سرقت عاهرة رجلا من بيته وكيف « تضمه الى صدرها فنانا تنقصه حرارة القبلة ، وتشتهى هى الأخرى طعم الحب ، وتبدأ بين الاثنين قصة ، قصة الفنان المتزوج من امرأة تبلدت عواطفها ، وقصة الفتاة الصغيرة الناضجة التى تشتهى ضياع المتعة واللذة !! وعلى الشاعرية ، على النبضة القصيرة والطويلة والعريضة تروى الأيام احلى واطعم قصة عشق » ٠٠ ٠٠٠٠ الخ(١) ٠

هذا هو اسلوب الحياة المتجددة التى ننسلخ بها عن الماضى ، ونواجه به عدوان الاستعمار والصهيونية على بلادنا ٠

هذا هو الأسلوب الذى يستاجر له مستشرقون يفسرون الأصالة بأنها جملة من العناصر المادية ٠٠

وعلى هذا النحو تعمل السمسرة الأدبية فى اضاعة الماضى والحاضر والمستقبل جميعا ٠

* * *

---

(١) الأهرام ١٩٦٩/٣/٢٠ ٠

تناول الدين بين الجـد والهزل

بين الانسان العربى اليوم والانسان العربى فى صدر الاسلام بون بعيد بعيـد ..

قـد يكون انسان اليوم أفخر ملبسا ، أو ادسم مطعما ، وافره مركبا ، ولكنه من حيث الخصائص الروحية والعقلية تافه ضائع بالنسبة الى أبيه الأول وسلفه العظيم .. !

لقد ظهر العرب — منذ بدأ بالاسلام تاريخهم — أمة تقود ولا تقاد ، وتدفع ولا تندفع ، وتمنح الآخرين المعرفة والخلق والقانون والحضـارة لأن ثروتها فى هذه المبادىء هائلة وحاجة الغير ماسة ، والرغبة فى العطاء موفورة ..

أما عرب اليوم فيدهم السفلى ممدودة ترتقب العون المـادى او الأدبى ممن يعطى اذا شاء او يأبى اذا شاء .

وقد يتلقون اللطمة تلو اللطمة فما يستطيعون لفرط هوانهم ان يرفضوا ضيما ، أو يدركوا ثارا ..

ان الفروق بين الانسان العربى اليوم والانسان العربى امس جسيمة ، لأن انسان الأمس كان صاحب ايمان عميق ، وخلق عظيم ، وقدرة على الحياة خارقة ، وهمة فى اجتياح العوائق فائقة .. !

اما انسان اليوم فعريان عن هذه الخصائص المعنوية ..

ونحن نبذل جهود الجبابرة كى نطوى المسافة بين حاضره وماضيه ، كى نعيد الى الدين الذى صنع امجاده ، وجعل له فى الدنيا دويا كبيرا ، ولم يكن قبله شيئا مذكورا ..

والناس قد يأخذون الدين شكلا لا موضوع له ، وصورة لا روح فيهـا ..

وهذا اللون من التدين قد يكون اسوأ من الالحـاد المكشوف ، لأن التدين المصحوب بالضعف والبلادة والذهول والغفلة تدين سخيف مهين ، لا وزن له عند الله ، ولا اثر له بين الناس .. !

وعندما حاول بنو اسرائيل قديما ان يأخذوا الدين بهذه الطريقـة السـمجة هـددهم الله جل شانه بالسـحق ، او يأخـذوا الـدين أخـذا معقولا .. !

اجل لقد انتزع جبلا من مكانه ، وهددهم بالدفن تحت ركامه ، اذا

كانوا سيتناولون تعاليم الدين بعزيمة خائرة وفكرة غامضة ٠٠ قال تعالى « **واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون** »(١) ٠

واخذ الوحى الالهى بحماس باطن وظاهر ، واستبصار ما فيه على نحو ينفى الغفلة والنسيان ، أمران لابد منهما للتدين الحقيقى ٠٠

والأمة التى تنظر الى معالم وحيها ببرود ، وقلة اكتراث ، أو التى تغلبها اهواؤها فتنسى ما كلفت به ، وتمضى وفق هواها لا وفق هداها ، أمة ليست أمينة على رسالات الله ، ولا جديرة برعايته ٠٠

وقد حكى القرآن لنا ما هدد الله به قديما بنى اسرائيل حتى نعرف سرا من اسرار سخطه على الأمم ٠

وعندما أطيل النظر فى أحوال العرب اليوم أجد علل تأخرهم ظاهرة ٠٠

لأن انتماءهم الى الاسلام قشرة رقيقة على كنود غليظ !!

الناس يؤدون اعمالهم وكأنهم ممثلون لن يأخذوا أجرا ، فلا اتقان ، ولا اخلاص ، ولا جد ، ولا تضحية ٠٠ !!

اسلوب الأداء خلو من العاطفة الحارة بله العقيدة الدافعة ٠٠

التكاذب المستمر هو العملة المتبادلة ، والتجهم للحقيقة أساس فى السلوك العام ٠٠

وسائق السيارة يجب أن يلقب بالمهندس ، والحلاق بالطبيب ، والساعى بالريس ٠٠ الخ ٠

وجنون الرياء والظهور يفتك بالأفراد والأسر والطوائف ٠٠

والغرائز الجنسية تقتحم السدود المفتعلة ، وتسلك آلاف الطرق المعوجة ، بعد ان هجرت الحلول الصحيحة لمشكلاتها ٠ !

وضعف الشخصية يستقدم فنونا من تقليد المنتصرين فى الشرق والغرب ، ويجعل المجتمع العربى خليطا من المضحكات المبكيات يندى له الجبين ٠٠

٠٠ ان الاسلام عنوان غير صحيح للأمة الاسلامية المترامية الأطراف ، وللأمة العربية التى تتولى بحكم لغتها مكان القيادة لجماهير المسلمين ٠٠

---

(١) الأعراف : ١٧١ ٠

وقد نجح الاستعمار الأجنبى فى :

١ ـ ألا نأخذ ما أوتيناه بقوة ٠

٢ ـ وألا نذكر ما فيه ٠

ومن هنا استطاع أن يصرفنا عن لباب ديننا ، وأن يسلينا بالقشور الفارغة ، وأن يدفعنا على مر الأيام الى الخلاص منه ، والارتداد النهائى عنه ٠٠

واخطر ما بلغه ايجاد مجتمعات خالية من فضائل العقيدة وروابطها والويل لأمة تمارس شئونها المختلفة ، وأمرها فرط ، وقلبها خرب ، وعقلها هواء ٠٠

وربما كانت سنة الله فى الأولين تخويفهم بالخوارق حتى يرعووا ٠ ورفع الجبال فوق رؤوسهم كى يزعجهم فيستقيموا ٠

ولكن الله لم يرفع جبال « البرانس » فوق عرب الأندلس حتى يدعوا مجونهم وفجورهم ، فانه ترك بين المسلمين كتابا يقول لهم : « **من يعمل سوءا يجز به** » (١) ٠

فلا جرم أن يطردوا من ديار لم يحسنوا الخلافة عن الله ورسوله فيها !!

ان القرآن كتاب صارم الحكم على ابنائه وأعدائه جميعا ، وعندما زعم أهل الكتاب السابقون أن الجنة حكر لهم ، مهما كانت أعمالهم ، كذب الله هذه الأوهام ، وكشف أنه لا يستحق كرامته الا من اتجه اليه بالعمل الحسن « **وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ، تلك أمانيهم ، قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ٠ بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** »(٢) ٠

فاذا كان العرب لا يولون وجوههم شطر دينهم ولا يتحرون احسانا فى أمورهم فهل يتوقعون الا المخاوف والأحزان ؟

فى الأمم الجديرة بالحياة والنصر يؤدى الواجب برغبة باطنة ، ودقة ظاهرة ، وينطلق الكبار والصغار الى وظائفهم وحرفهم بباعث من الشوق ، لا بسوط من الرهبة ، ويتنافس المتنافسون فى احسان ما بايديهم ابتغاء

---

(١) النساء : ١٢٣ .   (٢) البقرة : ١١١ ، ١١٢ .

وجه الله ومثوبته ، واخلاصا للأمة ومستقبلها ، قبل ان يكون شيء من ذلك نظير قروش أو جنيهات ..

وقد كان العرب الأولون — تمشيا مع تربيتهم الدينية الأصيلة — نماذج رائعة فى هذه المجالات ، فلما شبت الأجيال الأخيرة فى غير منابتها واعوزها معنى الايمان والشرف فى حركتها وسكونها ، خانها التوفيق فى الحرب والسلم ، فى الداخل والخارج !! .

وما أشك فى أن العرب يتعرضون لعذاب الاستئصال اذا لم يأخذوا الاسلام بقوة ، ويذكروا ما فيه لعلهم يتقون .

ما يمنع الانسان العربى المعاصر أن يكون كأبيه القديم اعتصاما بالوحى وامتدادا معه ، وعيشا فى اطاره أو موتا فى سبيله ؟

ان الوحدة التى نتقلب فى حمائتها ما ينقذنا منهـا الا هذا النهج المبين .

أما الدعاوى العريضة دون سناد من يقين وفداء فقد افتضح خبؤها للخصوم والأصدقاء على سواء ، وأضحت عديمة الغناء .

نحن فقراء الى جيل آخر من الرجال ..

والرجولية المنشودة صفة أضفاها القرآن الكريم على صنفين متميزين لم يمنحها غيرهما !!

الصنف الأول أولوا النجدة والوفاء الذين يقولون الكلمة ويموتون عندها صدقا مع ربهم واحتراما لأنفسهم .. وكأنى أنظر الى أنس بن النضر وهو يقول لرسول الله : غبت عن أول قتال قاتلت فيه المشركين ، أما والله لئن التقينا بالمشركين ليرين الله ما أصنع !! .

هذه يمين انسان عارم الثقة بنفسه ، وقدرته على الصمود والتضحية !

يمين من ورائها ايمان بعيد الآماد لا يزيغ ولا ينبو . !!

ولقد ثبت هذا الرجل فى أحد ، وتلاشى كيانه بين أسلحة أعداء الله ، ولكنه هو وانداده من الأبطال كانوا الجسر الذى عبر عليه الاسلام الينا والى قرون أخرى لا يعلمها الا الله .

وجـدير بهم ما نزل فيهم من كلام الله الخـالد « **من المؤمنين رجـال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبـه ومنهم من ينتظـر ، وما بدلوا تبديلا** »(١) ..

---

(١) الاحـزاب : ٢٣ .

أما الصنف الآخر من الرجال الذين نتطلع الى ملامحهم الطيبة الطاهرة فهم مدمنو الصلاة ، عشاق المسجد ، ذاكرو الله بالغدو والآصال ، أصحاب السرائر الصافية ، والأيدى السخية ، والضمائر المراقبة لربها ، المستعدة ليوم الحساب « **فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال • رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار** »(١)

هل نطمع أن تربى الناشئة على هذا الغرار ، وأن يكثر فى أمتنا هذا اللون من الرجال ؟

ان العين تلمح أجسادا متحركة بالمآرب الدنيا ، وبغام كبار وصغار نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، ذلكم هو الغثاء الذى يضيع به اليوم والغد •

فهل نتغير ليغير الله ما بنا •• ؟

أن الهزائم السود التى أصابتنا تعود قبل أى شىء الى قلة الرجال الذين شرح الكتاب نعوتهم ، ورسم مستواهم !

ان الرجولة عندنا صفة جسدية ترادف الذكورة ، ومع ذلك فهى رجولة ترفض المشقات ، وتعشق الملذات ، وتحسب الشبع والرى والزينة والظهور الشخصى مثلا رفيعة !!

والكثرة من هؤلاء قلة !

والعراك بهؤلاء لا أمل فيه !!

قد أسأل نفسى : لماذا يخرج العمل شائها أو تافها من أيد كثيرة عندنا ؟ مع أن المعارف النظرية لاكماله واعلائه موفورة ••

والجواب الذى لا أرى غيره : هو فقدان الايمان الحار والاعتقاد الموجه •

وتحول الدين فى القلوب الى قوة كهربائية محاطة بالمواد العازلة المبطلة لأثرها ••

وقد عرض ذلك لأهل الكتاب الأولين فأفسد أمورهم وأحبط أجورهم •

وحذر الله المسلمين منه عندما قال لهم « **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم ، وكثير منهم فاسقون** » (٢) •

---

(١) النور : ٣٦ ، ٣٧ .

(٢) الحديد : ١٦ .

والواقع ان الانسان العربى اليوم اشبه باليهود والنصارى أيام البعثة ، وعلى عهد الخلافة الراشدة !!

انسان طال عليه الأمد ، واستغلق فؤاده دون هدايات الله ·

بل وجد فى العرب اليوم من يضيق بالانتســـاب الى الاسلام ، ومن يغضب اذا ذكر بأحكامه وشرائعه وشعائره !!

ولن تقوم للعرب قائمة الا بعودة حية قوية واضحة للاسلام تنســج حياتهم الفردية والجماعية على المنوال الذى نسج حياة آبائهم فى العصر الأول ، فطلع بهم فجر وولد بهم تاريخ ··

***

الأمة الاسلامية اليوم تمثل جماهير كثيفة من الشعوب المتخلفة ٠٠

والفروق بين الشعوب المتخلفة والشعوب المتقدمة كثيرة ومنوعة ، ويمكن ردها اجمالا الى خلل حقيقى فى المواهب الانسانية الرفيعة ، خلل عاق هذه المواهب عن أداء وظائفها باقتدار واجادة ٠٠

وليس يصعب على من يرقب الأمم المتأخرة أن يلحظ كسلها العقلى فى ميدان المعرفة ، وكسلها العملى فى ميدان الانتاج ، وضعف الأخلاق التى تحكم أقوالها وأحوالها ، وكثرة التقاليد التى تمثل طابع الرياء والأثرة والملق والضياع الفردى والاجتماعى ٠

ان هناك انهيارا حقيقيا فى البناء الانسانى للشعوب المتخلفة !

والاصلاح الجاد يستهدف اعادة هذا البناء ودعمه خلقيا واقتصاديا وسياسيا ٠٠

ونحن ـ المشتغلين بالدعوة الاسلامية ـ نعالج هذا العمل الشاق ، ونزيح العقبات التاريخية والطارئة التى تعترض طريقنا وما أكثرها ٠

وهناك ناس يعملون لهذا الهدف ، هدف بناء أمة جديدة ، ولكنهم بمؤثرات شتى ـ لا يرتبطون بالاسلام ٠ ولا يستشيرونه فى حل مشكلة أو شفاء علة ٠٠ !

وظاهر أن هؤلاء الناس هم الذين نشأوا فى ظل الاستعمار الأوروبى ٠ وآذاهم أن تكون بلادهم محقورة الشأن ، زرية الظاهر والباطن ، فارادوا أن تلتحق بالركب المتقدم عن طريق التشبه به والاقتباس منه ٠٠

ولما كان علم هؤلاء بالاسلام قليلا ، فانهم لم يحاولوا الافادة منه أو الارتباط به ٠ بل مضوا فى طريق التقليد للشعوب المنتصرة فى ظاهر أمرها وباطنه ٠

وعذرهم ـ أمام أنفسهم على الأقل ـ أنهم يبغون النهوض بامتهم ٠

ولست الآن بصدد نقد هؤلاء ، ولا ذكر مواقفهم المعنتة من الدعاة المسلمين ٠٠

بل على العكس سأتناول باللوم والانكار مواقف بعض المتدينين القاصرين الذين يسيئون الى الاسلام من حيث ينشدون خدمته ٠٠

ان تبذل النساء فى هذا العصر بلغ حد السفه وهبط الى درك سحيق من الحيوانية المنكورة ٠٠

وصيحات الوعاظ لوقف هذا التيار تذهب بددا ..

لماذا ؟ لأن تناولهم لقضايا المرأة مشوب بالغموض أو الجهالة ، متسم بالسلبية والعجز ، محكوم بتقاليد ما أنزل الله بها من سلطان ..

وأغلبهم لو أمكنته الفرص لرد المرأة الى البيت وغلق عليها الأبواب ، وحرمها مختلف الحقوق المادية والأدبية ، وجعلها القدم العرجاء للانسانية السائرة أو الجناح المكسور للأمم الصاعدة .. !

والمسلمون فى العصر الماضى خالفوا الاسلام مخالفة مستغربة فى الطريقة التى تحيا بها المرأة .. !!

فهم حرموها حق العبادة - بتعبير العصر الحديث - وحظروا عليها دخول المساجد ، ويوجد فى أنحاء مصر نحو سبعة عشر ألف مسجد ، لا ترحب بدخول المرأة ، ولم يبن فى أحدها باب مخصص للنساء ، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بنى مسجده بالمدينة المنورة ..

وقد بذلنا بعض الجهود ، لتغيير هذه الحال ، ولم ننجح الا فى حدود تافهة .. !

مع أن صفوف النساء فى بيوت الله كانت احدى معالم المجتمع الاسلامى الأول !!

.. وهم حرموها حق العلم - بتعبير العصر الحديث - فلم تفتح المدارس الابتدائية والاعدادية والثانوية والعالية للمرأة الا بعد محاولات ومجادلات مضنية .

ولم تدخل الأزهر الا بعد تطويره الحديث . مع أن النبى صلى الله عليه وسلم جعل طلب العلم فريضة على الرجال والنساء ، ومع أنه أمر باخراج النساء وهن حوائض ليشهدن الخير ويعرفن دعوة الاسلام ..

وهم رفضوا أن يكون لها دور فى احقاق الحق ، وابطال الباطل ، وصيانة الأمة بنشر المعروف ، وسحق المنكر ، مع أن الله قال فى كتابه « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » (1) .

ان الفكرة التى سيطرت على أدمغة نفر من المتدينين هى عزل المرأة عن الدين والدنيا معا ، واجتياح كيانها الشخصى والمعنوى ..

---

(1) التوبة : 71 .

ولا تزال هـذه الفكرة أملا يحركهم ، ويحملهم على ترويج أحـاديث موضوعة أو واهية ، وتكذيب أحاديث صحيحة أو حسنة ، وعلى تفسير القرآن الكريم بآراء لم يعرفهـا أئمته ، ولا قـام عليهـا مجتمع الأصحاب والتابعين !!

.. بل أستطيع القول : ان الجاهلية التى دفعت اليها المرأة المسلمة بهـذا الفكر القـاصر ، جعلتهـا دون المرأة فى الجاهلية الأولى ..

فان المرأة العربية ظهرت فى بيعة العقبة الكبرى ، كما ظهرت مبايعة بعـد فتح مكة ، وقارب عدد النساء المبايعـات ستمائة امرأة .. !

وجهلة المتدينين تستكثر على المرأة المسلمة هذه المكانة الكبيرة ، وقـد نتج عن هذا التفكير فى قضية المرأة ، وعن التفكير المماثل له فى قضايا أخرى كثيرة أن ظلم الاسلام ظلما شديدا ، وأن أساء به الظن من لم يحط به خبرا ومن لم يحسن له فقهـا ..

وعندى أن افـلات النهضة النسائية من قيود الاسلام الحقيقية يرجع الى هذا العجز والغبـاء ..

وقد لاحظت أن بعض المصلحين الذين اشتغلوا بتحرير المـرأة قـد جرأهم هذا الموقف على ارتكـاب حماقات سيئة ، بل جرأهم على تـرك الاسلام !!

فهم لمـا قاوموا بنجـاح أخطـاء بعض المتدينين اندفعوا فى طريقهم مغالين فخطأوا الدين نفسه حيث لا مجال لتخطئة ولا مكان لتصويب .. !

وانه لمن المحزن أن يسىء الدعاة عرض دينهـم فى ميدان ما ، فترتفع الثقة بهم فى كل ميدان ، ثم ينفتح الباب على مصراعيه ليتناول من شـاء أحكام الاسلام بالمحو والاثبات ، يقبل منهـا ما يعجبه ، ويرد منها ما ينبو عن مزاجه اللطيف !

.. أكتب ذلك وبين يدى كتاب مطالعة للمدارس الثانوية ألف على عهـد وزارة المعارف وراجعه الدكتور طه حسين بك وآخرون .

فى الفصل الثالث من هذا الكتـاب حديث عن قاسم أمين وردت فيـه هذه العبـارات وصفا له ولمـذهبه فى الحيـاة العـامة يوم كان يلى منصب القضـاء :

« ولم يتقيـد فى قضائه بآراء الفقهـاء أو أحكـام المحاكم مما يعتبره أكثر القضـاة حجة لا محيـد عنهـا ، بل لم يتقيد بنص القانون اذا لـم يصادف هذا النص مكان الاقتناع منه .. وهذا ما جعله ميـالا للرأفة فى قضـائه ، نافرا أشـد النفور من حكم الاعدام !! » .

فقد كان يرى « أن العفو هو الوسيلة الوحيدة التى ربما تنفع لاصلاح المذنب » ، وأن « معاقبة الشر بالشر اضافة شر الى شر » وأن التسامح والعفو عن كل شىء وعن كل شخص هما أحسن ما يعالج به السوء ويفيد فى اصلاح فاعله « وأن الخطيئة هى الشىء المعتاد الذى لا محل لاستغرابه ، والحال الطبيعية اللازمة لغريزة الانسان ·· » ·

فاذا كانت الجماعة لم توفق بعد الى ادراك هذه الأفكار وكانت قوانينها التى وكل الى تطبيقها - هكذا يتحدث قاسم أمين القاضى عن نفسه !! - ما تزال تجرى على سنة القصاص والانتقام ، وما تزال دموية متوحشة فلا أقل من أن يتحاشى الاعدام ، وهو أشد ما فيها وحشية ، وهو العقوبة الوحيدة التى لا سبيل لعلاجها اذا ظهر خطأ القاضى أو ثابت الجماعة الى رشدها ورأت تعديل أساس عقوبتها بجعل العقوبة للاصلاح لا للقصاص ، أو أخذت بمذهب العفو والتسامح » ·

والقارىء الذى يطالع هذه الجمل العمياء يحس أن صاحبها يصطدم بالوحى ، ويكذب أن فى القصاص حياة ·

ويوغل مع الخيال فيظن أن العفو العام فى كل حال وعن كل شخص قاعدة الاصلاح الاجتماعى الصحيح !!

والكلام كله لغو قبيح ، بل مجون يعزل صاحبه لا عن منصب القضاء وحسب بل عن الفتيا فى مشكلات الناس ·

ودعك من أن قائل هذا الكلام مجرد تجردا تاما من احترام لنصوص الكتاب والسنة ·· !

ومع ذلك فان طلاب المدارس الثانوية أيام وزارة المعارف - يقرأون عقب هذا الكلام الغث تلك العبارات :

« كانت روح قاسم روح أديب ، وكانت الروح العصبية الحساسة الثائرة التى لا تعرف الطمأنينة ولا تستريح الى السكون ، وكانت الروح المشوقة التى لا تعرف الانزواء فى ركن · بل تظل متمخضة للبحث والتنقيب حتى تنسى نفسها ، وتستبدل بكنها ما فى الكون من نشاط وجمال ··

وفى ظننا أن الدعوة الى تحرير المرأة من رق الجهل ، ورق وحجاب لم تكن كل برنامج قاسم أمين الاجتماعى وانما كانت حلقة منه هى أعسر حلقاته وأعقدها » ··

ونحن نقول : ان قاسما وغيره ممن نهج فى الحياة منهجه كانوا أشخاصا ينقصهم قدر كبير من العلم الدينى والمدنى ، وأنهم استغلوا القصور الشائن

الذى غلب على المتحدثين باسم الاسلام فهجموا على الأمور هجوما شاملا كان شره اكثر من خيره ..

وربما استطاعوا أن يكتسحوا رجال الدين – ان صحت التسمية – فى مجال النشاط النسائى لما علمت من حقيقة الموضوع .

لكن التطويح بشرائع القصاص ومن ورائها بقية الحدود غباء ضارب الجذور ، وانسلاخ عن الاسلام لا يجدى فيه دفاع ، ولا يساق فيه عذر ..

اذا قال الله « **فى القصاص حياة** »(١) فجاء غر يقول فى القصاص هلاك ! فليس هذا جهلا فقط ، ولكنه ارتداد عن الاسلام وكفر بواح عندنا من الله فيه برهان ..

وقد بلغنى أن موظفة فى الاذاعة ، فى احد برامج السكك ، وصفت قطع يد السارق بانه وحشية ، ولم يفاجئنى هذا الارتداد الصريح فان التمهيد الثقافى له بدأ من عهود الاحتلال الأجنبى لشتى البقاع الاسلامية ..

وما نقلناه هنا من آراء قاسم امين التى وضعت بين يدى طلاب الصفوف الثانوية يشهد لذلك ..

ونريد أن يعلم القاصى والدانى ان كل طعن فى نصوص الاسلام القاطعة مردود على صاحبه ، وانه ضرب من الارتداد يخدم الاستعمار الحاقد على بلادنا وتاريخنا ..

ولا فرق عندنا بين ارتداد جزئى وارتداد كلى .

فان ابا بكر رضى الله عنه حارب جاحدى الزكاة مع من عاد الى الوثنية بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

مع أن مانعى الزكاة زعموا انهم مؤمنون بالله واقام الصلاة ..
بيد أن هذا الزعم لم يخدع الخليفة الأول . ولا جمهرة الصحابة ، فقاتلوا الفريقين جميعا ، وعدوا هؤلاء واولئك كفارا لا شك فى كفرهم .

والحقيقة التى لمسناها أن الناقمين على شرائع الحدود والقصاص قوم لا يقين لديهم ولا صلاة لهم ، وان علاقتهم بالقرآن مقطوعة ، وانهم ما يستبقون نسبتهم الى الاسلام الا لظروف عارضة ، أو ليكيدوا له وهم داخل دائرته .

---

(١) البقرة : ١٧٩ .

وكلمة اخيرة للمتصلين بالعلوم الدينية ، أنه لا يشرفهم ان يدركوا رأيا فقهيا ويجهلون رأيا آخر ٠٠ !

انهم يضرون الاسلام ضررا بالغا حين تكون صورته فى اذهانهم ناقصة أو شائهة ، ثم حين يزعمون مع هذا النقصان والتشويه أنهم علماء الدين وحراسه ٠٠

ان القرن الأول — من بين القرون الأربعة عشر التى تمثل تاريخنا — هو أقرب الصور الى حقيقة ديننا ٠٠ فكيف يحكم الاسلام « متن » من متون الفقه ألف أيام الاضمحلال العقلى لأمتنا ٠

أو كيف يحكم الاسلام تصرف تركى فى مجال السياسة أو المجتمع ؟؟

لقد كان الاستبحار العلمى سمة ساطعة لأمتنا فى أعصارها الأولى ٠

فلا يجوز أن يقطعنا عن هذا الماضى الزاهى جهل عارض ، أو فكر غامض ٠

ويوم يعود المسلمون الى دينهم الحق ، فان التخلف المزرى اللاصق بهم اليوم ستنجلى غمته وتنكشف ظلمته ٠

وسيأخذون طريقهم مرة أخرى الى الصدارة ، والتقدم ٠٠

***

المؤمنون أفرادا وجماعات يتحرون صراط الله فى مسالكهم كلها ، ويجتهدون ان تقع اعمالهم وفق مراد الشارع الحكيم سواء فى العبادات المنقولة أو المعاملات المعقولة .

وغير المؤمنين يخطئون طريقهم فى الحياة بجهدهم الفكرى وتجاربهم الخاصة .

وصلتهم بالوحى الأعلى مقطوعة أو واهية ..

وفى الوقت الذى تحكم فيه النصوص السماوية والقواعد الدينية حياة المؤمنين بالله ، نجد غير المؤمنين ينشطون بفكرهم المجرد للتصرف فى هذه الحياة ، ووضع ما يرون من دساتير وقوانين يظنون أنها تكفل مصالحهم وتضمن سعادتهم ..

وقد اتسعت علوم السياسة والاجتماع والأخلاق والاقتصاد وغيرها من العلوم الانسانية البحتة وانفردت بقيادة الانسان على ظهر الأرض الى جانب مجموعة من الفلسفات النظرية التى اشتغل بها العقل البشرى من قديم ..

أما المؤمنون بالله ، ونحن فى هذا الفصل نعنى المسلمين خاصة فهم يعتمدون على شمول التعاليم السماوية لشئون حياتهم ، ويستغنون بهما عما وراءهما من مذاهب ونظرات ..

معتقدين أن فى هدايات الله الغنى الكامل ، وأن الله جل شأنه قد ضبط معاشهم ومعادهم بكلامه ، وسنة نبيه ، فلا مكان لشىء آخر بعد ..!

« **الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان ..** » (١) .

« **لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط** » (٢) .

والحق أن الوحى الالهى فى الرسالة الخاتمة قد كفى وشفى فحدد حيث ينبغى التحديد ، وفصل حيث يستحب التفصيل ، وأجمل وعمم حيث يقتضى الأمر ارسال التعليمات مجملة عامة ..

وحث العقل على اداء وظيفته فى الفقه والاكتشاف والتبصر والاعتبار ، وحذره أن يجانب الحق بالحدس والتخمين ، وأن يبدد قواه فى اقتحام الغيوب المعجزة ..

---

(١) الشورى : ١٧ .
(٢) الحديد : ٢٥ .

كمـا علمه الأدب مع الله ورسوله ، فلا مكان لاقتراحاته حيث يتكلم الوحى ، ولا لابتداعاته حيث مضت السنة ٠٠

والمعانى التى قررناها آنفا ليست موضع خلاف بين المسلمين ، ولكن الخـلاف اخـذ لونا آخر يقترب اقترابا شديدا من هذا الموضوع ٠٠

فقـد تسـاءل اسلافنا ــ غفر الله لهم ــ عن مكانة العقل بالنسبة الى الحظر والاباحة ، والفعل والترك ، والاستهجان والاستحسان ، وكـانت اجابة كثير منهم ان العقـل فى هذا الميدان صفر ، وان الشرع وحـده هو كل شىء ٠٠

وفى هذه الاجـابة غموض وجور ٠٠

فان العقل يستطيع بنوره الذاتى ان يعرف الشر فى أشياء كثيرة ، وان يلحظ الخير فى أشياء كثيرة ٠٠

وقد لفت القرآن الانسان الى انه بفطرته قادر على التفرقة بين شناعة الجهل وكرامة العلم « **قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، انما يتذكر أولوا الألباب** »(١) ٠

والى انه بفطرته يستقبح الظلم ، ويابى الحكم به « **أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ، ساء ما يحكمون** » (٢) ٠

صحيح ان العقل الانسانى بحاجة الى عون من الله ومدد من الوحى ٠٠

بيد أن هـذه الحاجة لا تعنى بخس قيمته ولا التهوين من قـدرته المحدودة فى مجـال التحسين والتقبيح ٠٠

لكن جمهور السلف رأى ــ سدا لباب الاستغناء بالعقل ــ أن يجعل الشارع صاحب الكلمة الأولى والأخيرة فى هذا المجـال ، ويقرر هـذا العلامة الزنجـانى فى كتابه (٣) « تخريج الفروع على الأصول » فيقول :

ذهب الشافعى رضى الله عنه وجماهير اهل السنة الى أن الطهـــارة والنجاسة وسائر المعانى الشرعية كالرق والملك والعتق والحرية ، وسائر الأحكـام الشرعية ، ككون المحل طاهرا أو نجسا ، وكـون الشـخص حرا أو مملوكـا ، ليست من صفات الأعيـان المنسوبة اليهـا ، بل أثبتها الله

---

(١) الزمر : ٩ ٠ (٢) الجاثيـة : ٢١ ٠

(٣) اخرجت جامعة دمشق هـذا الكتاب فى السنوات الأخيرة وهـو من ذخائر الفقـه الاسـلامى ٠

تحكما وتعبدا ، غير معللة !! لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه : « **لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون** » (١)

ولا تصل آراؤنا الكليلة ، وعقولنـا الضعيفة ، وأفكارنا القاصرة الى الوقوف على حقائقهـا ، وما يتعلق بهـا من مصالح العباد ، فذلك حاصل ضمنا وتبعا ، لا أصلا ومقصودا ، اذ ليست المصلحة واجبة الحصـول فى حكمه ٠

واحتج على ذلك : بأن الله تعالى اذا جاز ان يعاقب الكافر على كفره ، والفاسق على فسقه ولا مصلحة لأحد فيه ، جاز أن يشرع الشرائع ، وان تعلق بهـا مفسدة ، ولا يتعلق بها مصلحة لأحد (٢) ٠

ولذلك نرى الله تعـالى كلف الانسان ما ليس فى وسعه فقـال تعالى : « **فاتوا بعشر سـور مثله مفتـريات** » (٣) « **فاتـوا بسـورة مثله** » (٤) وقال للملائكة « **انبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صـادقين** »(٥) وكل ذلك تكليف للانسان ما ليس فى وسعه ، وذلك ضرر لا مصلحة فيه (٦) ٠

وسر هذه القـاعدة أن الله تعالى مالك الملك وخالق الخلق ، يتصرف فى عبـاده كيف يشاء ، ولا كذلك الواحـد منا ، فانه اذا أضر بغيره كان متصرفا فى ملك الغير بالضرر ، وذلك ظلم وعدوان ٠٠ !!

وذهب المنتمون الى أبى حنيفة رضى الله عنه من علماء الأصول الى ان الأحكام الشرعية صفات للمحـال والأعيـان المنسوبة اليهـا ، اثبتها الله تعـالى ، وشرعها معللة بمصالح العباد لا غير ٠

كما أن الحسن ، والقبح ، والوجوب ، والحظر ، والندب ، والكراهة ، والاباحة ، من صفات الأفعـال التى تضاف اليها ٠

غير انهم قسموا أحكام الأفعـال الى : ما يعرف بمجرد العقل ، والى ما يعرف بأدلة الشرع على ما سيأتى ٠

أما أحكام الأعيان فقد اتفقوا على أنها كلها تعرف بأدلة شرعية ، ولا تعرف بمجرد العقل ، وانها كلهـا تثبت باثبات الله تعالى ٠

واحتجوا فى ذلك بقيـاس الشاهد على الغائب ، بنـاء على قاعدة التحسين والتقبيح ، وزعموا ان شرع الحكم لا لمصلحة عبث وسفه ، والعبث قبيح عقـلا ٠

---

(١) الأنبياء : ٢٣ .

(٢) سنرى خطأ ذلك القول مفصلا عما فيه من مغالطة .

(٣) هـود : ١٣ . (٤) يونس : ٣٨ .

(٥) البقـرة : ٣١ .

(٦) انظـر التعليق رقم (٢) من هـذا الهامش .

وهو كاقدام الرجل اللبيب على كيل المـاء من بحر الى بحر ! فانه يقبح منه ذلك ويستحق الذم عليه ·

·· واذا تمهدت هذه القـاعدة فنقول : الشافعى رضى الله عنه حيث راى ان التعبد فى الأحكام هو الأصل غلب احتمال التعبد ، وبنى مسـائله فى الفروع عليه ··

وأبو حنيفة رضى الله عنه حيث راى أن التعليل هو الأصل بنى مسائله فى الفروع عليه ، فتفرع عن الأصلين المذكورين مسائل ·· الخ ·

ولست هنا بصدد ترجيح مذهب الأحناف ، وتضعيف راى الجمهور فالأمر عنـدى أعمق من ذلك ·

ان المسلمين كافة يعلمون ان الله هو القـاهر فوق عباده وانه ليس لبشر ما أن يقف أمامه الا عانى الوجه ، مكسور الشوكة ··!

وأن ارادته نافذة فى أرجاء الملكوت لا يعترضها انس ولا جن « **الا له الخلق والأمر ، تبارك الله رب العالمين** »(١) ·

لكن الله ـ وله المجـد الذى لا يبلى ـ خلق السموات والأرض بالحق لا بالباطل وسير الكـائنات فى البر والبحر والجو بالحكمة لا بالفوضى ، ودبر الأمور من الأزل الى الأبد وفـق نظـام دقيق لا خبط عشواء ، ولا تقدير مجـازف ·· « **وكل صغير وكبير مستطر** »(٢) ·

فكيف يتصور فى شرائعه ان تتجنب المصلحة أو تنطوى على مفسدة ؟

انه حقا لا يسئل عما يفعل ، ولكن لمـاذا نتصـور أن من ذاته فوق المسئولية يجوز ان يصـدر عنه ما لا ينبغى ؟ بحجة انه مالك الملك ؟ ··

الأولى من ذلك والأدنى الى الصواب أن تعرف حدود الـدائرة التى يستطيع فيهـا العقل البشرى الادراك الصحيح والحكم السديد ··

ان الانسان الفرد يتفـاوت حكمه فى مرحلتين من عمـره على شىء واحـد ، وربما استقبح وهو شيخ ما كان يستحسنه وهو شاب ··

وربما نسج القصور غشاوة كثيفة او خفيفة على ابصارنا فظننا نفعا لنـا ما هو ضار بنا « **وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم ، والله يعلم وانتم لا تعلمون** »(٣) ·

---

(١) الأعـراف : ٥٤ .

(٢) القمـر : ٥٣ .

(٣) البقـرة : ٢١٦ .

فاذا توهمنا عوجا ما فى مظاهر الخلق ، او جورا ما فى احوال النــاس فلنتهم أفكارنا نحن ولنعترف بقلة علمنــا ، بدل ان نقــول « لا يسئل عما يفعل » .

واعتى علماء المــادة يعترف بأن ما نجهل اضعاف اضعاف ما نعلم ، وان حصيلة الذكاء البشرى طوال القرون تشبه عودا من الثـقاب أوقد فى ظلمات ليل ضرير الآفاق !

انه ما يرى فى هذا الكون الكبير الا النزر اليسير ..

وقد شاء رب العالمين ان يزود الانسان بالعقل ليستبين به فى نطــاق محدود الخير من الشر والخطأ من الصواب ، كما زود العين بالقدرة على الرؤية فى نطــاق ابعــاد معينة ..

وربما أصيبت العين بعاهة عارضة تمنعها من النظر البعيد أو القريب، بيد ان ذلك لا يعنى ان طبيعة العين العجز عن الرؤية .

وكذلك لا نسلم لأحد القــول بأن العقل عاجز بطبيعته عن ادراك الحسن والقبح فى الأشخاص والأشياء .

ولا نسلم ابدا بأن الكذب والصدق ، والعدل والجور معان متساوية القيمة أصلا حتى تنزل الوحى الأعلى فحسن هذه وقبح تلك ..

والذى نراه أن جمهور المسلمين وفى مقدمتهم الامام الشافعى رضى الله عنه يقصدون بكلامهم فى التحسين والتقبيح رفض تحكيم الفلسفة العقلية فى مسير الانسان ومصيره ، وحاضره ومستقبله ، وشئون حياته كلهــا ما دق منهــا وما جــل ..

وهو مذهب خطير بلا ريب ، بل هو تجاهل لرسالات الله كلهــا ، واستعلاء على ما جاء بهــا ، وقبول ما يعجب ، ورد ما لا يعجب ..

ومن فجر الخليقــة حاول الانسان ان يعتمد على نفسه فى الفعــل والترك والقبول والرفض .

وفى عصرنا هذا أعطى الانسان نفسه حرية مطلقة فى التشريع العــام والخاص .. وتصرف فى شتى التقــاليد بالمحو والاثبات .. وجعــل حقــه فى التحسين والتقبيح فوق ما قرع آذانه ليلا ونهارا من آيات الله والحكمة .

وما يختلف مسلم ومسلم فى ان ذلك المسلك مردود جملة وتفصيلا .

واذا كانت هناك الآن مقررات فى علوم الاجتماع والاقتصاد ، او فى ميادين السياسة والقانون تختلف مع نصوص الدين او قواعده العامة ، فهى فى نظر فقهــاء المسلمين قاطبة منكورة مبعدة ..

فان أوامر الله ونواهيه هى المصدر الأعلى ، أو قل هى المصدر الأوحد لما يحظر أو يباح ٠

وقد عاد الزنجانى فى كتابه القيم « تخريج الفروع على الأصول » الى هذا الموضوع مرة أخرى فقال :

٠٠ ذهب جماهير العلماء الى أن التحسين والتقبيح راجعان الى الأمر والنهى ، فلا يقبح شىء لعينه ، ولا يحسن شىء لعينه ، بل المعنى بكونه قبيحا أو محرما ، أنه متعلق النهى والمعنى بكونه حسنا أو واجبا أنه متعلق الأمر ٠

واحتجوا فى ذلك بأن ايجاب العقل شيئا من ذلك لا يخلو : أما أن يكون ضروريا ، أو نظريا ٠

والأول محال ، فان الضروريات لا تنازع فيها ، كيف ونحن جم غفير وعدد كثير لا نجد أنفسنا مضطرين الى معرفة حسن هذه الأفعال ولا قبح نقائضها ٠٠

والثانى أيضا محال لافضائه الى التسلسل ٠

وذهب المنتمون الى أبى حنيفة رضى الله عنه من علماء الاصول الى أن الأفعال تقسم الى ثلاثة أقسام :

فمنها ما يستقل العقل بدرك حسنه وقبحه بديهة ، كحسن الصدق الذى لا ضرر فيه وقبح الكذب لا نفع فيه ٠

ومعنى استقلال العقل بدرك ذلك عندهم ، أنه لا يتوقف على اخبار مخبر ومنها : ما يدرك حسنه وقبحه بنظار العقل « كحسن الصدق المشتمل على الضرر » « وقبح الكذب المشتمل على النفع » ٠

ومنها ، ما لا يستقل العقل بدرك حسنه وقبحه أصلا ، دون تنبيه الشرع عليه كحسن الصلاة والصوم والحج والزكاة ، وقبح تناول الخمر والخنزير ولحوم الحمر الأهلية ٠

وزعموا أن أمر الشرع فى هذا القسم ونهيه كاشف عن وجه حسن هذه الأفعال وقبحها لعلمه بأن امتثال أمره فيها يدعو الى المستحسنات العقلية ، وكذلك الترك فى نقيضها من المناهى ٠ ٠

واحتجوا على كون العقل مدركا لمعرفة الحسن والقبح ، بأن البراهمة يقبحون ويحسنون مع انكارهم الشرائع وجحدهم النبوات ٠٠

وقد رفض الزنجانى مذهب الأحناف الذى صوره فى ايجاز ، وآثر عليه غيره ٠

والذى نعود الى توكيده أن الله جل شانه هو الحاكم المقسط ، وأنه لا يشرع الا ما فيه صلاح أمرنا فى العاجل والآجل ، وأنه منحنا عقولا تستطيع أن تبصر وجه الحكمة فى اغلب ما شرع . وأن ما يفوتها عرفانه فلقصورها عن الاحاطة بكل شىء ٠

وتلك معان لا يختلف الفقهاء فيها ، وما ورد يشعر بخلاف فأساسه الحرج النفسى من مذاهب جائرة عن الطريق الحق أو بتعبير فقهائنا الأقدمين أساسه « سد الذريعة » ٠

وأريد أن أخلص من هذا الاستعراض الى حقيقة تتصل بموضوع هذا الكتاب ٠٠

٠٠ ان المذاهب الفقهية فى الاسلام يكمل بعضها بعضا ولا يغنى أحدها عن الآخر ٠٠

٠٠ انها كلها تمثل الفكر الاسلامى الرحب الذى يجب أن يدرس ، ويبحث ، ويخضع للنقد ، والمقارنة ، والترجيح ، والمحو ، والاثبات ٠٠

ونحن شديدو الاحترام لأئمتنا الأوائل ، عظيمو التقدير لذكائهم الخارق ، وتقواهم لله ، ونصحهم للأمة ، ومقاومتهم للجور ٠٠

٠٠ غير أننا نشعر بأن كل واحد منهم يمثل لونا من التفوق الذهنى والمناهج العلمية ، وأن الاسلام مجموعة هذه الألوان وغيرها مما يجد على اختلاف الليل والنهار من اجتهاد الفقهاء ، وتطبيق الكتاب والسنة على مختلف الشئون ٠٠

اننا حين نطلب تحكيم الاسلام لا نفكر فى اقامة دولة مالكية ، أو دولة حنبلية ، فهذا حمق فى التفكير ٠٠
ان الاسلام الذى نستهدى به هو :

أولا : الأصول المعصومة من كتاب وسنة ٠

وثانيا : جهد العقل الاسلامى فى مواجهة الأحداث المتباينة فى تاريخه الطويل ، ومدى ما أحرز من توفيق ، أو عرض له من خطأ ٠٠

٠٠ ونحن المسلمين فى هذا العصر نواجه الفكر الانسانى القادم من شتى القارات ، العارض لأنواع الحضارات ، المصور لعشرات النزعات والفلسفات ، فكيف يلقى هذا الفيض الغامر رجل محصور فى مذهب فقهى تعصب له ؟ أو رجل ينتسب الى فرقة اسلامية ولد فى أحضانها ٠٠ ؟

أن على دعاة النهضة الاسلامية المعاصرة أن ينخلعوا من هذه القيود وأن تكون لديهم احاطة علمية بما لديهم مهمــا كان الرأى فيه ٠

٠٠ وحسن الادراك لثقافتنا فى أصولها وفروعها شىء ! وما يميل اليه المرء من رأى أو يؤثره من وجهة شىء آخر ٠٠ !

٠٠ ويؤسفنى أن تكون أزمات المعرفة فى بلادنا ، وبين رجالنا ، بعض الضيق الذى نشعر به فى جوانب حياتنا كلهــا ، المــادية والأدبية ٠

٠٠ وما يخــدم الاسلام بهذه الفاقة ، ولا هذا الانحصار ٠٠

* * *

ختـــام ٠٠٠

قد يستطيع العرب استيراد السلاح من جهة أو أخرى كى يستردوا حقهم الضائع ، ويداووا جراحاتهم الغـائرة ٠٠

ولكنهم لو أداروا ظهورهم لله ثم جمعوا سلاح المشرق والمغرب فلن يدركوا به الا ذل الدهر وخذلان الأبد !!

ولن يغنى عنهم أن يعطف عليهم ذلك الفريق ، أو يشد أزرهم ذلك الفريق « **أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ، ان الكافرون الا فى غرور** » (١) ؟

ليس أمام العرب الا طريق فذ لتطهير أرضيهم ، وطرد عدوهم واستعادة النضرة الى وجوه كساها الهوان ٠٠

هذا الطريق هو العودة الى الاسلام ظاهرا وباطنا ، وترسم خطا السلف الأول فى صدق الايمان وحسن العمل ٠٠

لقـد اختار الله العرب ليحملوا أمانات الوحى بعـد أن عبث بهـــا بنو اسرائيل ٠٠

فاذا استهان العرب بهذا الاختيار الالهى ، وقرروا أن يدعوا العمـل بالاسلام ، وأن يتركوا الدعوة اليه ، ورأوا أن يلتحقوا أذنابا أو رؤوســا باحدى الجبهتين المتنافستين فى العالم فهيهات هيهات أن يفلتوا من عقبى هذا الارتداد الخسيس وتلك الخيانة الفـاجرة ٠٠ !!

٠٠ انهم لن يجنوا من هذا المسلك الا خيبة السعى وضياع الجهد ٠٠

٠٠ ان الله لا يترك الناقضين لعهوده يمرون بسلام ٠٠

٠٠ أهون ما يلقونه أن يغلبهم ذباب الأرض واخوان القردة ٠٠
٠٠ وذاك هو حصاد الغرور ٠٠

٠٠ أما طريق الشرف والكرامة فأساسه أن يعرف العرب : بم كانوا أمة ؟ وكيف صار لهم فى التاريخ الانسانى وجود ٠٠ ؟

لقـد طفر الاسلام بهم طفرة رحيبة الآماد ، ونقلهم من عصابات همل الى رواد حضارة ، ومن أحلاس شهوات الى قادة هدى وبر ، وأصحاب صلاة وزكاة ٠٠ !!

---

(١) الملك : ٢٠ .

فهل جزاء الاسلام الذى رفع خسيستهم أن يأبوا النسبة اليه ، وأن يرفضوا انفاذ أحكامه واعلاء شعائره ؟

وهل يستكثر بعد هذا الكنود المر أن يصابوا بالهزائم التى تنكس بها الرؤوس وتشحب لها الوجوه ؟؟ « **قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون** » (١) .

ليس للنصر الا طريق واحد .

أن يعلن العرب اسلامهم ، وأن ينعشوا بروح الايمان ما مات من أحوالهم وأعمالهم ، وأن يسلموا وجوههم لله ثم يمسوا بأصابعهم أى شىء فى متناول اليد فسوف يتحول الى أداة نصر ومفتاح نجاة .. !!

اننى ألمح على الأفق القريب أو البعيد رهبان الليل فرسان النهار وهم يجتازون الحدود مطاردين الظلام الذى غزتنا بوادره ..

وكأنى أسمع صرخات التكبير والتوحيد تتجاوب بها أرجاء الصحراء، وتهتز بها بطون الأودية وهى تنكس أمانى بنى اسرائيل فى أرض الميعاد وتؤكد للقرون الباقية من عمر الدنيا أن رسالة محمد لم تفن ولن تفنى ، وأن القرآن الكريم هو كلمة الحق الباقية الى يوم الدين ..

لقد أقبل بنو اسرائيل يحادون الله ورسوله ، ويريدون بناء مملكة للتوراة والتلمود على أنقاضنا !!

ولقد أعانهم على ادراك مآربهم خصوم الحق والشرف ، وورثة العداوة والبغضاء من أحفاد الصليبيين الأقدمين .
بيد أن أحدا لم ينل منا مثل ما نلنا نحن من أنفسنا !! .

لقد تركنا — من بضعة قرون — البدع والخرافات والانحرافات تطوح بنا بعيدا عن ديننا ، حتى مهدت للاستعمار سبل الغلب علينا ..

ثم تركنا المستعمر الغاصب يمحو ويثبت كيف يشاء من تعاليمنا ، وتقاليدنا ، وأفكارنا ، ومشاعرنا ، ويقحم من دسه وغثه ما يزيدنا خبالا ..

ثم تركنا الأجيال الناشئة تنبت وهى تستغرب دينها ولغتها وتاريخها ومثلها ، وتتحرك على ظهر الأرض مدفوعة تارة بنداء الأثرة ، وتارة بنداء القومية الضيقة ..

---

(١) الحديد : ٢٦ .

فلما اصطدمنا بالمتعصبين لدينهم ، دون أن يكون لنـا دين نزار له ، ونغـار عليه ، ونغـالى به ، كانت النهاية القـابضة الأسيفة ٠ ؟ ووكلنا الله لأنفسنا ٠٠ !!

فهل ننسف كل هاتيك العقبات قديمها وحديثها ، ونمضى قدما ليوم النصر ؟ ٠

ان عدة ذلك الاسلام وحـده ٠٠

آمل أن يهتدى العرب الى رسالتهم ٠ وأن يحملـوا رايتهـا ، وأن يستندوا الى ربهم ثم يرموا بأعدائهم من حيث جاءوا ٠٠

أما قبل ذلك ٠٠ فلا شىء ٠

٠٠ الا حصاد الغرور ٠٠ !!

***

رقم الايداع ١٩٨٦/٧٨٢٩

محتويات الكتاب